دكتور حسن حنفي

الدين والثورة

في مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١

٤

الدين والتنمية القومية

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١

٤- الدين والتنمية القومية

دكتور حسن حنفي

الناشر
مكتبة مدبولي

الدين والتنمية فى مصر

مقـــــدمة :

كان الدين فى مصر دائما هو تاريخها • فمنذ الفراعنة القدماء حتى العصور الحديثة كان الدين محورا فى الحياة المصرية • كان فرعون ابن الله ، وكانت روحه الهية ، وكان الكهنـــة طبقة قوية تملى قوانينها وتقاليدها على الدولة ، وكان الشعب يطيع قوانين الدولة باعتبارها قوانين الهيه ، وبنى الشعب الاهرامات تعبيرا عن عواطفه الدينية • كانت الطبيعة أيضـــا الهية • فالنيل والشمس والعجل والحيوانات الاليفة آلهة • وكان للعلم والفن وظائف دينية • وكان للاســتقرار السياسى والاجتماعى أو عدمه أسس دينية • ولم يتغير الوضع عما هو عليه طول تاريخ مصر •

وفى مصر الحديثة ، ظهر نمط مثالى للعلاقة بين القيادة السياسية وبين علماء الدين • فقد فصـــل محمد على أولا بعض العلماء الذين عارضوه واضعا بذلك حق الدولة فى تعيين رجال الدين أو فصلهم وفى القضـــاء على كل أنواع المعارضة الدينية • ثم طلب ثانيا من العلماء تأييد برنامجه عن طريق اصدار فتاوى وتبرير القرارات السياســية

كتب هذا البحث سنة ١٩٧٨ كجزء من مشروع التنمية فى مصر الذى اشرف عليه د. سعد الدين ابراهيم بناء على طلب « معهد الامم المتحدة للتدريب والبحث » فى داكار ، السنغال ثم بناء على طلب « معهد الانماء العربى » فى بيروت . وقد نشرت صياغة مختصرة له فى كتاب « مصر فى ربع قرن » ، معهد الانماء العربى ، بيروت .

للدولة باستخدام الدين • ثم استبدل ثالثا بالصفوة الدينية صفوة عسكرية جاعلا الاولى فى خدمة الثانية ومؤسسا بذلك الدين فى خدمة الدولة • ولكن فى نفس الوقت فان السيد عمر مكرم هو الذى ترأس حركة تنصيب محمد على واليا على مصر باسم شعبها أى أن الحاكم يأتى ببيعة أهل الحل والعقد ولكن هذا النموذج لم يستمر فى تاريخ مصر الحديثة وظل نموذجا شرعيا خالصا فى تراثنا القديم(١) •

ويقتصر مفهوم الدين هنا على تصور القيادة السياسية للدين وكيف استخدمته من أجل تحقيق التغير الاجتماعى والسياسى سواء مباشرة أو من خلال أجهزة الاعلام والمؤسسات • ولما كان نمط القيادة السياسية فى مصر منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٨٧ ومازال على مستويات مختلفة نمطا « زعاميا » Charismatic فقد كان تصور القيادة السياسية للدين قوة حركية فعلية فى استخدام الدين كعامل للتنمية • ولهذا السبب تم استبعاد تحليل « ثقافة الجماهير » و « الوقائع الدينية » لانها هى الحوامل والاوعية لتصور الزعامة للدين • لقد فرض المنهج الوصفى نفسه ليبين أولا القرارات الدينية الرئيسية وليبين ثانيا العامل الدينى وأثره على التنمية • الاول وصف ثابت Static والثانى وصف حراكى Dyanmic • ولما كنا نتعامل مع التصور ووعى الجماهير كان التحليل الفينومينولوجى ضروريا ليبين الدين باعتباره « قصدا » لدى القيادة السياسية • الدين هو صورة الشعور Noesis والتنمية مادته Noema. وبتعبير آخر الدين هو الوجه الذاتى للشعور والتنمية وجهه الموضوعى • وفى المعارك الاثنى عشر التى استخدمت فيها القيادة الدين كعامل

---

(١) M. Bayyoumi : Religion and Modernism in Egypt, Dissertation, Temple University, 1971, Ch. I.

فى التغير الاجتماعى والسياسى يظهر بناء دائم : الفعل ورد الفعل ، الهجوم والدفاع • يظهر الدين كآليات دفاع ضـــد هجمات من الداخل ومن الخارج على النظام السياسى • وباختصار فانه سيتم تطبيق منهج مشترك يقوم على التحليل الفينومينولوجى والبنائى لوصف الدين وأثره فى التنميـــة

ولسنا فى حاجة الى تحديد مسبق لمفهومى « الدين » و « التنمية »، اذ يستعمل مفهوم « الدين » هنا فى معناء الواسع الذى يشمل العقيدة والشعائر والنظم والقوانين والقيم ••• الخ • ويســـتخدم مفهوم « التنمية » أيضا فى معناه الواسع الذى يشمل التنميـــة الاقتصادية والأجتماعية والثقافية والاخلاقية •

وقد اتبعت طريقة عرض المادة العلمية بأقل قدر ممكن من التدخل فتركت ناصر يتكلم بنفسه بما فى أسلوبه من خطابة وحماس وتكرار • يشفع ذلك بعض التعليقات والحكم عليه • الاساس هو خطب ناصر وكلماته وأحاديثه حتى يشارك القارىء فى نفس التجربة ، ويشعر من الداخل بوضع الدين فى فكره السياسى • وبالرغم من عيوب هذه النقطة التى « تعرض » ولا « تحلل » الا أن بها يستطيع القارىء أن يتذوق المادة الخام للبحث ويشارك فى الحكم عليها • وكان الهدف العملى القريب أن تقرأ أجيال جديدة فى عصر الثورة المضادة فى السبعينات الخطاب السياسى الذى كان يعبر عن حلم الستينات •

أولا : التطور الدينى فى مصر الحديثة :

ان أثر الدين على الحياة الاجتماعية والسياسية فى مصر الحديثة يمتد الى ما قبل ١٩٥٢ • ودون ما حاجة الى الرجوع الى محمد على وبداية

مصر الحديثة فانه يكفى وصف الاتجاهات الدينية الاساسية التى ظهرت مباشرة قبل ١٩٥٢ •

(أ) الاتجاهات الدينية قبل ١٩٥٢ :

انه من السهل وصف الاتجاهات الدينية فى مصر قبل ١٩٥٢ اذ يحكم هذه الاتجاهات بناء ثلاثى يضم طرفين متعارضين وطرف أوسط • الاول الاتجاه المحافظ أو التقليدى الذى تمثله المؤسسة الدينية أو الجماعات الدينية مثل الاخوان المسلمين • والثانى الاتجاه العلمانى أو الليبرالى الذى تمثله الجماعات المناهضة للمؤسسة الدينية مثل الليبراليون والعلمانيون والماركسيون والغربيون بوجه عام • والثالث الاتجاه الإصلاحى أو التجديدى الذى يتراوح بين الاتجاهين المتعارضين السابقين(٢) •

١ — ويمثل الاخوان المسلمون أقوى الاتجاهات الدينية فى أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات • كانت أيديولوجيتهم الاسلامية الجذرية ولكن ليست بالضرورة يسارية • فى جوهرها كلية ، فالاسلام يؤخذ كله أو يترك كله • وعلى الواقع أن يكيف نفسه طبقا للاسلام لا أن يكيف الاسلام نفسه طبقا للواقع • وكانت أيديولوجية حركية قادرة على تجميع أعضائها من كل الطبقات الاجتماعية فى خلايا مطيعين لرؤسائهم ومكونين لانظمة شبه عسكرية • وكانت أيدويولوجية تقوم على التعصب ، ترفض أى شكل من أشكال الحوار مع الجماعات

---

(٢) تتبنى معظم الدراسات فى تاريخ الحركات الحديثة هذا التقسيم الثلاثى •

والايديولوجيات السياسية الاخرى • وكانت معادية للماركسية ، تربط الماركسية بالالحاد والمادية وان لم تكن معادية للاشتراكية بالضرورة • فالاســلام له رؤيته الخاصة للعدالة الاجتماعية وله نظمه الاقتصادية الخاصة به • ومن ناحية أخرى كان الاخوان المسلمون معادين للاستعمار • شاركوا فى حرب فلسطين فى ١٩٤٨ • وكانوا قوة أساسية فى الصراع ضـــد الاحتلال البريطانى لقناة السويس فى ١٩٥١ • وكانوا معادين للملكية التى كلفتهم زعيمهم فى ١٩٤٩ (٣) •

والمؤسسة الدينية هى احدى الاشكال الهابطة والفاسدة أحيانا للاتجاه المحافظ • فقد كانت دائما وحتى بعد ١٩٥٢ ، المبرر المعتـــاد للموقف الرسمى للنظـــام السياسى فى كل وقت • وكانت تستخدم دائما ضد الخصوم السياسيين ويطلق عليهم أوصاف الخوارج والملحدين • كان كبار رجال الدين بصفتهم موظفين فى الدولة مجرد مبررين للقرارات السياسية لاى نظام • وقد أفتوه بأن الملك من نسل النبى وبالتالى فمن حقه أن ينصب خليفة للمسلمين !

ولم يمنع ذلك بعضهم من الحفاظ على التراث الدينى الصحيح • فقد رفضوا كل أنواع الضغط من النظام السياسى لتبريره أو لتأييده • بل انهم على العكس أصـــدروا بيانات مضـــادة تعارض القرارات السياسية • وقد تم فصلهم أو استبعادهم (٤) •

---

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ص ٣٦٧ — ٣٨٨ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٤) واشهر مثل على ذلك فتوى الشيخ المراغى ضد نظام الحكـــم السابق على الثورة .

٢ — ويمثل الغربيون اتجاهين أساسيين : الماركسية والليبرالية • فقد اعتبر الماركسيون الدين طبقا للتصور الناقص الذى ينقل عادة عن ماركس أنه أفيون الشعب • الدين مظهر من مظاهر التخلف ، وعامل من عوامل الاستغلال ، ومضاد للعلم • ولكن بعض الماركسيين الآخرين اعتبر الدين « صيحة المضطهدين » وهى نصف العبارة التى قالها ماركس ونسيها الناس ورأوا فيه عاملا ممكنا للتغير الاجتماعى والسياسى(٥) •

أما الليبراليون فان البعض منهم نظر الى الدين من وجهة نظر وضعية أى وسيلة غير علمية للمعرفة ، ومرحلة تاريخية فى تطور الانسانية • ونظر البعض المستنير منهم الى الدين على أسس عقلية وان لم تكن عقلية خالصة • ورأى فريق ثالث فى الدين تعبيرا وجدانيا خالصا أقرب الى الوجودية ومقولاتها فى السر والتناقص واللامعقول • وهى كلها اتجاهات غربية امتدت داخل الفكر العربى المعاصر(٦) •

٣ — أما الاتجاه الاصلاحى أو التجديدى فانه قد توقف وانتهى وعاد الى الاتجاه السلفى كما هو الحال عند رشيد رضا أو الاتجاه المحافظ عند حسن البنا(٧) • كما انتهى الى الليبرالية تقليدا للغرب

---

(٥) K. Marx, F. Engels : On Religion, New York, 1957

(٦) يتمثل التيار الوضعى عند ممثلى المدرسة الاجتماعية والوضعية فى مصر مثل على عبد الواحد وافى ، عبد العزيز عزت ، زكى نجيب محمود . ويمثل التيار العقلى محمود قاسم .كما يمثل التيار الوجودى عبد الرحمن بدوى على سبيل المثال لا الحصر .

(٧) تتلمذ حسن البنا على يد رشيد رضا فى دار العلوم ، وحاول اصدار مجلة « المنار » عام ١٩٣٥ بعد توقفها . وأصدر بالفعل خمسة اعداد عام ١٩٣٦ . انظر « مذكرات الدعوة والداعية » ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، دار الشهاب ، القاهرة .

عند على عبد الرازق وخالد محمد خالد • وقد أصبح الاتجاه التقدمى بعـد ١٩٥٢ التطـور الطبيعى للاتجاه الاصلاحى المتوقف • ويؤيد ذلك ما يذكر الميثاق فى باب « جذور النضال المصرى » والتأكيد على دور الفتح الاسلامى فى تأهيل الثورة المصرية وكيف أن الاسلام كشف لها هـذه الحقيقة وأعطاها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى فى اطار التاريخ الاسلامى • وعلى هدى رسـالة محمد قام الشعب المصرى بأعظم الادوار دفاعا عن الحضارة الانسانية • ثم أتى الغزو العثمانى فدخلت مصر عصور الاسلام وظهرت عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارا ورهبـة باسم الدين والدين منها براء • ثم ارتفع صوت محمد عبده فى الفترة الاخيرة ينادى بالاصلاح الدينى ، وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين ، وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة(٨) • بل ان الاشتراكية الديمقراطية تنتسب أيضا حسب رأى بعض أساتذة جامعة طنطا من الذين عهد اليهم كتابة الايديولوجية الجديدة فى عصر الثورة المضـادة فى السبعينات الى محمد عبده ولطفى السيد وأحمد أمين وطه حسين والعقاد ومن اليهم من هذا الرعيل العظيم(٩) •

(ب) التكوين الدينى للضباط الاحرار :

يعكس التكوين الدينى للضباط الاحرار نفس الاتجاهات الدينية الرئيسية التى كانت موجودة قبل ١٩٥٢ • فقد كانت الثورة مجـرد

---

(٨) قاسم أمين : المراة الجديدة ، تحرير المراة .

(٩) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ص ٨٧ — ١٠٨ ، يوليو / تموز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ .

انقلاب فى النظام السياسى • استمرت الاتجاهات الدينية الرئيسية قبل الثورة وبعدها مع اشتداد حدة الصراع بينها • فقـــد حاول كل اتجاه الحصول على أكبر قدر ممكن من التأثير على النظام الجديد • كان عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين أظهر ممثلين للاتجاه المحافظ عند الاخوان المسلمين • وكان يمثل التيار الماركسى الدينى خالد محى الدين • وكان الدين لديه ينحو نحوا صـــوفيا موروثا عن طريق العائلة فقد كان جده أحد مشايخ الطرق الصوفية • وكان أحمد حمروش أحد أعضاء حدتو ومن الضباط الاحرار فى نفس الوقت • أما باقى الضباط الاحرار فكانـــوا يدورون فى فلك ناصر • وكان ناصر يجمع فى شـــخصه عديد من الاتجاهات • فقد كان فى وقت ما على اتصال بالاخوان المسلمين • عرف حسن البنا ولكنه لم يكن عضـــوا فى جماعته • وقد اتهم فى الجيش بأنه على اتصـــال بالبنا يعمل فى حركته السرية ، ويدرب الفدائيين التابعين له • واتهم أيضا بالعنف والقاء القنابل • وقد اعترف ناصر بأنه عرف الامام وأنه لم يكن لديـــه أى اعتراضات على تدريب الفدائيين الاخوان لتحرير فلسطين(١٠) • وقـــد كان ناصر بالفعل ذا علاقة وطيدة بالبنا • وقد تعود أن يخطر زملائه بالمناقشات التى عقدها معه • وظل على علاقة بالاخوان بعد وفاة البنا • ولكن هذه الاتصالات لا تجعل ناصر ضابط حرا ذا اتجاه دينى • فقد اتصل ناصر بالاخوان باعتبارهم جماعة سياسية أكثر من كونها جماعة

---

(١٠) مجموعة خطب جمال عبد الناصر ، وزارة الارشاد القومى ، الجزء الاول ١٩٥٢ ــ ١٩٥٨ (وسنشير اليها فقط باسم الجزء ورقم الصفحة مثلا ج ١ ص .. فى حين أن مجموعة خطب السادات خمسة اجزاء أيضا سنشير اليها بعلامة بس قبل الجزء والصفحة) قصة الثورة نشرت فى احدى الصحف الصباحية ١٩٥٣/٧/٢ •

دينية مثل اتصالاته بالجماعات السياسية الاخـرى • وقد اعترف ناصر أيضا فيما بعد أنه قد تأثر بالنبى محمد وبالمسيح • ولكنه كان يعنى بذلك أنه رجل متدين عادى دون حماس دينى خاص(١١) • وكان ناصر أيضا على اتصال بالدوائر الماركسية كما كان عضوا فى حزب مصر الفتاة• وبالرغم من عدم وضوح انتمائه الايديولوجى أو غياب أية أيديولوجية له على الاطلاق فانه يمكن تحديد التكوين الدينى لناصر على نحو سلبى • لم يكن محافظا مثل الاخوان ولا راديكاليا علمانيا أو ماركسـيا أو ليبراليا •

ولكن بعض الضـباط الاحرار كانوا أعضاء عاملين فى الاخـوان المسلمين كما كان البعض الآخر من المتعاطفين معهم • وقد كان هناك تعاون وثيق بين الثورة والاخوان قبل اندلاع الثورة • كما كان هناك تشابه بين منشورات الضباط الاحرار وبرامج الاخوان فيما يتعلق باستقلال البلاد والتحرر من الاستعمار الانجليزى والقضاء على الاقطاع والفساد ونقد الحزبيـة • ولما قامت الثورة ظن الناس أنها ثـورة الاخوان • فقد أفرجت الثورة عن المعتقلين السياسيين من الاخوان، لانهم مواطنون كافحوا الظلم ، واتجهت اليهم الثورة لانهم قوة ربيت على الحق ، كان يرجى منهم خيرا كثيرا(١٢) • اعتمدت الثورة على شعبية الاخـوان وعلى اتصالهم بالجماهير فوجدت فيهم معبرا نحـوها • وبالرغم من بقاء الصلة بين الثورة والاخـوان فى بدايتها الا أنهـا سببت غضب القوى الكبرى على الثورة • وبالاضافة الى اشتراك

---

(١١) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(١٢) المصدر السابق ص ٢١٧ ، فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير ١٩٥٤/٨/٢١ .

الضباط الاحرار من الاخوان مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ليلة الثورة فقد أرسل الاخوان آلاف من أنصارهم فى الشوارع لحراسة السفارات والقنصليات والاحياء الاجنبية وللتعبير عن التأييد الشعبى للثورة • كان الاخوان عيون الثورة على الداخل والخارج فى البداية •

(جـ) القرارات الدينية الرئيسية أو أثر التنمية على الدين :

يبين هذا العرض التاريخى للقرارات الدينية الرئيسية فى مصر منذ ١٩٥٢ — ١٩٧٧ كيف أن الدين لم يكن خارج التنمية وكيف كانت التنمية شاملة تضم الدين أيضا • كما يبين أثر التنمية على الدين أكثر مما يبين أثر الدين على التنمية • ومعظم هذه القرارات جمهورية مثل قانون الاحوال الشخصية وقانون تطوير الازهر • والبعض منها قرارات وزارية بناء على توجيهات من الرئيس مثل البرامج الدينية فى أجهزة الاعلام • لم تنشأ هـذه القرارات فى معظمها بناء على معارك سياسية بل بناء على رغبة فى الاصلاح ، وغالبا لم تحدث لها معارضة فى الداخل أو فى الخارج •

١ — الغاء المحاكم الشرعية :

صدر القانون رقم ٤٦١ لسنة ١٩٥٥ بشأن الغاء المحاكم الشرعية كما تنص على ذلك المادة الاولى «تختص المحاكم بالفصل فى كافة المنازعات فى المواد المدنية والتجارية والاحوال الشخصية والوقف والولاية عليه وجميع الجرائم الا ما استثنى بنص خاص • كما صدر القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بشأن الغاء المحاكم الشرعية والمحاكم المحلية واحالة الدعاوى التى تكون منظورة أمامها الى المحاكم الوطنية • وتبين المذكرة الايضاحية السبب فى هذا الالغاء وهو أن تقضى قواعد القانون العام

أن تكون سيادة الدولة تامة ومطلقة داخل بلادها . كما تقضى بأن يخضع جميع السكان على اختلاف جنسياتهم لقوانين البلاد ومحاكمها ولجهة قضائية واحدة بصرف النظر عن نوع المسائل التى تناولتها خصوماتهم أو القوانين التى تطبق عليها . وقد كان الحال فى مصر قبل اصدار هذا القانون عكس ذلك ، تعدد الجهات القضائية دون صلة أو رابطة بينها ، محاكم شرعية ، وقضاء عالى ، ثم أصبحت لكل طائفة قضاؤها الخاص . فنشأ تنازع بين المحاكم . وبعد الغاء الامتيازات كان من الطبيعى خضوع الرعايا الاجانب للقوانين الوطنية تحقيقا للسيادة القومية . كانت للطوائف غير الاسلامية أربعة عشر مجلسا لا تنعقد الا فى فترات متباعدة ، وقوانينها باليونانية والعبرية أو السريانية أو الارمنية أو القبطية التى لا يفهمها غالبية المتقاضين . ولما كانت الثورة قد قامت لتحقيق أهداف البلاد فى الاصلاح والقضاء على الفساد فى شتى نواحيه فان العقبات المتقدمة ما كانت لترد الحكومة عن أداء واجبها فى اقامة صرح القضاء . وهى مطالبة بتوفير سبل التقاضى لجميع رعاياها دون تطرف أو تحيز . ولهم قبلها ما يقتضيها باعباء الاصلاح ولو لم يصادف هوى البعض . وليس للحكومة أن تسلم بوجود هيئات قضائية داخل الدولة تملى عليها ارادتها أو تناهض سياسة الاصلاح فيها أو تتحكم فى طريق الاصلاح(١٣) . ولم تظهر أية معارضة من جانب رجال الدين . بل على العكس قام شيخ الازهر مع بعض المشايخ بتهنئة ناصر على أخذه هذه « الخطوة التحررية » نحو اصلاح النظام القانونى فى مصر . لم يحبذ الاسلام نظاما قانونيا خاصا لتطبيقه بين الناس . كما أن الاسلام لم يضع

---

(١٣) M. Bayyoumi, Op. Cit., P. 558 — 61.

أية قواعد لتحديد الصلة بين الحاكم والمحكوم أو تحديد المسموح به من غير المسموح به ! ان أساس القانون الاسلامى هو أساس أخلاقى وليس أساسا شرعيا ! فبدلا من الضبط الشرعى هناك الوعى الخلقى ! ولقد تم الغاء المحاكم الشرعية ليس باسم الدين بل للقضاء على مآسى المحاكم الشرعية ومضارها على الناس • ومع ذلك ظلت المآسى قائمة فى قانون الاحوال الشخصية •

٢ ـ قانون الاحوال الشخصية :

صدر القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ ببعض الاجراءات فى قضايا الاحوال الشخصية والوقف والتى تختص بها المحاكم بمقتضى القانون السابق • فهو قانون مكمل له • فبعد الغاء المحاكم الشرعية اقتصرت القوانين الشرعية على قانون الاحوال الشخصية • وينص قانون الالغاء على أن الاحكام فى المنازعات التى كانت من اختصاص المحاكم الشرعية تصدر طبقا لارجح الاقوال من مذهب أبى حنيفة عدا الاحوال التى وردت بشأنها قواعد خاصة(١٤) • وتنص المادة الاولى على أنه يجوز للنيابة العامة أن تتدخل فى قضايا الاحوال الشخصية التى تختص بها المحاكم الجزئية وفى كل قضية أخرى تتعلق بالاحوال الشخصة أو بالوقف والا كان الحكم باطلا • ومازال النقاش دائرا حول قانون الاحوال الشخصية • وقد رفعت السلطة السياسية يدها عنه حتى تبين مقدار ما يتمتع به الناس من حرية وديمقراطية • تركت

---

(١٤) قانون الاحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين ، المطبوعات الرسمية •

الجدل لرجال الدين لتكون لهم اليـــد العليا فى مثل هذا الموضـــوع اللاسياسى • فقانون الاحوال الشخصية قانون خاص لا شأن له بالحياة العامة الاجتماعية أو السياسية • فالخير والشر والتقدم والتأخر كلهـــا مسائل تقليدية لا شأن لها بالسياسة ! لم تدخل القيادة السياسية معركة قانون الاحـــوال الشخصية وتركتها لرجال الدين نظرا لانها لا ينتج عنها أى مضمون سياسى • وبناء على استفسار من أحد أعضـــاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية لشرح الميثاق عن المقصود بمساواة المرأة بالرجل وما مداه وحدوده ، وهل ستكون مقيدة بالقيود الشرعية وخاصة فى الميراث ، وهل يتعارض ذلك مع الاديان ، أجاب ناصر بأنه لا يتدخل فى الشرائع السماوية وعلاقتها بالاحـــوال الشخصية ولكن يجب مساواة المرأة بالرجل ، ويجب أن تأخذ فرصـــة كى تحافظ على نفسها وتعمل • فالمرأة التى تعول أولادا أو المرأة المحتاجة الى عمل أو غير المتزوجة قد تنحرف ، ولكن فرصة العمل للمرأة حماية لنفسها وللمجتمع • والمرأة أساس المجتمع لانها تمثل الام والاخت والزوجة • لا تعنى المساواة أن تتزوج المرأة بأربعة كما أثار البعض فى الصحف لان ذلك ضد الاسس الاجتماعية والاديان • قـــد تكون المـــرأة فى الوزارات ، وقد تكون عضـــوا فى مجلس الامة • وهى موجودة فى مؤتمر القوى الشعبية • المرأة تتعلم وتبنى ، وهى نصف المجتمع • أما فى النواحى الدفاعية فهذا أمر آخر • وهنا تبدو النظرة النسبية للمرأة من جديد وتحديد نشاطها فى ميدان دون ميدان •

أما فيما يتعلق بالنواحى الشرعية فانتعدد الزوجات تتم ممارسته بطريقة خاطئة • اذ يكذب الرجل على زوجته الثانية ويخبرها بأنه غير متزوج • وهذا ليس من الشرع أو الدين • هـــذه أشياء ممكن اصلاحها

بعد بحثها • فليتزوج وليكن صادقا ويقول انه متزوج وطلق أو تزوج اثنتين أو ثلاثة حتى لا يغرر بفتاة بريئة مسكينة قد تكون أخت كل مواطن أو ابنته • هـذه هى الشريعة • فالفتاة التى تتزوج ثم تكتشف أن زوجها متزوج من قبل تكون حياتها قد انتهت تماما • الممارسة الحقيقية للشريعة هى سبيل الاصلاح دون المساس بها • ولكن لا تكون العصمة بيد المرأة ، وهذا الموضوع متروك للشريعة تدلى فيه برأيها • انما المهم أن يكون للمرأة حياة كريمة وشريفة • ولكن وزير العدل يحبذ أن تدخل المرأة قاضية فى جميع المحاكم ماعدا الجنايات والنقض سيرا فى رفع القيود المهنية على المرأة •

وفى مناقشات المؤتمر القومى ذكرت د• زينب السبكى أن المرأة شاركت الرجل فى الحروب منذ أيام الرسول ولكن الرئيس لم يرد ولم يعقب مما يدل أن الدين لم يكن لديه سلاحا فى معركة المساواة الرجل بالمرأة بل لم تكن معركة على الاطلاق بل مجرد تعبير عام واقرار لواقع بديهى خالص(١٥) • وبعد ١٩٧٠ لم يعد موضوع المرأة هو حقوقها بل ايمانها • فقد نشأت المرأة العربية على الارض التى كانت مهبط جميع الرسالات السماوية فأخذت عنها الايمان العميق بالله • كانت خديجة أول من تلقى نبأ الوحى والرسالة • وهناك أسماء بنت أبى بكر وغيرها فى التاريخ العربى الاسلامى القديم والحديث ، طريق المرأة هو طريق الحرية والحق والفضيلة والايمان • ان المرأة المثقفة المؤمنة أغلى جوهرة تهدى لامتها لما تضيفه على بيتها وأبنائها من هدى.

---

(١٥) س ج ٢ ص ١٣٥ ج ٤ ص ٣٤١ — ٣٤٥ ج ٥ ص ٣ — ٤ (مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات ، وزارة الاعلام ، الهيئة العامة للاستعلامات) •

الايمان الذى يشع فى الاسرة كلها نورا • وقــد شهدت مصر الاسلامية من فضليات النساء الكثيرات(١٦) •

ولكن فى موضوعات أخرى لم تحدث معارك قبل تحديد النسل • صحيح أنه انشىء مركز الســكان وتنظيم الاسرة ولكنه لم يتجاوز اجراء بعض البحوث عن توزيع السكان فى مصر • ولم تنشأ توعية دينية من أجل تحديد النســـل ولم تصدر أى فتوى رسمية فى صفه • ولكن ذلك لم يمنع من تقلبات المنظرين فيه تؤيده ، وتورد فيه الحجج النقلية والعقلية ، وترد على الحجج المضادة ، ولكن لم تشتعل المعركة • وذلك لان القيادة السياسية تركت الامر مفتوحا على الخيــار ولم تأخذ فيه جانب دون جانب مما يدل على أن الدين كعامل فى التنمية لم يكن حاسما أو مقصودا(١٧) •

٣ ـ الغــاء الوقف :

لقد صدر قانون الغاء الوقف رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ من أجــل استثمار قطع كبيرة من الاراضى ومبالغ كبيرة من المال بدلا من ابقائها بلا استثمار أو زيادة خدمة للناس وانتفاعا بهــا وحرصا على بقائها وزيادتها • وبالتالى شــيدت أبنية عديدة ، واستثمرت الاموال فى البنوك • فزادت الاعمال الخيرية وأصبحت أكثر نفعا خاصة فى مشاريع

---

(١٦) ناصر جـ ٥ ص ٤٤٣ خطاب ومناقشات مع الشباب فى معسكر منظمة الشباب الاشتراكى العربى بحلوان ١٩٦٥/١١/١٨ .

(١٧) المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٨ ، ص ٥٥٨ جـ ٥ ص ٦٦٩ .

الاسـكان . وأصبح الوقف ليس فقط موضوعا للاستهلاك بل أيضا موضوعا للاستثمار . ولم تحدث معارك حول هذا الموضوع . بل أنه بعد ١٩٧٠ ظهر تسيب فى أموال الوقف وممتلكاته ، وحدثت سرقات ومبايعات صورية وعمولات فيمـا يسمى بقضية المغربى التى يحتمل أن يكون الشيخ الذهبى قد ضحى بحياته بسببها . فقد كان أول من نبه على هذه الاختلاسات .

٤ ـ قانون تطوير الازهر :

صدر قانون تطوير الازهر فى ٥ يوليو ١٩٦١ رقم ١٠٣ بشـأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها معترفا بالازهر وبهيئاته ، والغـاء للقوانين السابقة رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ . فالازهر « هو الهيئة العلمية الاسـلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره . وتحمل أمانة الرسـالة الاسلامية الى كل الشـعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضـارة وكفالة الامن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا وفى الآخرة . كما تهتم ببعث الحضارة العربيـة والتراث العلمى والفكرى للامة العربية ، واظهار أثر العرب فى تطور الانسانية وتقدمهـا . وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والاهداف القومية والانسانية والقيم الروحية ، وتزويد العالم الاسـلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصـل بالشريعة الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين متفقهين فى الدين ، يجمعون الى الايمان بالله والثقـة بالنفس وقـوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عـالم الدين

للمشاركة فى كل أسـباب النشاط والانتاج والزيادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسـنة • كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والعربية والاجنبية »(١٨) •

الهدف اذن من التطوير هو حفظ التراث وتنقيته ونشره ، ونشر الدعوة الاسلامية واظهار الدور التقدمى للاسلام فى رقى الشعوب ، وبيان حضـارة العرب والاعتزاز القومى بها • والاهم من ذلك كله اعداد جيل جديد من العلماء يجمـع بين علوم الدين وعلوم الدنيا أو كما يقال بلغة القدماء بين علوم النقل وعلوم العقـل • ولكن يظل الازهر تابعا لرياسة الجمهورية ، ويعين وزير لشئون الازهر بقرار جمهورى ، وبالتالى فهو ليس هيئة مستقلة • ومن ثم يسـهل على الدولة اعطاء توجيهاتها الى شيخ الازهر • وهـو أيضا معين بقرار جمهورى تتجمع السلطات كلها فى يده • فهـو الامام الاكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينيـة والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسـلام • وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية فى الازهر وهيئاته • وفى نفس الوقت هـو موظف فى الدولة يأتمر بأوامرها ، ويبرر قراراتها • ويرأس المجلس الاعلى للازهر • وان لم يكن شـيخ الازهر قبل تعيينه عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ، وهو الشرط الوحيد لتعيينه ، فان لرئيس الجمهورية الحق فى تعيين شـيخ أزهر من خارج المجمع ويصبح بقوة التعيين عضوا فى المجمع أى أن هـذا الشرط الوحيد وهو شرط العـلم ، ليس ملزما لرئيس

---

(١٨) مجلة الازهر ، العدد العاشر ، ملحق العدد .

الجمهورية • ولشيخ الازهر حق مقاضاة نظار الاوقاف • كما يعين وكيل الازهر أيضا بقرار جمهورى ويشترط أن يكون عضوا بالمجمع • ولكن رئيس الجمهورية له الحق فى تعيين الوكيل من خارجه • بالتالى يصبح عضوا فى المجمع بقوة القرار الجمهورى • لذلك يثار هذه الايام سؤال : لماذا لا يتم انتخاب شيخ الازهر من المجلس الاعلى للازهر أو من مجمع البحوث الاسلامية أو من هيئة كبار العلماء أسوة بانتخاب بابا روما ؟

ويشمل الازهر الهيئات الآتية :

(أ) المجلس الاعلى للازهر • ويتكون من شيخ الازهر وله رياسة المجلس ، ووكيل الازهر ، ومدير جامعة الازهر ، وعمداء الكليات بجامعة الازهر ، وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار جمهورى بناء على ترشيح شيخ الازهر لمدة سنتين ، وأحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من وزارات الاوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة بقرار من الوزير المختص ، ومدير الثقافة والبحوث الاسلامية ، ومدير المعاهد الازهرية ، وثلاثة أعضاء من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى يكون أحدهم على الاقل من أعضاء المجلس الاعلى للجامعات ويعين بقرار من الوزير المختص بناء على أخذ رأى المجلس وترشيح الازهر لمدة سنتين • ويختص المجلس الاعلى للازهر بالتخطيط ، ورسم السياسة العامة للازهر ، ورسم السياسة التعليمية ، والنظر فى الميزانية ، واقتراح انشاء الكليات والمعاهد ، وقبول الاوقاف والوصايا والهبات ، والنظر فى كل مشرع قانونى أو قرار جمهورى يتعلق بالازهر ، والنظر فى منح

العالمية الفخرية ، وتشكيل اللجان الفنية الدائمة ، وتدبير أموال الازهر ، والنظر فى كل ما يعرضه عليه شيخ الازهر .

(ب/ج) مجمع البحوث الاسـلامية وادارة الثقافة والبعوث الاسلامية . وهى الهيئة التى تقوم بالبحث والدراسة وتحقيق أهداف الازهر العلمية « تعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الفضـول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة »(١٩) . ويتألف المجمع مما لا يزيد على خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام يمثلون جميع المذاهب الاسـلامية ، منهم عشرون من خارج الجمهورية العربية المتحدة . يعينون بقرار من رئيس الجمهورية . يرأسه شيخ الازهر ، ونصف الاعضاء متفرغون .

(د) جامعة الازهر . وتختص بكل ما يتعلق بالتعليم العـالى وبالبحوث ، وتحقق رسالة الازهر المنصوص عليها فى الباب الاول . وتتكون من كليات للدراسات الاسلامية ، وكلية للدراسات العربية ، وكلية المعاملات والادارة ، وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب . ويجوز انشاء كليات أو معاهد أخـرى بقرار من رئيس الجمهورية . وتتكون كل كلية من عدة أقسام . اللغة العربية هى لغة التعليم الا بقرار من مجلس الجامعة ينص على لغة أخرى . والتعليم

---

(١٩) المصدر السابق ، ملحق العدد .

بالمجان للطلاب المسلمين بصرف النظر عن جنسياتهم • ويجوز توقيع العقوبات التأديبية على أعضاء هيئة التدريس ابتداء من الانذار واللوم حتى العزل والحرمان • وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الاسلام أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل • وكل من يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين يطلب نقلهم الى وظائف أخرى خارج نطاق الازهر •

(هـ) المعاهد الازهرية • وتشمل الاقسام الابتدائية وتسمى المعاهد الاعدادية ، والاقسام الثانوية وتسمى المعاهد الثانوية • وتقوم مدرسة تحفيظ القرآن مقام المرحلة الاولى • والغرض من المعاهد الازهرية « تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الاسلامية ، والى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الاخرى المماثلة ليخرجوا الى الحياة مزودين بوسائلها واعدادهم الاعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الازهر ولتهيأ لهم جميعا فرصا متكافئة فى مجال العمل والانتاج كما تهيأ لهم الفرص المتكافئة للدخول فى كليات الجامعات الاخرى • وتذكر القيادة السياسية هذه الانجازات فى خطبها السياسية تأكيدا على دورها فى التنمية الدينية • فبعد خمس سنوات من قيام الثورة وفى التعليم الدينى كانت ميزانية الازهر ٥٥٠ر١٣٩١ر١ جنيها وأصبحت ٦٠٠ر١٥٣ر٢ • وكان للازهر ٢٥ معهدا أصبحت الآن ٣٧ • وكان فيه ١٣٥ر٢٢ طالبا أصبح فيه ٥٥٦ر٣١ وفى مصر الآن من البلاد العربية والاسلامية ٢٠٠ عالم ومبعوث • ويبنى الازهر مدينة للبعوث الاسلامية وتتكلف ٢ مليون جنيه(٢٠) • وقد تم رصد

---

(٢٠) موسوعة ناصر للفقه الاسلامى ج ١ •

خمسة ملايين جنيه لمشروعات الازهر الجديدة فى الخمس سنوات القادمة ، وانشاء معاهد زراعية وتجارية وصناعية لاول مرة تابعة للازهر(٢١) •

وفى ١٤ مايو ١٩٧٥ تم بحث تعديل قانون تطوير الازهر وذلك بتقديم المجلس الاعلى للازهر مشروعا بتعديل بعض مواد قانون التطوير ١٩٦١ • ويستهدف التعديل دعم المركز الدينى العالمى للازهر وتمكينه من أداء رسالته فى الداخل والخارج •

وقد حدثت عدة شروح وهوامش على القانون من بعض المسئولين • فقد أعلن د• البهى وزير الاوقاف عن تخرج أئمة متخصصين للمصانع والمؤسسات العمالية بعد ادخال الدراسات الجديدة فى جامعة الازهر لتخريج أزهريين مؤهلين متخصصين للعمل أئمة ومصلحين وروادا عماليين فى المصانع والمؤسسات والنوادى العمالية • كما تقرر انشاء شعبة جديدة للدعوى العمالية لهذا الغرض من الخريجين الممتازين فى كليتى أصول الدين والشريعة الاسلامية وسيدرس هؤلاء الخريجون جميع النظريات الاقتصادية العالمية دراسات مقارنة مع المبادىء الاسلامية • كما سيدرسون الخدمة الاجتماعية العمالية ، ونظم العدل والأنتاج ، والقانون العمالى ، واللغات ، والمواد التعاونية • وكان السيد حسين الشافعى قد أعلن من قبل بعد وضع حجر الاساس لجامعة الازهر أنها مقر جديد ، وتجعل الفكر الاسلامى ايجابيا وفعالا يتصدى لكل تحديات المستعمرين ضد الاسلام والمسلمين فى شجاعة وحزم

---

(٢١) التربية الدينية ، وزارة التربية والتعليم ، المراحل الاولى والثانية والثالثة . انظر أيضا « ورقة اكتوبر » .

لا يعرف الهزيمة ولا التردد • ان تطور الازهر يعتبر عملا ثوريا تقضى به الثورة على آثار المستعمر • فقد أعادت الثورة العقيدة الى المجتمع • ولابد للقوة من عقيدة تدفعها كما لابد للعقيدة من قوة تحميها • وسوف يعطى هـذا التطوير الطالب الازهرى مزيدا من الطاقات العلمية والاسلامية(٢٢) •

٥ ـ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية :

أنشأ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى ١٩٦٠ • وامتد نشاطه الى جميع أرجاء العالم الاسلامى والوطن العربى وجميع القارات للتعريف بالاسلام واحياء التراث الاسلامى • وقد نشر المجلس موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى سدت فراغا كان موجودا • ويصدر شهريا سلسلتين : الاولى « دراسات فى الاسلام » ، والثانية « كتب اسلامية » • كما يصدر كل أول شهر مجلة « منبر الاسلام » • وبجانب طبعتها العربية تصدر طبعات أخرى بالانجليزية والفرنسية والاسبانية • وقد جمع المجلس القرآن الكريم جمعا صوتيا (المصحف المرتل) ، وأوفد بعثات الوعظ والارشاد وتعليم اللغة العربية وأنشأ المراكز الاسلامية فى أرجاء العالم • وابتداء من يونيو ١٩٦٠ حتى يوليو ١٩٦٠ تم توزيع أربعة ملايين نسخة من المطبوعات على العالم الاسلامى، وثمانية آلاف نسخة من القرآن المرتل ، وسبعمائة ألف اسطوانة صلاة • هذا بخلاف ما تم توزيعه داخل الجمهورية العربية المتحدة •

وينقسم المجلس الى عدة لجان : لجنة التعريف بالاسلام ، لجنة

---

(٢٢) الاهرام ، مايو ١٩٧٧ •

احياء التراث الاسلامى ، لجنة الخبراء ، لجنة احياء مصـادر كتب السنة ، اللجنة العامة للقرآن والسنة ، لجنة تجديد مبادىء الشريعـة الاسلامية .

وقد أنشأ هـذا المجلس نظريا كجزء من وزارة الاوقاف ولكنه عمليا يتبع رئاسـة الجمهورية مباشرة مثل « المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ، « ولجنة الطاقة الذرية » ، « وأكاديمية البحث العلمى » . وكان الغرض من انشـائه البحث عن الاحلاف فى أول الثورة المصرية ومحاولتها الخروج عن حدود مصر ، وفى وقت لم تبرز فيه القومية العربية بعد وكانت الوحدة الافريقية مجرد افتراض . ونظرا لان الدول الافريقية المستقلة كانت معـدودة على أصابع اليد الواحدة فانه لم يعد أمام الثورة المصرية الا الدائرة الثالثة ، دائرة العالم الاسلامى . ولم يتجاوز نشاط المجلس عن مبنى جميل فى حى راق ، وهـو حى الزمالك ، ومركز مرموق ومؤسسة غنية ، لا تخضع للرقابة واسم واسـع الشهرة فى العالم الاسلامى أو المسيحى الغربى . كان السادات أول رئيس له ، وعويضة آخر رئيس اتهم بمخالفات مالية وفسـاد ادارى ومقدم الآن للمحاكمة . لم يتعد نشاط المجلس بعض الرحلات والزيارات للبلاد الاسلامية وتبادل البعثات الدينية مع بعض المؤسسات الدينية الاخرى مثل السكرتارية لغير المسيحيين فى روما التى تمت اقامتها بعـد المجمع المسكونى الحادى والعشرين الاخير . وعلى أحسن الفروض أعطى المجلس مئات من نسخ القرآن والكتب الاسلامية خاصة للبلاد الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ومجلة منبر الاسلام ، وهى مجلة تقليدية لا أثر لها على الحياة الدينية أو السياسية فى مصر ، وسلسلة الكتب الاسلامية سواء من التراث القـديم أو من المؤلفات المعاصرة ، سواء باللغة العربيـة أو باللغات الاوربية من أجل عرض

الاسلام ، عقيدة وشريعة الى المسلمين غير الناطقين بالعربية أو الى غير المسلمين فى الغرب بوجه عام ، وذات طابع تقليدى . أما موسوعة « ناصر » للفقـــه الاسلامى فانها دائرة معارف تقليدية للفقه الاسلامى ، ولا صلة لها بالثورة الا من خلال اسم ناصر(٢٣) .

ويبدو من أسماء الكتب القومية التى نشرها المجلس مثل « الميثاق الوطنى » ، « شريعة العدل شريعة الله » ، « وحدة الهدف قبل وحدة الصف » ، « دراسات فى الميثاق » ، « رسالة الى اليمن » ، « اخوان الشيطان » ، « ، وثيقة للتاريخ » .. الخ الهدف السياسى منه،وملاحقته للاحداث السياسية ، وسيره فى ركاب السلطة ، تملى عليه ما يفعل ، وتوجه نشاطه .

ودخل المجلس معركة الاسلام والاشتراكية ليس بالضرورة بتوجيه من السلطة ولكن لان الخادم يعرف من تلقاء نفســـه ما يريده السيد . فقد صدرت فى سلسلة الرسائل والدراسات الاسلامية : « دراســات فى الاسلام » ، « الاســلام والمذاهب الاقتصــادية » ، « اشتراكية الاسلام واشتراكية الغرب » ، « الربا بين الاقتصاد والدين » ، « مجتمعنا الجديد والشريعة الاسلامية » ، « الفرد فى المجتمع الانســانى » ، « الملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام » ، « المساواة فى الاسلام والمدنية الغربية » ، « دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام » ، « النظــام الاقتصادى والاسلام » ، « الاسلام والتحرر من الجوع » ، « الاسلام ومنهجه فى الاقتصاد والادخار » . ومن سلسلة كتب اسلامية صدر :

---

(٢٣) أمانة الدعوة والفكر ، مكتب الشؤون الدينية ص ٣١ .

« الاشتراكية العربية فى حدود الاسلام والواقع العربى » ، « التكامل والضمان الاجتماعى فى الاسلام » ، « فلسفة الحرية فى الاســلام » ، « أثر التشريع الاسلامى فى الوحدة العربية » ، « الحرية عند العرب » ، « العمل فى الميثاق » • وكلها صدرت فى وقت المد الاشتراكى العربى •

٦ ــ التربية الدينيــة :

لقد نص الدستور المصرى لســنة ١٩٥٦ ولسنة ١٩٦٤ الصادر فى ٢٥ مارس على أن الاســلام هو الدين الرسمى للدولة • اذ تقول المادة الخامسة : الاســلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية • لذلك أصبحت التربية الدينية اجبارية فى كل المدارس للمسلمين والاقباط على الســواء • وتقــول المادة السابعة : « الاسرة أساس المجتمع قوامها الدين والاخلاق والوطنية » • ويعلل الرئيس ذلك بأن مصر من أكثر البلاد تمسكا بالدين باعتراف كل الناس • فان القانون الجديد للتعليم جعل تعليم الدين بالنسبة للديانات المختلفة مادة أســاسية لان الدين هــو الوازع • لقد تعلم الناس الدين من الاسرة ، وتعلموا الفرق بين الحلال والحرام ، وتوارثوا هذا أبا عن جد • فالمسلم لا يكون مسلما بالبطاقة ولكن بالتعليم وحفظ القرآن • ويظهــر نفس الموضــوع بعد ١٩٧٠ • فردا على سؤال طالبة لماذا لا يدرس الدين فى الجامعات نظرا لاحتياج الشــباب للناحية الدينية ، ولماذا لا تحسن مستوى اللغــة العربية التى هى فى انهيار مستمر لدرجــة امتلاء الكتب الجامعية بأخطاء لغوية وبالرغم من وجود مجمع اللغة العربية وهو مجرد برج عاجى يعيش بعيدا عن مشــاكل اللغة ؟ استحسن الرئيس السؤال ، وأثنى على صاحبته ، وكلف د• شمس بتولى تنفيذه بالنسبة للدين واللغة العربية والتربية القومية قبل السنة الدراسية القادمة • وهنا

تبدو المزايدة المتبادلة من السائل والمجيب ، واغفـال الواقع العربى ذاته بكل مشاكله ، وطلب حماسى مكشـوف • وتزداد حمى التربية الدينية بعـد ١٩٧٠ • فقد أنشئت لجنة التربية الاسلامية لبحث التربية الاسلامية ومناهج تعليمها ومراجعة شاملة لكتبها • أصبحت التربيـة والاخلاق مادة أساسية للتعليم فى المدارس بقرار آخر من المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا ! ودعا الازهر لتطوير التعليم الدينى بالجامعات • واقترح جعل مادة التربيـة الدينية من مقررات الجامعة على كل المستويات وفى كل الكليات • وتم تكليف الازهر بتولى التوجيه الديى بالجامعات لتصحيح المفاهيم وتعبئـة الشباب دينيا والقضـاء على الفراغ الدينى لديهم وعلى الانحرافات الاخلاقية البارزة • كما أصبح من واجباته التصدى لمحاولات الغزو الفكرى والالحاد ، وادانة الشغب ! ويشـكل لجنة لمواجهة حوادث ١٨ / ١٩ نابر ١٩٧٧ دفاعا عن الحكومة ، وتأييدا لقرارات زيادة الاسعار التى تخلت عنها الحكومة فيما بعد • وقد بلغ الامر الذروة بموافقـة مجلس الدولة بتاريخ ٧٧/٨/٦ على مشروع قانون باقامة حد الردة القاضى باعدام المرتد عن الاسلام عمدا بقول صريح وبفعل قطعى وبعشرة سنوات لمن ارتد أكثر من مرة وبعقوبات رادعة اذا وقعت الردة من قاصر ! وتثبت الردة بالاقرار مرة واحدة أو بشهادة رجلين ومنع المرتد من التصرف فى أمواله !

وفى الحمية الدينية الاخيرة أصبحت عبارة تطبيق أحكام الشريعة تجلب التصفيق والمزادة واستجداء الشـعبية الرخيصة • ففى ابريل ١٩٧٦ أعطيت توجيهات لوزارة الثقافة والاعـلام فى اتجاه تطبيق أحكام الشريعة الاسـلامية • وفى أغسطس من نفس العام ظهرت برامج فى أجهزة الاعلام للتعريف بالشريعة الاسـلامية تمهيدا لجعلها

مصـــدرا للتشريع • وناقش مجلس الشعب قانون تحريم الخمر وقطع يد السارق تمهيدا لاصـــدار قانون يستثنى منه العرب والاجانب خدمة للســـياحة !

وتشـــمل مقررات الدين بالمرحلة الابتدائية القرآن والعقـــائد والعبادات والسيرة والتهذيب • ويشـــمل التهذيب فى السنة الاولى محبة الوالدين والرفق بالحيوان ، وفى الســـنة الثانية محبة الاسلام والنظام وآداب المنزل ، وفى السنة الثالثة النظـــام وآداب الطريق والمدرسة وحب الاصـــدقاء والجيران والصدق ، وفى الرابعـــة يبرز موضوع الادخار • وفى المرحلة الاعدادية تقدم التربيـــة الدينية نفس الاقسام الخمســـة ، يضم التهذيب موضوعات المحافظة على المرافق العامة ، وأدوات الانتاج ، والاعتدال فى الانفاق ، والحد من الاستهلاك ، وآداب الصحبة ، والاخوة والتضامن الاسلامى • وفى الصف الثالث الاعدادى يتسع التهذيب أكثر فأكثر ويشمل احترام العمل والاخلاص فيه ، والمحافظة على أدوات الانتـــاج وصيانتها ، والمحـــافظة على الاموال العـــامة ورعاية الآخرين والبعد عن الايذاء ، وآداب المعاملة فى البيع والشراء ، وحفظ الودائع ورد الامانات • ويتضح من مضوعات التهذيب الموضوعات الاجتماعية التى أبرزتها الثورة • وبالاضافة الى التربية الدينية هنـــاك أيضا التربية القومية • يشمل منهج الصـــف الخامس الابتدائى تعريف بالجمهورية العربية المتحدة ونظـــام الحكم فى الدولة • ثم تتحدث عن المقومات الاساسية للمجتمع وعلى رأسها التمسك بالدين والاخلاق • ولكن تظل باقى المواد مثل ثروة الوطن والمشـــكلات القومية والوطنية والقوات المسلحة والثورة لها الاغلبية على المواد الدينية • ولا يشمل القرار فى المرحلة الاعدادية شـــيئا من

القيم الدينية بل كلها مقومات الثورة وتاريخ الثورات المصرية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والقومية العربية • ثم تظهـر بعض القيم الدينية فى المرحلة الثانوية المستحدثة من ورقة أكتوبر مثل دولة العلم والايمان ، والتمسك بالقيم الروحية والدينية(٢٤) • ويدل هـذا التمييز بين التربية الدينية والتربية القومية بالرغم من تداخلهما على النزعة الاصلاحية النسـبية التى تدخل بعض الجوانب الاجتماعية فى التربية الدينية وتدخل بعض القيم الدينية فى المقررات القومية دون التوحيد الشامل بينهما كما هو الحال فى الثورات الاكثر جذرية •

٧ ــ الموضوعات والبرامج الدينية فى ميادين الثقافة وأجهزة الاعلام:

لقد امتد نشاط القطاع العام الى ميدان الثقافة والاعلام • فقـد أنشئت الدار القومية للطباعة والنشر والتى تسمى الآن « الهيئة العامة للكتاب » ، وزادت كمية النشر للكتب الدينية • وأصبحت سلسـلة « تراثنا » من أشـد الكتب رواجا مما يدل على أن المثقفين لم يجدوا شيئا يقرؤنه أفضـل من تراثهم القديم • كانت التنمية الاقتصادية موازية لسلفية الثقافة • كما أنشئت عدة سلاسل اسلامية لعرض وجهات النظر الاسلامية فى الموضوعات السياسية والاجتماعية التى تثيرهـا القيادة السياسية مثل التحرر من الاستعمار ، العدالة الاجتماعية ، المساواة • وقد راجت هذه الكتب مما يدل على أن التنمية فى المجتمع من الداخل ذات أثر فعال • كما ظهرت عدة مجلات اسـلامية جديدة وبالرغم من طابعها التقليدى الا أنها تعبر عن الحماس الدينى للمثقفين •

---

(٢٤) امانة الدعوة والفكر ، مكتب الشؤون الدينية . وايضا مجلة « الاتحاد الاشتراكى العربى » ، العدد الثالث .

وقد خصصت الصحف اليومية صفحات خاصة للدين يوم الجمعة من كل أسبوع • وبالرغم من طابعها التقليدى أيضـــا الا أنها تعبر عن الرغبة فى التغير من خلال الاستمرارية • وقد أخذت احدى هـــذه الصفحات الدينية مرة الموضوع على نحو جدى وبدأت فى نقد التجارة بالدين والطرق الصوفية ورجال الدين فتوقفت فى الحـــال وعزل محررها • وهـــذا يدل على أن أى عمل جاد فى الدين كعامل للتنمية أكثر ممـــا يتطلبه النظام السياسى • فالدين يأتى خلف التنمية وليس قبلها • تأتى المبادرة من السياسة ويترك التبرير للدين •

وفى أجهزة الاعلام أنشئت محطة خاصـــة للقرآن الكريم ففى ١٩٦٤/٣/٢١ بدأت اذاعة القرآن ارســـالها لكافة المســـلمين • وهى متخصصة فى اذاعة القراءات مع الشرح والتفســـير للقرآن الكريم • واستمر معدل ارسالها من ٦٤ / ٦٥ حتى ٦٦ / ١٩٦٧ بمعدل ١٤ ساعة يوميا • كما أذيعت برامج دينية خاصة مثل « نور على نور » ، وأخيرا العـــلم والايمان • ويؤذن للصـــلوات الخمس اليومية فى الاذاعـــة والتليفزيون • وتذاع صلاة الجمعة والاعياد بحضور القيادة السياسية على رأس الاحتفالات والمواكب الرسمية • وكان الهدف من هـــذه المحلات الدينبة هو اضفاء الشرعية على القيادة السياسية بمشاركتها الجماهير فى شعائرها الدينية • وفى مناقشات المؤتمر القومى العـــام يؤكد الرئيس على أعمال الثورة بالنسبة للدين ، والاكثار من المواد الدينية فى الاذاعة والتليفزيون ، وعلى انشاء محطة خاصة لاذاعـــة القرآن والتفسير • وفى ١٤ مايو ١٩٧٧ فتح اكتتاب لصالح اذاعـــة القرآن الكريم لتطوير اذاعة القرآن على مدى ٢٤ ساعة يومية بدون توقف • ووضع حسين الشافعى فى ١٩٦٤/٣/١٤ الحجر الحجر الاساسى

لانشـــاء دار القرآن ، وخصصت له ميزانية ١٥٠ ألف جنيه لنشر التراث القرآني(٢٥) •

وقد قام مكتب الشئون الدينية بالاتحاد الاشتراكي العربي بمهمة مماثلة • وكان الهدف من انشائه اعداد البحوث المختلفة فيمـا يختص بالعلاقة بين الدين والاشتراكية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا حتى يؤمن كل فرد بأن اشتراكيتنا علمية لا تتنافى مع تعـاليم الاسلام • وكذلك التصدى للفئات الضالة المعرقلة من الرجعيين ، من يســتغلون الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وكشف خروجهم على الدين ومفاهيمه ، وكذلك القضاء على الاسرائيليات التى يراد بها الاضرار بالاسلام وصيانة الدين من دعايات المستشرقين • ويعقد المكتب عدة اجتماعات اسبوعية مـع علماء الاسلام من مفتشى المساجة وأئمتهـا ورجال الوعظ والارشـاد ومشايخ أروقة البعوث الاسلامية والمهتمين بالمسائل الدينية من أسـاتذة الجامعات وغيرهم من العلماء والمثقفين ورجال الدين المسيحى وذلك لشرح المفاهيم الاشتراكية والرد على معارضيها • كما يعقد المكتب اجتماعات عامة بأكبر عدد ممكن من علماء المسلمين ورجال الدين المسيحى • بالاضافة الى عـدة اتصالات فردية عن طريق زيارات الكبار من رجـال الازهر والاوقاف والبطريركية القبطية ولبعض الجمعيات الاسلامية • وكانت خطـة المكتب تنظيم محاضرات خاصة وعامة للربط بين الحقائق الدينية والمقاصد الاشتراكية، واعداد ندوات لها صبغة اشتراكية روحية ، واعداد منشورات وتوزيعها

---

(٢٥) نماذج عديدة من مكتبة الامام ، وزارة الاوقاف ١٩٦٨ — ١٩٧٠ تقديم حسين الشافعى . العدد الاول من السلسلة ص ٩ — ١٢ .

تربط بين الاشتراكية الدين ، والاستعانة بالاعيـاد الدينية كشـهر رمضان وعيد رأس السـنة الهجرية والمولد النبوى لالقاء محاضرات أو عمل ندوات لربط المناسبة الدينية بخير المجتمع ، واعـداد مناهج دراسية لعلماء الاسـلام بالاتفاق مع المسئولين بالاوقاف لربط الخطب والمواعظ بالتعاليم الاسلامية الصحيحة التى تتضمن كل ما يحتـاج اليه البشر فى حياتهم الاجتماعية والسياسية ، والعمل على تقـوية فعالية الهيئات الاسلامية وربطها مع مكتب الشئون الدينية ، واستعمال نشاطها لابلاغ الفكر الاشتراكى الى الشعب ، والاتصال بالشـعوب الاسلامية فى أفريقيا وآسيا وأوربا والامريكتين ، وتوثيق الصـلة بقيادة الهيئات الشـعبية فيها لنشر الوعى الدينى والمناهج الصحيحة • وقد أنشئت جرائد جديدة ومجلات شهرية من أجل الدعوة الجديدة • فنشرت مجلة « الاشتراكى » عدة مقالات عن الدين لخدمة المعركة مثل مناهج التاريخ الاسـلامى ، وهى الجريدة التى تصدرها أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى ، أمانة التنظيم السياسى وتوجيه الدين •

٨ — تنظيم الطرق الصوفية :

على الرغم من أن القيادة السياسية لم تمنع الطرق الصوفية من الاشتراك فى الاحتفالات الدينية العـامة فانها حاولت اعادة تنظيمها بتنقيتها من مظاهر الشعوذة والفساد التى انتشرت فيهـا • وقد كانت هنـاك عدة محاولات آخرها صدور القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ بشأن نظام الطرق الصوفية باسم رئيس الجمهورية محددا أهـداف الطرق الصوفية وتنظيماتها بأنها التربية الدينية والروحية بما يتفق

مـع أحكام الشريعة الاسلامية ، والدعوة الى العمل بهـا بالوعظ والارشاد ، وتنظيم الذكر الصوفى . كما تحدد المادة الثانية بأنه : « لا يجوز لاعضاء الطرق الصوفية القول بعقائد أو اتيـان أفعال أو اقامة موالد أو احتفالات أو اذكار تخالف أحكام الشريعة الاسلامية أو النظام العام أو الآداب »(٢٦) . ويلتزم رجال الطرق الصوفية فى ممارسة أنشطتهم بما يتفق مع الكتاب والسـنة والمبادىء الصحيحة . والسلطة العليا « المجلس الاعلى للطرق الصوفية » . وهى هيئة لهـا شخصيتها المعنوية المستقلة . وأغراضها « دينية وروحية واجتماعية وثقافية ووطنية ، وتلتزم فى كل نشاطها بكتاب الله وسنة رسوله » . ويتم تشكيل هذا المجلس من شيخ مشـايخ الطرق الصوفية وعشرة أعضاء من مشايخ الطرق الصـوفية المنتمين لعضوية المجلس وممثل الازهر وممثل لوزارة الاوقاف وممثل لوزارة الداخلية وممثل لوزارة الثقافة وممثل للامانة العامة للحكم المحلى والتنظيمات الشعبية . ويعين شيخ مشايخ الطرق الصوفية بقرار من رئيس الجمهورية من بين مشايخ الطرق الصوفية المنتمين لعضوية المجلس الاعلى للطرق الصوفية .

ويجب أن يبلغ الرئيس محاضر الجلسات الى الوزراء الممثلة لوزاراتهم فى المجلس وذلك خلال خمسة أيام من تاريخ الجلسـة . ولا يجوز انشاء أو تنظيم أية طريقة صوفية جديدة الا اذا كانت لا تشابه طريقة من الطرق الموجودة فى اسمها أو اصطلاحها . ويصـدر بذلك قرار من وزير الاوقاف وشئون الازهر بالاتفاق مع وزير الداخلية بناء على موافقة المجلس الاعلى للطرق الصوفية . وعند خلو منصب

---

(٢٦) قانون تنظيم الطرق الصوفية ، المطابع الاميرية ١٩٧٦ .

الشـــيخ يعين الابن الاكبر ثم أخوه ثم ذو القربى ثم كبار رجـــال الطريقة ! ويعين شـــيخ الطريقة نوابه وخلفائه وخلفاء الخلفاء بسائر المحافظات • ويعد بمقر كل طريقة سجلات بأسماء أعضاء الطريقـــة والنواب والخلفاء وخلفاء الخلفاء • ويجب تقديم هـــذه الســـجلات لمشيخة الطرق الصوفية ولغيرها من السلطات المختصة للاطلاع عليها عند طلبهـــا • وينظم القانون الانشطة الصـــوفية والموالد والمواكب ومجالس الذكر والاحتفالات الدينية والمعاهد الصوفية الاسلامية •

ويلاحظ على هذا القانون الرغبة فى جعل نشـــاط الطرق الصوفية مطابقا لاحكام الشريعة وتخليصها من الانحرافات ومظاهر الشعوذة والفساد • ولكن يلاحظ أيضا رغبة القيادة السياسية فى السيطرة عليها وذلك بتعيين شيخ مشـــايخ الطرق الصوفية بقرار جمهورى وبوجود ممثل للسلطة السياسية ســـواء من وزارة الاوقاف أو من وزارة الثقافة أو من وزارة الحكم المحلى أو من وزارة الداخلية وهو الاهم من أجل الحفاظ على الامن العام • كما أن تبليغ الوزراء بمحاضر جلسات المجلس الاعلى للطرق الصـــوفية وتسجيل أسماء الاعضاء والخلفاء لتقديمها الى السلطات يجعل الطرق الصوفية تحت عين وبصر السلطة السياسية • بل ان نظـــام الخلافة على مشيخة الطرق هو نظام وراثى خالص ، الابن الاكبر ، فالاخ ، فذو القربى • لم يمس اصـــلاح الطرق الصوفية طابعها الاوتوقراطى ، بل كان هدف السلطة السياسية وضعها تحت المراقبة حتى لا يســـتغلها أحد لاغراض سياسية مناوئة وحتى تستغلها القيادة السياسية لصالحها الخاص فى احتفالاتها ومواكبها مما يفيض على السلطة السياسية الشرعية الدينية الواجبة أمام الشعب المتدين وأمام الناس •

٩ ـ حركة بناء المساجد وتوجيه الائمة :

وقد وصل الاكثار من بناء المساجد لدرجة التنافس بين الحكومة والمواطنين ، وبين رجال الحكومة أنفسهم وبين المواطنين فيما بينهم • فبنـاء مسجد جميل عظيم فى ميدان عام علامة على الوجود الفعلى للقيادة السياسية ودليل على انجازاتها • وقد ينافس مسؤول المسئولين الآخرين فى المساهمة فى بناء المساجد قرارا أو تبرعا أو رعاية لاثبات أفعاله الحسنة أثناء ولايته من أجل اعادة انتخابه أو تعيينه • وحملة التبرعات فى حقيقة أمرها حملة حكومية لانها تتم بموافقـة وزارة الشئون الاجتماعية • وأكثر المساهمين فى بنـاء المساجد هم الفنانون ورجال الاعمال لاسباب عديدة • اذ يريد الفنانون ، بصدق أو عن سوء نية ، أن يبينوا أن الفن قد أرجعهم الى الله ! أما رجال الاعمال فانهم يريدون مباركة الله لاعمالهم والاكثار منهـا ووقايتهم من الحسد أو يغطون بها أعمالهم اللاشرعية وتلاعبهم فى الاسواق • وقد يهـدف البعض من ذلك الى الغاء الضريبة العقارية اذا ما جعل أحد أدوار عقاره مصلى ! وتوضع الانوار ومكبرات الصـوت على رؤوس المآذن او حول أسطح المساجد • ويقول الناس ساخرين من كثرة المسـاجد : بين كل مسجد ومسجد يوجد مسجد • ولا تبنى المدارس والمستشفيات بنفس الكثرة • يعنى الدين هنا فقط دور العبادة وليس عاملا للتنمية مع أن عديدا من الامثلة العامية تجعل خدمة المجتمع أولى من بناء المساجد مثل « اللى محتاجه البيت يحرم على الجامع » • وقد شيدت وزارة الاوقاف منذ الثورة ١٥٠٠ مسجدا جديدا ، وأثثت كثيرا من المساجد القديمة ، وأمدتها بمكتبات ومقرئين • كما وضعت حـوالى ١٦٠٠٠ مسجدا تحت الادارة المالية للوزارة • وبالرغم من أن هـذا النشاط الزائد فى بناء المساجد لا يصدر بقرار جمهورى الا أنه يعبر

عن تيار أساسى للقيادة السياسية وهو الحرص على الاسلام الشعائرى الذى يبتعد عن الاسلام السياسى •

وقــد استعملت الخطب فى صــلاة الجمعة من أجل التوجيــه السياسى • وأصبحت وزارة الاوقاف ترسل نماذج من الخطب الدينية لائمة المساجد من أجل اشراف مركزى على دور العبادة نظرا لاتصالها بالناس وخطورتها فى توجيه الرأى العام ايجابا أم سلبا • والغــالب على الموضوعات المرسلة الموضوعات التقليدية مثل الطهارة ، والصلاة ، والايمان ، وقليل منهما فى السياسة باستثناء المعارك السياسية التى تخوضها القيادة السياسية باستخدام الدين • ولكن هــذا التوجه الدينى لم يحدث أثرا كثيرا لان صورة خطيب المسجد أمام الناس هو أنه يخاف قول الحق ، ويؤثر السلامة فى حديثه • ولكن الموضوعات التقليدية التى توزعها وزارة الاوقاف على خطباء المساجد هى فى حد ذاتها قــرار سياسى بتحجيم أثر الخطباء فى توجيه الرأى العام والقضاء على حريتهم فى اختيار الموضوعات واستقلالهم فى طريقة تناولها •

ومنذ ابريل ١٩٦٨ بدأت وزارة الاوقاف اصدار سلسلة دينية باسم « مكتبة الامام » عن الادارة العامة للدعوة تتضمن خطب الجمعة المذاعة ونشرات التوعية الدينية • « ولقد حرصت على تقديم هــذه السلسلة فى مجموعتها الاولى تأكيدا لاهمية الرسالة التى يضطلع بها المســجد فى مجال الربط بين الدين والحياة ، وابراز للدور الكبير الذى يقع على عاتق الامام فى هــذه المرحلة الحاسمة من حياة شعبنا المؤمن بربه ووطنه وعروبته ، المتمسك بقيمه الروحية والاخلاقية ، المتفانى فى سبيل مبادئه وأهدافه ، الصامد فى معركته المقدســة ، معركة الحق والشرف والكرامة حتى يتحقق له النصر باذن الله » • الغرض من هذه

السلسلة هـو تجنيد الائمة والوعاظ ليكونوا بمثابة المدافعين عن نفس والمبادىء والقيم والعقيدة التى يدافع عنها الجيش . فبعد الهزيمة فى ١٩٦٧ تحولت المعركة من جيش يقاتل الى دولة تدعم المعركة بعنصر هام من عناصر تكوينها وهو الدين والايمان . ولكى تؤثر فى هذه الجماهير العريضة تم اللجوء الى الحماسة الدينية من خلال رجال الدين وأئمة المساجد . « ان الامام جندى فى جيش الدعوة لا يقل أثره عن أخيـه الجندى الرابض على أرض الميدان . هـذا يجاهد بالسلاح وذلـك بتدعيم العقيدة والايمـان . وكلاهما يجاهد فى سـبيل وطن واحد ومبادىء واحدة . فلا جرم أن يكون رجال الدعوة وأئمتها بمثابـة الجيش الروحى الذى يشارك فى صـنع النصر وصنع المستقبل بالعقيدة والايمان » . وفى هذه الفترة التى يقف فيها الوطن ممثلا لقوة الحق والسـلام صامدا أمام قوى الظلم والطغيان فانه أحوج ما يوكن الى التعبئة الروحية الرشـيدة التى كرست لها كل وسائل الاعلام وكل أجهزة الدعاية حتى حاربت الملائكة معنا فى معركة النصر ، معـركة رمضان . ولم تمر مناسبة دينية الا وأقيمت الاحتفالات ، وذكرت العبر والمواعظ التى من الممكن أن تفيد . « لقد مرت بنا خـلال الشهور الماضية نغمات من هـذا الفيض الغامر استروضنا منها عظمة الاسلام وروعة القرآن وسمو تعاليمه حين احتفلنا بمواسم كريمة مباركة كذكرى الهجرة النبوية الكريمة » . لقد كان الاحتفال يتم على المستوى الشعبى ولكنه الآن على المستوى الشعبى والرسمى وبكل أجهزة الدعـاية واستحداث احتفالات أخرى مثل ذكرى مرور أربعة عشر قرن على بدء نزول القرآن . هـذه الاحتفالات والمناسبات الدينية ترتبط بالمناسبات القومية المصيرية كما ترتبط بمعركة التحـرير والنصر . فمن توفيق الطالع ان الاحتفال بهذه المناسـبة الدينية قد تم فى نفس الوقت لمناسبة

قومية سيكون لهـا أبعد الاثر فى حياة الشعب الصامد وتقرير مصيره وهى صـدور بيان ٣٠ مارس الذى قرر فيـه الرئيس أن لا صوت أعلى من صوت المعركة • واذا كـان الرئيس قد حدد خطة العمل فى كافة المجالات القومية لحشـد جميع الطاقات الجماهيرية على طريق العمل الديمقراطى لكسـب معركة التحرير والنصر بما يحقق للمجتمع العربى دعم المكاسب الاشتراكية ودفعه الى مزيد من الصلابة والقدرة والصمود فان الدين يأتى بعد ذلك ليقوم بدور هام فى هذه الفترة الصعبة التى يمر بهـا الشعب • وليس أولى من بيوت الله أن تكون أول مكان لتزويد دعوة القـائد الى الاعداد للمعركة والاستجابة لندائها • وليس أولى من خطب الجمعة والدروس الدينية التى تلقى فى بيوت الله فى جميع أنحاء الجمهورية أن تكون مجالا لابراز هـذه القيم والمعانى السامية التى تنطوى عليها رسالة الاسـلام الخالدة • ان رسالة الامام فى المقام الاول هى التعريف بالاصول الصحيحة للدين الحنيف ، وتعبئة القوى الروحية والمعنوية حول الغاية الشريفة التى يجاهد فى سـبيلها وتمت المعركة من أجلها • ولكى يقوم رجال الدين بهـذه المهمة ولكى يكونوا تعبيرا عن طبيعة هـذه المرحلة تمت صياغة هذه النماذج لخطب الجمعة والنشرات الدينية لكى تكون أصداء قوية تعبر عن طبيعـة المرحلة التى يجتازها الشعب فى هـذه الفترة على أساس فهم مشكلات المجتمع المعاصر والربط بينها وبين مصادر الاسلام وتوجيهاته • وتتولى الوزارة اصدار مجموعة الخطب والنشرات وتقوم بطبع مختارات من الخطب التى أعدها السادة الائمة فى مختلف المحافظات حتى تكون هذه السلسلة مجالا لابراز الكفاءات الممتازة من بين الائمة الشبان •

ويعرض د• عبد العزيز كامل نائب وزير الاوقاف لموضوع « الهجرة والتغير » بتناول شخصيات الهجـرة وتوزيع الاعمال والتنظيم العملى

وصـــورة الهجرة وأهدافها مستخدما هذه العناصر فى الاســتعداد الايجابى لبناء الفرد المســلم الذى ظهرت الحاجة اليه بعد الهزيمة • وهو ما تحتاج اليه البلاد فى المرحلة التى تجتازها الآن ، صعودا فوق النكســة ، وتجمعا من أجل الهدف الكبير ، واستنقاذ الارض السليبة ، واستعادة للحق الاصــيل • ويقوم الشيخ على الرفاعى بنفس الشىء فى خطبة ألقاها بمسجد عمر مكرم فى ١٩٦٨/٣/٢٩ بعنوان « الهجــرة منطق المسلمين الى النصر » • ويربط الخطيب بين تعامل النبى مــع اليهود وغدرهم فى زمنه وبين غدر اليهود والصهيونية الحالى • « ان الصهيونية الباغية مازالت تدبر الفتن وتمكر بالمسلمين وتحاول أن تجد لها مكانا فى أرض العروبة ، وها هى ذى آخر محاولاتهم الدنيئة حيث اعتدوا على العرب الآمنين وشــنوا عدوانهم بتأييد من الاستعمار • فالقتال الذى بيننا وبين اليهــود لم يكن من أجل وطن سلب فقط وانما هــو قتال مقدس يجب أن يشــارك فيه كل مسلم بنفسه وماله • ففى انتصار الامــة العربية على اليهود انتصار للاسلام » • وفى خطبــة للشيخ ابراهيم جلهوم بمسجد السيدة زينب فى ١٩٦٨/٤/١٥ عن تعبئة القوى المادية والمعنوية لمواجهــة المعركة فيقول : « ان الواقع الذى نحيا فيــه هذه الايام يحتم علينا أن نكون فى تعبئة كاملة مادية ومعنوية لمواجهة هــذا العدو الغادر الذى يحاول بكل سبيل أن يسلبنا حقنــا ويغتصب مقدراتنا • ان المعركة كما تخدم بالمــال والسلاح فانها تخدم أصــدق خدمة بالعمل الجاد المخلص » • وهنــاك خطب كثيرة عن الثبات والصــبر كطريق الى النصر • وكلها لشــحذ الهمــة وتعبئة الجماهير • ولكنها لم تتجاوز الوعظ الدينى السياسى الذى سرعان ما يتبخر بمجرد مغادرة المصــلين المساجد شأنه شــأن الوعظ الدينى التقليدى تماما • فالواقع ذاته لا يعد للمعركة ، ورجل الشارع يقف

متفرجا . لم يطلب منه شيء فعلى الا من اقامة ساتر على منزله أو طلائه زجاج سيارته باللون الازرق أو وضـــع أشرطة لاصقة على زجـــاج النوافـــذ !

وتهدف خطب عديدة الى التركيز على الصلة الوثيقة بين الايمان والعمل ، بين العقيدة والســـلوك . ففى خطبة الشيخ عبد الرحمن النجار فى مسجد كفر الدوار فى ١٩٦٨/٥/٣ بعنوان « تكافل العقيدة والعمل » يقول : « العقيدة لابد لها من أن تتجســـد فى عمل ايجابى . وكما أن العمل من مظاهر تكريم الانســـان فالثورة كذلك صورة راقية من صـــور رفع مستوى الجماهير الى مستوى المسئوليات العامة . والواجب علينا مقابلة هـــذا التكريم بكلمة الحق نقولها فى برنامج ٣٠ مارس وفيمن يمثلنا وأجمل واجبات التحرير والنصر وآمال ما بعـــد التحرير النصر . ويطبق الايمـــان فى المجتمع فى صور متنوعة فى صورة دعوة الى مواجهة الاعداء والتصدى للمعتدين والكفاح من أجل ازالة آثار العدوان واستخلاص الحق السليب ، وفى صـــورة كفاح ضـــد طغيان رأس المال واستغلال الكادحين الذين يبذلون عرقهم وجهدهم ويذهب ناتج عملهم الى غيرهم » .

كما أصدرت وزارة الاوقاف عدة نشرات عن « العدالة والمساواة فى الاسلام » ، « تعبئة جميع القوى لاحراز النصر » ، « قداسة العمل فى الاسلام وتأمين حقوق العاملين » ، وبمناسبة عيد الفلاحين « الارض والزراعة » ، « أبناؤنا فى دور العلم » عن الاسلام والعلم لتوجيـــه أئمة المساجد نحو المضوعات الثورية الجديدة واكتشافها فى الاسلام(٢٧) .

---

(٢٧) نشرت وزارة الاوقاف : « العدل فى الاسلام » ، « المساواة فى الاسلام » ، « العمل فى الاسلام » ... الخ .

كما صدرت نشرات عدة عن الشورى فى الاسلام من أجل ربط الدين بالحياة • كما جمعت عدة نماذج من الخطب فى « زاد الخطيب » مركزة على القيم الاجتماعية الجديدة مثل الجهاد ، والنصر ، والانفاق ، والعلم والعمل ، والتحذير من الاسراف ، والحد من الاستهلاك ، والعدل الاجتماعى ، والثورة على الظلم والاستغلال ، وتنظيم الاسرة ، والاماكن المقدسة ••• الخ • والعجيب أن بعض موضوعات الخطب لا صلة لها بالواقع السياسى على الاطلاق مثل « الشورى وأهميتها ومكانتها فى الاسلام » مما يؤكد أن الوعظ الدينى السياسى لا أثر له ولا فاعلية • فلا يعقل أن يدعو النظام التسلطى لمبدأ الشورى • الشورى تربية على المشاركة فى العمل ، وتوثيق الروابط بين قوى المجتمع المؤمن وقياداته على أساس مستوى أخلاقى رفيع • ومبدأ الشورى مطلوب فى كل الاوقات • واذا كان لازما فى الاوقات العادية فهو فى أوقات الشدة والحروب ألزم • الشورى تأكيد لمسئولية المجتمع ، ومشاركة للقيادة فى التغلب على النكسة ، ومواجهة المرحلة القادمة فى برنامج يحدد انطلاق الطاقات الى العمل فى طريق واضح • كما ألقى الشيخ عبد الرحمن شمس الدين محمود فى مسجد الامام الشافعى فى ١٢/٤/١٩٦٨ خطبة عن « الشورى من خلال الاسلام » قائلا :

« الديمقراطية الاسلامية هى النظام المطبق لحصانة الفرد وصلابة الجماعة • وليس هناك بين يدى الله فرق بين الراعى والرعية ، وبين الكبير والصغير الا بدعوة العقيدة والايمان بها ايمانا لا يرقى اليه الشك والعمل الصالح • فالمسلمون فى شتى بقاع الارض أمة واحدة يشد بعضهم أزر بعض فيما يعود عليهم بالخير ، ولكل منهم رأيه فى سياسة أمره وفيما يساس به ، وليس من الاسلام الاستئثار بالرأى ولكنه شورى بين العاملين • ان المشورة بين الراعى والرعية

أصل من أصول الحياة الصالحة فى الاسلام • وان نصيحة الرعية ومعاونتها لولى الامر واجب فرضه الله على جميع أفراد الامة • تعنى الشورى أن أمر الشعب بيده فعليه أن يرتفع الى هذه المسئولية ويقول رأيه بصدق واخلاص • فلو غير انسان رأيه واختار من لا يصلح كان شاهدا للزور »(٢٨) •

ثانيا : دور الدين فى معارك التنمية :

بين العرض التاريخى السابق أن الدين كموضوع مستقل كان موضع الاهتمام ، ودخل فى عملية التنمية كأحد مظاهر البناء الاجتماعى • ولكن ظل محدود الاثر ، يتم التعامل معه على نحو سطحى وكأنه موضوع اقتصادى أو سياسى فى حاجة الى اصلاح واعادة بناء عن طريق القرارات الجمهورية أو الوزارية • كان الدين غاية والتنمية وسيلة • ولكن دخل الدين أيضا كعامل مؤثر فى عمليات التنمية خاصة فى المعارك السياسية ، فأصبح الدين وسيلة والتنمية غاية • لم تعد القرارات الجمهورية تجدى بل حلت محلها توعية الناس واستعمال الدين كأساس أيديولوجى لتبرير الانظمة الاجتماعية والسياسية الجديدة •

ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل فى دخول الدين معارك التنمية :

(أ) المرحلة الاولى : من ١٩٥٢ — ١٩٦٠ وهى المرحلة التى تم فيها استخدام الدين من أجل تحويل الانقلاب العسكرى أو الحركة

---

(٢٨) « الشورى فى الاسلام » ، خطبة عبد الرحمن شمس فى مسجد الامام الشافعى ١٢/٤/١٩٦٨ •

المباركة فى يوليو ١٩٥٢ الى ثورة شرعية تقــوم على التضحية والجهاد ، تناهض الاستعمار ، وتقضى على الارهاب والتعصب ، وتعمل للوحدة العربية ، وتحارب الطائفية ، وتقف أمــام الماركسية والالحاد • وقد استخدم الدين فى تأييد هذه القيم الجديدة الثورية من أجل ســد النقص النظرى عند الضباط الاحرار ومن أجل الارتباط بالجماهير التى أيدت الثورة فى بدايتها عن طريق صياغة عدة شعارات ظلت مع الثورة منذ بدايتها حتى الآن •

(ب) المرحلة الثانية : من ١٩٦١ — ١٩٦٦ وهى المرحلة التى بلغ فيها اســتخدام الدين فى معارك التنمية الذروة ســواء فى البنــاء الاشتراكى بعد قرارات يوليو فى ١٩٦١ ومعارك الاســلام والاشتراكية أو فى مقاومة الحلف الاسلامى والرجعية العربية لمحاصرة القوى الثورية العربية • وهنا يظهر الدين كاسلوب للدفاع عن النظام الاشتراكى ضد تهم الكفر والالحاد وكهجوم على الحلف الاسلامى باعتباره صــورة أخرى لحف بغداد الاستعمارى القديم •

(جـ) المرحلة الثالثة : من ١٩٦٧ — ١٩٧٧ وهى المرحلة التى ابتدأت بهزيمة ١٩٦٧ وانتهت فيهــا كل المعارك ، وظهرت فيها قيم سلبية جديدة مثل الايمان والصبر والقضــاء والقدر تحول بها الدين من معــركة خارجيــة الى انفعــالات وعواطف داخليــة • فانتهى المد الثورى ، وسادت الاتجاهات المحافظة من أجل الابقاء على النظام السياسى الذى عاد بلا مقومات الا من شعارات دينية تتملق أذواق الجماهير •

(أ) المرحلة الاولى : الدين والثورة الوطنية ١٩٥٢ — ١٩٦٠ :

١ — الاتحاد والنظام والعمل •

ويتضح الاتجاه الاسلامى عند محمد نجيب قائد الثورة • فبالرغم من أنه رفع شعار « الاتحاد والنظام والعمل » الا أنه بين أن هذه القيم قيم اسلامية خالصة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وتاريخ الصحابة والتابعين ، ونظم الخلفاء الراشدين ، وسلوك حكام المسلمين الاوائل • لابد أن يكون الجميع يدا واحدة لا فرق بين مسلم ومسيحى • لذلك ألغيت الالقاب التى ما أنزل الله بها من سلطان والمستمدة من الارستقراطية الكاذبة التى هى لازمة من لوازم عهود الطغيان • فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى • لقد أراد العهد البائد تفريق الامة شيعا وأحزابا ، تناحرا على المغانم • ولكن العهد الجديد يدعو للوحدة حرصا على الصالح العام وعملا بقول الرسول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » • لقد علمنا الرسول التسامح والاخوة ، وشاء الله أن يؤلف بين القلوب ، ويحفزهم على العمل ، وينظم الصفوف • تريد الثورة التطهير الخلاص ، وتعمل من أجل الاصلاح والتعمير ، مكا تريد خلق المواطن الصالح • ولكن الوحدة السبيل الى ذلك ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته ، لعلكم تهتدون »(٢٩) •

---

(٢٩) محمد نجيب فى وفود المديريات ١٩٥٢/٨/١٥ ، ١٩٥٣/٣/٢٣ ،

=

ولكن لما كانت الزعامة الفعلية لعبد الناصر فقد ظهـرت القيم الثورية مثل الثورة والتحرر والتضحية والجهاد منذ بداية الثـورة فى أقواله وأحاديثه • واعتمد فى الدعوة لهـا على تراث الشعب الدينى الذى لا يحتاج الى اقناع أحد به • وقد كان اللجوء الى الدين هـو وسيلة كل زعيم جديد يريد أن يحصل على شرعية من الشعب •

٢ ــ الثورة ضد الفساد والتحرر من الاستعمار •

ان ثورة الضباط الاحرار ليست بالجديد • فقد سبقتها ثورة رجال الدين على طول تاريخ مصر • كان رجال الدين يقودون مصر ، ويحملون شعلة الحرية وينادون بالجهاد دائما•وقفوا فى وجه نابليون،وكانوا أسبق الناس للاستشهاد • كافح الازهر أيام الحملة الفرنسية • وقاسى رجاله وعذبوا وقتلوا وشردوا • واقتحم المحتلون الازهر ، ولم يتأخر الازهر فى الدفاع عن العروبة والاسلام • واستمر يحمل الرسالة حتى سلمها الى الجيش فى ثورة عرابى الذى قام متسلحا بروح الازهر يطالب بحقوق الوطن • ثم اشترك رجال الدين فى ثورة ١٩١٩ واستشهد رجال الازهر • وقد كان غرض الاستعمار دائما القضاء على قوة الجيش والقضاء على قوة رجال الدين •

فى مصر اذن قوتان : قوة الجيش وقوة العلماء ، قضى الاستعمار بعـد ثورة عرابى على قوة الجيش ثم اتجه للقضـاء على قوة العلماء

=

فى أسوان ١٩٥٣/٣/٢٢ ، حديث فى راديو صوت أمريكا ١٩٥٣/٢/٢٢ ، ١٩٥٣/٦/١٤ ، ١٩٥٣/٧/١٠ ، كمال الدين حسين خطاب ببلدة الخانكة ١٩٥٣/٤/٥ .

لان الازهر كان مشعل الحرية فى الدول الاسلامية كلها • فثورة الجيش موجهة ضد الاستعمار لتحرير البلاد ولاعادة رجال الدين الى قوتهم الاولى • لذلك يجب أن يتفق الجيش مع الازهر ، ويتوحد الضباط الاحرار مع العلماء من أجل استئناف الجهـــاد حتى تعود لمصر حريتها واستقلالها وحتى تتحرر مصر من كل فساد داخلى أو طغيان خارجى •

ان أمامِ الازهر عمل كبير فرسالته ليست فى مصر وحدها بل فى العـــالم الاسلامى كله • ورسالته ليست فى العاصمة وحدها بل فى القرى والنجوع من أجل النصـــح والارشاد بدلا من الشكوى من الاستعمار أو القاء العبء على الحكومة وحدها وحتى لا تصبح صـــلة الشعب بالقادة كما قال قوم موسى له « فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » •

أراد الضباط الاحرار البحث عن سابقة لهم فوجدوها فى علماء الازهر فعملوا على أخذ شرعيتهم من شرعية رجال الدين • فالثورة واحدة ســـواء قام بها الجيش أو الازهر • وبالتالى أصبح الدين ممثلا فى علماء الازهر وسيلة لتبرير الثورة واضفاء الشرعية عليها • ولقـــد حافظت مصر على رسالة الاســـلام عبر القرون وعبر كل هجمـــات المستعمرين على الاسلام وبدأت المجلات الدينية تنشر مقالات عدة عن نهاية الاستعمار(٣٠) •

---

(٣٠) كلمة فى معهد الاسكندرية الدينى ١٩٥٣/٤/١٨ ج ١ ص ٢٤ ، فى احتفال الازهر بتوقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/١٠/٢٥ ج ١ ص ٢٣٤ ، كلمة فى افتتاح المعهد الدينى بالفيوم ١٩٥٥/٧/٦ ج ١ ص ٣٣٣ ، فى ضباط الشرطة ١٩٧١/٥/١٧ س ١ ص ٣٠٩ ، حديث لفضيلة الامـــام الاكبر : الاستعمار يقترب من نهايته ، مجلة الازهر يونيو ١٩٥٣ .

فاذا كان فى الازهر رجال قاموا بالثورة وكان الدين لديهم مقاومة للاستعمار ، فقد كانت الخلافة العثمانية من ناحية أخرى نموذجا لاستغلال الدين ضد الجماهير والتستر وراءه من أجل الابقاء على الظلم والطغيان . قام الاستعمار التركى تحت اسم الدين والخلافة ، نظرا لتدين الشعب ، وتلاعب به باسم الدين ، وكانت أسوء فترة فى تاريخ مصر . عمل الخليفة العثمانى باسم الدين على بث الرشوة وافساد الضمائر واستخدام فئة صغيرة ضد عامة الشعب . استبد وتحكم فى الرقاب . فقاسى المصريون ذل الفقر تحت اسم الخلافة وبريقها . تم خداع الشعب باسم الدين ، وهو أمضى سلاح ، حتى أصبحت مصر مزرعة للخليفة . فلما ثار الشعب اصطفى الخليفة بعض المصريين لتفتيت قوى الشعب . وبقى الاستعمار التركى فى مصر حوالى ٤٠٠ سنة ذاق فيها المصريون العذاب باسم الدين . ولم يكن اسم الدين الا المخدر الذى خدروا به هذا الشعب الامين . ثم دخل الانجليز فوجدوا الخديوى يحكم باسم الخليفة ، فأغرقوا اسماعيل ، ممثل أمير المؤمنين ، بالدين . ثم ثار عرابى ، واعتبره الخديوى والانجليز خارجا على الدين ، « كان كل فرد فى هذا الشعب يتمسك بدينه فكانوا دائما يخدعونه باسم الدين ثم بدأ الشعب ينسى القيم الروحية ، وبدأت مرحلة الخداع والتضليل . وكان السلطان يستمد قوته من الانجليز . خدع العثمانيون الامة العربية تحت اسم الدين وتحت اسم الخلافة وتحت اسم أمير المؤمنين وسيطروا عليها مدة ٥٠٠ سنة وعاثوا فى أرجائها فسادا بالتحكم والسيطرة » .

وقد صاغ الميثاق هذا الدافع الثورى فى الدين فى احدى عباراته وهى « ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية

استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » • ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح رجال الازهر حفظة الايمان دون أى مضمون ثورى • فرجال الازهر هم الذين حافظوا على رسالة محمد « صلى الله عليه وسلم » • كما ان ضباط الشرطة حفظة على الامن • وكانت جامعة الازهر طوال ألف عام مناره للهدى وللمعرفة والبحث(٣١) • ان حمل أمانة النضال واحدة سواء كانت من أصل رسالات علوية مقدسة أو كانت آمالا انسانية ، فالرسالات السماوية سواء الاسلام أو غيره من الرسالات والثورات التى غيرت وجه الانسانية واحدة • لقد حافظ شعب مصر على الدعوة الاسلامية عبر التاريخ ، وناضل الازهر للحفاظ على رسالة الاسلام حية وعلى قوة الاسلام ومقوماته • كان الاسلام مستهدفا عبر التاريخ للاستعمار والغزاة • واليوم تواجه الامة الاسلامية أخطر معاركها • اذ يستهدف الغزو القيم التى أرادها الله فى رسالته وهى غزوة صليبية تحت اسم الصليب لابد من مواجهتها ، وهى غزوة الصهيونية مع الاستعمار(٣٢) •

٣ — الجهاد والتضحية •

لما كانت الثورة فى حاجة الى تجنيد الجماهير ، وفى

---

(٣١) فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير مساء ١٩٥٤/٩/٥ فى الاجتماع بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ١٩٧٢/٩/٢٤ س ج ٢ ص ٣٥٩ — ٣٦٢ .

(٣٢) فى عيد العمال ١٩٧٢/٥/١ س ج ٢ ص ١٨١ ، فى اللقاء الكبير الذى انعقد لمناقشة اتفاقية الجلاء ، كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٣٠ ج ٢ ص ٧٩ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ س ج ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى ضباط الشرطة ١٩٧١/٥/٢٧ س ج ١ ص ٣٠٩ ، فى مؤتمر المجتمعات العربية ١٩٧٣/٢/٧ س ج ٣ ص ٥٢ .

حاجــة الى البــذل والعطــاء فان القيــادة السياســية أبرزت بعض القيم الدينيــة مثــل الجهــاد والتضحيــة فى المناســبات الدينيــة المختلفة ، وفتحت الطريق أمــام الوعظ الدينى السياسى ، وتأويل الموضوعات الدينية من عقائد وقصص ونصوص تأويلا سياسيا • فعيد الاضحى مثلا يعنى الطاعة والتضحية فى ســبيه الله • كما أن عيد الفطر هو عيد الصوم والصبر والجهــاد • فقد ضحى ابراهيم بابنه طاعة لله « قال يا بنى أنى أرى فى المنام أن أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلم أسلم وتله للجبين ، وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » • كما تدل القصة على الامتحان الذى يضــع الله فيه المؤمنين والاختبار الذى يمكنهم اجتيازه لمعرفة مدى ايمانهم ، « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » • كذلك الامة فى السياسة عندما تجتاز الامــة محنة قاسية ومعركة عنيفة فى ســبيل تحرير البلاد من بطش الاستعمار وقسوته وظلم الاستبداد وهوانه • تهيب القيادة السياسية اذن بالناس ، وتدعوهم الى العمل والتضحية والجهاد ، فطريق الله وطريق التضحية واحد ، « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »(٣٣) •

---

(٣٣) كلمة القيت بمناسبة عيد المضحى المبارك فى ١٩٥٣/٨/١٩ ج ١ ص ٥٠ ، انظر أيضا الرباط فى سبيل الله ، لماذا نقاتل ؟ ، الازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، الادارة العامة للوعظ والارشاد ، المكتب الفنى ، النشرة التوجيهية ١٩٦٩ .

وحياة السول نفسها حياة تضحيه وجهاد . فقد أتى الاسلام برسالة تحرر للانسانية جميعا من الذل والعبودية والمادية لتعتنق روحانيه السماء . وكان الرسول وحيدا فى غار حراء يعبد الله تاركا قومه حتى جاءته الرساله ، « اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » . ثم جاء الوحى ، « يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر » ، ثم يقول الرسول لزوجه « انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس وأن أدعوهم الى الله والى عبادته فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيب لى ؟ » ثم امتدت يد الغدر الى الرسول وأعلن الباطل الحرب عليه . ولكن الرسول جاهد وجعل الحرب شرعه ، وقاتل المشركين . ثم فتح الله عليه مكة وعفى عن أهله ولكنه انتقم ممن ضلوا الناس . وحال المسلمين اليوم كحالهم بالامس . تحكمت فيهم يد الاستعمار . « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » . لقد آن للامة أن تحطم قيود الاستعمار وتدك حصون الظلم والطغيان ، « والله أكبر والعزة ولرسوله وللمؤمنين » ، والله أكبر والعزة لمصر ، والله أكبر وتحيا الجمهورية ! .

وهنا يبدو الوعظ الدينى السياسى خطابى النزعة ، لا يفترق عن الوعظ الدينى التقليدى فى سماته ، مجرد معانى عامة وعواطف شعبية مألوفة سرعان ما تتبدد بعد انتهاء الحفل ودون تغيير فعلى لنفسية الجماهير ودون ايجاد وسائل عملية وقنوات شعبية لمشاركتهم السياسية من أجل الجهاد ومقاومة الاستعمار . وقد بدأت شعارات دينية تأخذ مضمونا سياسيا من « الله أكبر والعزة لله » الى « الله أكبر

وتحيا مصر » • وهو ما سيسبب النزاع بين الثورة والاخوان فيما بعد وحتى الآن •

وقد ظهرت هذه القيم فى فلسفة الثورة فى تنبيه عبد الناصر زميله كمال الدين حسين وهما فى فلسطين من أن ميدان الجهـــاد الاكبر هو مصر والتذكير بآيات القرآن مثل ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »، والدعاء الشعبى الذى يوكل أمر الجهاد الى الله مثل « يا رب يا متجلى ، أهلك العثمللى » ، وأن الجهاد هو قدر هؤلاء الضباط الاحرار(٣٤) •

لقد جاء الاسلام وحرر النفوس من الذل والعبودية ، ومنـــح الانسانية الحرية والعدالة والمساواة ، ووطد بذلك دعائم السلم نظاما للمجتمع العالمى الذى طالما نادت به الثورات فى جميع بقـــاع العالم حتى اليوم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ان الامانة التى عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقنا منها وحملها الانســـان هى الحرية والعدالة والعزة والكرامة والسلام • لقد عقد المؤمنون تجارة مع الله ، « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » • وهى تجارة لن تبور ، « ان الله اشترى من المؤمنون أنفســـهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى

---

(٣٤) كلمة القيت فى هيئة التحرير العامة بمقرها بميدان الجمهورية احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف فى مساء يوم ١٩٥٣/١١/٢٨ ج ١ ص ٦٧ — ٧٠ ، فلسفة الثورة ص ١٢ ، ص ١٥ ، ص ٣٩ — ٤٠ .

التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله » • الاسـلام صبر وجهاد وما فرضت العبادات على المسـلم الا لاعداده لخوض المعارك دفاعا عن دينه ووطنه وحريته وعزته • ولكن لم يحافظ المسلمون على هذا التراث العظيم واستذلتهم الشهوات ونسـوا الله • تفرق المسلمون ، وتفكك العرب ، فتسرب اليهم الضعف ، واستسلموا للذل والطغيان ، وأصبحوا رحماء على العدو أشداء على أنفسهم ، وتركوا طريق الحق والتعـاون ، طريق الصبر والجهاد والتضـحية • راح الاستعمار يضرب فى كل مكان معتمدا على الخونة والمنافقين من أبنـاء البلاد مثل يوسف خنفس ورجال الحكم وعلى رأسهم توفيق فى مصر ومثل الجلاوى فى المغرب ، « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » • ان العالمين العربى والاسلامى يقفان أمام عدو واحد هـو الاستعمار ، ويتهاويان أمام مرض واحد هو الفرقة والتخلى عن الجهاد ، « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم أنفروا فى سـبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ، ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير » • طريق الاستعمار طريق الذل والعبودية ، وطريق التحرر طريق العزة والحرية • ان الكلام لغو أما الايمان فعمل ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض مكا استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد بعد خوفهم أمنا » • وجب اذن تطهير القلوب ، وتطهير الصفوف من الخونة ، « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين أينما ثقفـوا ، اخذوا وقتلوا

تقتيلا ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » •
والتاريخ يشهد على توحد العرب لا فرق بين مسلمين ومسيحيين من أجل مقاومة الاستعمار الذى أتى تحت شعار الحروب الصليبية • فطريق الامس هو طريق اليوم ، « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ولم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » • ويختم ناصر كلمته بدعوة الى الاحرار فى كل دولة عربية وفى كل الشعب العربى وفى كل مكان ، « هبوا وجاهدوا فى الله حق جهاده واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة »(٣٥) • ويستمر ناصر فى بيان أهمية الجهاد فى كل الاديان • اذ تتحقق أمانى الشعوب بالجهاد وليس بالاصلاح والمنى ، وقد أعطت المسيحية درسا فى الجهاد ، بجهاد المسيح واضطهاده وتصدى الحواريين والمؤمنين به للامبراطورية الرومانية فى عنفوانها وانتصارهم عليها • طريق الجهاد هو طريق العمل والفداء • كما كافح محمد ثلاثة وعشرين عاما بالرغم من أن الله كان باستطاعته نصر الاسلام فى الحال دون تعذيب للنبى ودون اضطهاد للمسلمين • ولكن الحكمة الالهية أرادت جعل طريق الجهاد وحده هو الطريق ، والعمل وحده هو الايمان ، والفداء وحده هو الاخلاص •

ويتضح من ذلك أن الاسلام كان مجرد وعظ عام تتداخل فيه موضوعات الحرية والمساواة والعدالة والكرامة والوطنية دون معانى محددة ودون تحديد لمواقف معينة أو لنظم اجتماعية محددة ، كما يفعل

---

(٣٥) كلمة القيت فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير بمناسبة افتتاح المؤتمر العربى الاسلامى يوم ١٩٥٣/٨/٢٦ جـ ١ ص ٥٥ — ٥٩ .

خطباء المساجد ، كما تظهر موضوعات الوحدة بين المسلمين والعرب قبل أن تبدأ معارك الوحدة العربية فى ١٩٥٨ • كما يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية مما يدل على نقص فى التأصيل النظرى لاستخدام الدين ، يكتفى بالاعتماد على سلطة الكتاب • وكان من الطبيعى أن يعتمد أصحاب السلطة السياسية على حجج السلطة الدينية • كما تظهر بعض قيم عامة مثل الايمان والصبر وهى التى ستتحول فيما بعد الى قيم للدفاع عن الذات فى فترة الانحسار الثورى بعد الهزيمة فى ١٩٦٧ •

ويستعمل ناصر التفرقة المشهورة بين الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر من أجل استمرار الثورة واعتبار ما تحقق منها جهادا أصغر وما لم يتحقق بعد جهادا أكبر ليحمس الناس على العمل بصرف النظر عن الصدق التاريخى للحديث أو الصدق النظرى للاولويات • فقد أخبر ناصر الجزائريين فى اجتماع الدار البيضاء أن الجهاد الاصغر قد انتهى وهو مقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال ، وأن الجهاد الاكبر قد بدأ وهو جهاد النفس • الجهاد الاصغر هو ما قام به الجزائريون فى الماضى على أرض المعركة ، والجهاد الاكبر هو ما سيقومون به فى المستقبل من أجل اعادة بناء البلاد وبدأ عملية التنمية • كان المسلمون الاوائل يتهافتون على الجهاد • اما النصر أو الاستشهاد(٣٦) • ولكن فى مرحلة الانحسار الثورى كما هو الحال فى

---

(٣٦) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بأسيوط ١٩٦٥/٣/٨ ج ص ١٣٨ ، خطاب الى أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر ١٩٦٢/٧/٢ ج ٣ ، خطاب فى عيد العمال ١٩٦٥/٥/١ — ٢٩ ذى الحجة ١٣٨٤ ج ٥ ، المؤتمر الاسلامى فى لاجوس ١٩٧٥/٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ .

أواخر الستينات يستعمل ناصر هذه التفرقة من أجل البقاء على الذات . فاذا كان الجهاد الاصغر هو مقاومة الاستعمار والقضاء على الاحتلال فان الجهاد الاكبر يكون مقاومة النفس والقضاء على شهواتها . فالصيام انتصار على النفس وشهواتها(٣٧) . وبالرغم من ضعف هذا الحديث كما نبه على ذلك علماء الحديث المحدثون والاخوان المسلمون نظرا لخطورته على مقاومة الاستعمار واعتبار ذلك جهادا صغيرا ، وتحويل الجهاد كله الى الداخل الى داخل الفرد دون الخارج فى المجتمع والتاريخ ، فان الاعتماد على ذلك الحديث لا يخدم السياسة مما يجعل الوعظ الدينى السياسى أقرب الى الوعظ الدينى منه الى التوعية السياسية . ويبدو أن هذه التفرقة تظهر فى وقت ضعف النظام حتى تحول المعركة من الخارج الى الداخل . فكلما تأزم الموقف فى الخارج ظهرت الرغبة فى الانتصار السريع فى الداخل ، وارجاع كل مشاكل الواقع الخارجى الى شهوات النفس الانسانية .

وبمناسبة عيد العمال الذى اتفق أيضا مع عيد رأس السنة الهجرية . يضع ناصر مضمون الاول فى صورة الثانى ، ويصبح العيد حاملا لمعانى الايمان والعمل فى سبيل المبدأ والعقيدة . وبعد ١٩٧٠ كادت أن تختفى هذه القيم باستثناء بعض المناسبات مثل المولد النبوى والكلمات العامة بلا موقف سياسى محدد . فاحتفال المسلمين بذكرى مولد النبى عظات من حياة النبى وكتاب الله ، الشجاعة فى الذود عن العقيدة والدفاع عن الوطن بالروح والمال والدم .

---

(٣٧) تهنئة للعالم الاسلامى بحلول شهر الصوم المبارك أذيعت خلال مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥/٤/٢٦ جـ ١ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

ان كل هذه القيم الدينية الجـديدة التى برزت فى الخـطب السياسية كانت نوعا من ملأ الفراغ الايديولوجى لدى الضباط الاحرار ، دون أن تكون معارك فعلية يستخدم فيها الدين • كانت نوعا من الكـلام والتعبير من أجل الاتصال بالجماهير • فما أسهل أن يتم ذلك عن طريق الدين كقالب توضع فيـه آمال الشعوب فى التحـرر من الاستعمار كمضمون • ولم تكن هناك حاجة الى جدال نظرى لان هذه القيم واضحة بذاتها تعبر عن أمانى الجماهير ببساطة ووضـوح • ومن ثم اختفت التأويلات المضـادة • ومع ذلك يختفى هذا المضمون الثورى للاسلام بعد ١٩٧٠ الا من بعض الاشارات العامة مثل : كان الاسلام وما يزال ثورة كما يأمر الدين ، وكما قاسى المسلمون طوال القرون الماضية(٣٨) •

ويستجيب رجال الدين لدعوة الضباط الاحرار ويتبدلون معهم التراشق بالزهور • فمثلا أصدر الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون فى العيد الرابع عشر للثورة بيانا يبين فيه ان الثورة أعادت الى مصر وجهها العربى الاسلامى • ويستعرض حال مصر قبل الثـورة وبعدها ، ويبين التغيير الجـذرى الذى شمل الحياة السياسـية والاجتماعية والاقتصادية • ويبرر الثورة بأنها من مظاهر رحمة الله بعباده • فكلما اشتد الكرب جاء الفرج من عند الله • وقد أحس الجيش بذلك يوم عبر عن ارادة التغيير فى هذا الشعب • فقام بدك معاقل الظلم ، وتقويض أركان الفسـاد • فكان الله معه ، والشعب من ورائه • وعاد الى مصر وجهها العربى المسلم ، تعلو جبينها عزة وكرامة وسيادة على أرضها •

---

(٣٨) خطاب فى مؤتمر البحوث الاسلامية ١٩٧١/٤/٤ س ج ١ ص ٢١١ — ٢١٣ •

ملكت مصر نفسها ، وقاد زمامها أبر أبنائها وأخلص قادتها • أقاموا الحكم على نظـام جموري أساسه قول الله : « وأمرهم شورى بينهم » • تسير الثورة بروح وطنية عربية اسلامية ويقدم الخير لها نصرة للدين والدنيا • لقد امتدت يد الثورة الاصلاحية ، وردت للبلاد وجهها العربى المسلم ، وشملت الحياة كلها بالخير والصلاح(٣٩) • والحقيقة أن هـذا نموذج للتبرير والخطابية والتأييد ، وغياب النقد ، وضياع المبادرة • ففى الوقت الذى كان لا يأمن الانسان على نفسـه ، وبعد ما قاسى الاخوان فى ١٩٦٥ ، يمدح شيخ الازهر ديمقراطية الثورة ، وينسـبها الى الشورى ! •

٤ ــ التقـدم والشـورى •

وتصـدر ادارة التوجيـه المعنوى (قسـم التوعية الدينية) بوزارة الحـربية عـدة كتيبـات عن الدين والجهـاد طبقـا للآية « وجاهدوا فى الله حـق جهـاده هـو اجتباكم » ، يتصـدرها قـول الرئيس « ايمان كل جندى بالدين وبالمبادىء والقيم هو أساس توعية الجندى » • كما تضـع على الغلاف آية قرآنية توحى بالموضوع مثل : « وأمرهم شورى بينهم » • وتضم السلسلة القرآن والحديث والسيرة • كما تتحدث عن الموضوعات السياسية مثل الحرية وتأصيلها فى التاريخ الاسلامى كما تتحدث عن الدستور والاخلاق وتعطى نماذج مشرقة من التاريخ الاسلامى وتمد الجنود بنماذج من خطب الجمعة(٤٠) •

كما أصدرت أمانة الفكر والدعوة والشئون الدينية بالاتحـاد

---

(٣٩) الاهرام ١٩٦٦/٧/٢٢ .

(٤٠) رسالة التوعية الدينية ص ٤٨ ، ٤٩ .

الاشتراكى العربى عدة دراسات عن الدين والثورة • فكتب الاستاذ أحمد حسن الباقورى « الدين والتقدم » مبينا دعوة الاسلام الى العلم النظرى والتجريبى وقدرة الاسلام على الوفاء بحاجات الامة ، وأن الوحدة الوطنية من وحدة العقيدة والاسلام والاشتراكية وأخيرا الاسلام والمرأة • وقد صدر كتاب من هذه الامانة للحديث عن الدور التقدمى للاسلام فى التاريخ • فيذكر د• طعيمة الجرف فى « ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة » أن بلاد الشرق الاسلامى قد عاشت مع الاسلام وعلى أساسه تجربة ديمقراطية خصبة • فهو دين الله فى اطار مبادىء العدل والمساواة والشورى والتعاون واصلاح المجتمع • السيادة فى الاسلام للامة ، والامة تمارس سيادتها من خلال مؤسسات شرعية ، الخليفة على رأسها ، والبيعة الصحيحة هى السند الشرعى الوحيد لسلطته • وفى محاضرات المرحلة الاولى لمنظمة الشباب الاشتراكى العربى يشار الى « منهج الاسلام فى تربية الفرد وبناء الجماعة » من أجل تصحيح فهم التصور الاسلامى وتخليصه من الشبهات ، وتحديد خصائص المنهج الاسلامى وهى التكامل والواقعية والايجابية بالالتقاء مع الحياة والمنهج والاعتماد على العقل ، والتكامل الاجتماعى كأساس للعلاقات الاجتماعية(٤١) • وقد قام مكتب الشئون الدينية بأمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى بهذه المهمة •

وقد صدرت عدة مؤلفات تشرح وضع الدين فى « الميثاق » وتتمشى

---

(٤١) أحمد حسن الباقورى : الدين والتقدم ص ٧ — ١٠ ، د• طعيمة الجرف : ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة ص ٥ — ٦ ، الاتحاد الاشتراكى العربى ، منظمة الشباب الاشتراكى : محاضرات المرحلة الاولى ص ١٦١ — ١٩٠ •

مع العبارات الانشائية العامة التى تجعل الدين حركة تقدمية فى التاريخ وتبين كيف كان الازهر حصن الاسلام وكيف دخل الدين فى مراحل الكفاح وكيف يواجه الدين مفاتن الحياة • كما صدرت عن أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى العربى سلسلة « الاشتراكى » و « الدين والحياة » مبينا صلة الاسلام بالعلم وبالتطور شارحا فقرات الدين فى الميثاق ، ومشيرا لنماذج فى التاريخ الاسلامى القديم ، وأخيرا كاشفا عن بعض الانحرافات باسم الدين • كما أصدرت « الاشتراكى » عددا خاصا هو العدد ٣٥ عن « الميثاق » بمناسبة ذكرى صدور ميثاق العمل الوطنى وبها دراسة للدكتور عبد العزيز كامل عن « الدين فى الميثاق » • وفى خلال شهر رمضان عقد الاتحاد الاشتراكى عدة ندوات عن الاسلام وتطور المجتمع ، أحكام الصيام ، ليلة القدر وزكاة الفطر وأحكامها(٤٢) •

٥ — حرية المواطن وحرية الوطن •

وتعود القيم الدينية الثورية التى ظهرت فى أول الثورة من ١٨٥٢ — ١٩٥٤ ، وتظهر من جديد بمناسبة ثورة اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ حتى ١٩٦٤ • فتظهر قيم الحرية والتحرر مضافا اليها النظام الجمهورى الجديد وحكم الشعب بالشعب

---

(٤٢) أحمد الشرباصى : الدين والميثاق ، الدار القومية ١٩٦٥ ، الاتحاد الاشتراكى العربى : أمانة الدعوة والفكر — الدين والحياة ، الاتحاد الاشتراكى العربى : ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوى الثالث ص ٨٠ ، المصدر السابق ص ٩ ، أنظر أيضا الاسلام والتقدم للشاعر العراقى معروف الرصافى فى مجلة الازهر نوفمبر ١٩٦١ ، محمد فتحى محمود « الميثاق ورسالة الاديان » منبر الاسلام يناير ١٩٦٤ ، محمود شلبى « الحرية فى الاسلام » منبر الاسلام يناير ١٩٦٤ .

ومضافا اليها القيم الاشتراكية الجديدة • فقـد كانت معركة الاسلام والاشتراكية فى أوجها • لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وهى تحمل الشعارات التى خرج بها الاسلام على العالم وأولها الحرية ، حرية الفرد وحرية الوطن • ولا يمكن للوطن أن يكون حرا اذا لم يكن الفرد حرا • وكان لابد من تحرير الفرد من سيطرة الاقطاع ورأس المال وكل أنواع السيطرة حتى يستطيع أن يقـول نعم متى يشاء وأن يقول لا متى يريد • وهـذا تثبيت لدعائم الاسلام التى استطاعت الخلافة فى سنين طويلة أن تنزعها وأن تحجبها عن المسلمين فيتحـرر الفرد والوطن من الاستعمار البريطانى • وهذا هـو الجهاد والذى نادى به القرآن والذى دعا اليه محمد عليه السلام ، الجهاد فى سـبيل الوطن والجهاد فى سبيل الله • كان كل فرد يجاهد لا ابتغاء للشهرة بل لمرضاة الله ، ولا ابتغاء لثراء أو جاه ولكن ابتغـاء حرية الوطن العربى(٤٣) •

وبالمثل لقد مضت ثورة اليمن بقيادة السـلال على الرق والعبودية وهما مازالا عند فيصل فى السعودية • ثم خشى فيصل من ثورة اليمن • ولولاها لظل الرق والعبودية لديه حتى الآن • فسـعود هو اليهودى التائه لضرب الثورة العربية • ولكن أتى حكم الائمة فتوقف اليمن عن التطور ، ضاعت حريته ، استبد الائمة الذين اتخذوا من الدين شعارا وهم فى حقيقة الامر لا يعملون من أجل الدين لان رسـالة محمد عليه

---

(٤٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن وصنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٦٨ ، خطاب الرئيس فى عيد النصر السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ جـ ٤ ص ٧١ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيـد الحادى عشر للثورة بتـاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤٢٧ .

الســـلام هى رسالة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية • رسالة محمد أن يكون الامر شـــورى • لا أئمة ولا ملكية ولكن جمهورية • كل فرد من أبناء هذه الجمهورية يشـــعر بحقه فى الحرية والحياة ، وله الحق فى أن يكون رئيســـا للجمهورية وأن يتولى أى منصب من المناصب • وفرق كبير بين اليمن التى تلقت دعوة الاســـلام لنشرها فى ربوع الارض ، واليمن تحت حكم الائمة • لذلك قال الله تعالى ، « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » • لقد رفع الاحرار فى اليمن راية الحرية والاســـلام ويقاومون الظلم والذل حتى تمكنت منه الامامة الفاسدة فاستطاعت أن تعزل اليمن عن العالم وتجعله دولة متأخرة تعيش فى الظـــلام • ثار الاحرار فى اليمن بقيادة علمائه ، وكانت السجون مملوءة بالاحرار من العلماء الشرفاء ورجال الجيش والمجاهدين • وكلما تم التوحيد والتآلف بين القلوب كانت الامامة تعمل على زرع البغضـــاء والفرقة • ويقول الله ، « لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » • ان الاسلام دين الحرية ، وعلماء الاســـلام رسله فى الارض ، واجبهم الجهاد من أجل الحرية ومن أجل المسلمين لان الاسلام دين الحرية • فهو الذى رفع راية الحرية ، وانطلق من الجزيرة العربية حتى عم مشارق الارض ومغاربها ، وحرر الانســـان من الرق والعبودية والتفرقة والاقطـــاع وكل المساوىء التى حلت بالارض • وحين قام محمد برسالته ينادى بالاســـلام فانه كان يعنى القضـــاء على الاقطـــاع والاستبداد والامامة التى تمكنت فى تلك الايام تحت اسم الاسر كأسرة بنى سفيان وأسرة قريش والتى تصـــدى لها محمد العبد الضعيف القوى برسالته التى كانت تهدف الى التآلف بين قلوب العرب والمؤمنين جميعا لان عزة العرب عزة للاســـلام • ولكن استطاعت الامامة أن

تبعد اليمن وتعزله عن العالم • ثم تمكنت الخلافة باسم الدين بأن تكبل العـالم الاسلامى بغلال الرجعية • فعادت الامامة تحت اسم الحكم العثمانى الذى كان يدعى أنه يحكم باسم الدين ، ولم يكن الدين الا وسيلة وذريعة كما كان الحـال فى مصر لان الامبراطورية العثمانية كانت تحمل اسم الدين فقط ولم تكن تعمل من أجل الدين • كانت تعزز الاقطاع ، وتثبت سيطرة الاسر ، وتفرق بين الناس ، وتبيح الرق والعبودية فى حين أن الاسلام ينادى بالمساواة والحرية والقضاء على العبودية(٤٤) •

استغلت بريطانيا فســاد حكم الائمة وارهابهم وقطع الرؤوس والاعتقال ، واستغلت حالة التأخر التى وصـل اليها اليمن ، وكل يمنى برىء منها لانها لم تحدث الا بسبب الائمـة الذين أرادوا أن يضعفوا اليمن ويتحكموا فيه ويذلوه • لقـد استطاع الاستعمار أن يزحف على اليمن شبرا شبرا من عدن بسبب عزله وتأخره عن العالم ، ولما كان اليمن فى يوم من الايام رافعا راية الاســلام والحرية فقد ثار من جديد ، وكتب الله له النصر فى ١٩٦٢/٩/٢٦ للقضاء على الامامة • لم تبق الثورات الســابقة الا عدة أيام لتحالف الامامة والرجعيـة والاستعمار ضـد الاحرار وضد الحرية • ولكن هذه المدة استطاعت الثورة ضرب الائمة أمام الله وأمام التاريخ ، وأن يستشهد الثوار خير من أن يعيشوا تحت ظل الامامة وعبوديتها ، أى تحت ظل التأخر ،

---

(٤٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى القوات المسلحة عنـد وصوله الى اليمن بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ ج ٥ ص ٥٦٣ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء فى ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٨ •

تأخر اليمن عن العـــالم بأكثر من ألف عام • ولما كانت ارادة الله فوق كل ارادة فقـــد انتصرت ثورة اليمن الاخيرة رغم تحالف الامامة مع الرجعية والاستعمار • وكان الانجليز باستمرار أشد الناس عداوة للمؤمنين وللمسلمين وللاسلام والعرب • فقد تصدت بريطانيا فى القرنين الماضيين للمسلمين والاســلام فى جميع بقـــاع العالم حتى تضعفه ونقضى على قوته وعلى راية الحرية والقوة التى يرفعها الاســـلام • فالاســـلام دين الثورة ولا يمكن للامامة الفاسدة المتحالفة مع الرجعية والاستعمار أن تقف أمامه • وبانتصار الثورة يتحقق الاسلام دين الحرية والمساواة ، دين الرفعـــة والتقدم ، دين العمل السوى والعمل السـليم • لم تكن الامامة تمثل حكم الشورى بل كانت تمثل مبدأ الحكم الفردى والســيطرة والتحكم ومبدأ السيف وقطع الرقاب • بل لم يكن هنـــاك أساس للشورى • أما اليوم فان ثورة مصر قامت على الاســـلام ، الامر شورى بينهم ، هناك مجلس الامة ، وحركات شـــعبية ، وحق كل فرد فى أن يقول رأيه • وبهذا ترسى دعائم الاسلام • كان اليمن رافعا لواء الاسلام ولواء الحرية فى مشارق الارض ومغاربها حتى تكتل عليـــه الائمة وأذاقوه سوط العذاب وحبسوه بين حـــدوده ومنعوه من أن ينشر رسالة الحرية والاســـلام فى العالم ولكن أراد الله أن تنتصر ، بقوتها العربية وقوتها الاســـلامية الاصيلة(٤٥) • لقد أرادت الرجعية والاســـتعمار عزل اليمن عن الحضارة والتطور ولكن ثورة اليمن حرمت على الاستعمار وعملائه أرض اليمن العربى المسلم • أراد الاســـتعمار وقف تطور اليمن والاسلام ، دين التقدم والتطور •

---

(٤٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٦٩ ــ ٥٧٣ •

وقد استطاع الاســـلام فى وقت قصير فى أيامه الاولى أن يهزم أقوى الامبراطوريات ، الفرس والروم . وامتد فى جميع أنحـــاء العالم لانه دين الحق والحرية والعدالة والمساواة . وقد أعطى محمد عليه السلام المثل الاعلى فى العدالة والحرية والتقدم . يقول البعض ان الاسلام دين رجعى والحقيقة أن الاسلام دين تقدمى . دين التطور والحياة . الاســـلام يمثل الدين والدنيا ولا يمثل الدين فقط . بعـــد الثورة الاسلامية الكبرى الاولى سارت اليمن فى هذا الطريق ونشرت الاسلام فى ربوع آسيا . فقـــد تلقف شعب اليمن رسالة محمد ، وسار بها فى مشارق الارض ومغاربها ليبشر من أجـــل الدين وليعمل من أجله ، فنجح فى رفع راية الدين وراية الاسلام . لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا راية الاســـلام والحرية فى كل مكان . واليمن مشهور عنه الذكاء والمعرفة وحب الله . نشر أبناء حضرموت الاســـلام فى ربوع آسيا كلها . وقد صاغ « الميثاق » هذه الحقيقة فى عبارتين : الاولى « لقد كانت جميع الاديان ذات رســـالة تقدمية ولكن الرجعية أرادت أن تحتكر خيرات الارض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ســـتر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم » ، والثانية « ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضـــد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهيـــة

السامية(٤٦) .

٦ ـ الديمقراطية والنظام الجمهورى .

لم يورث الاسلام بحال من الاحوال أبنا عن أب ، وأبا عن جد ، ولكن نادى بأن يكون الحكم للشعب وألا تكون الولاية وراثية . وقد حكم بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب لان المسلمين اختاروهما وبايعوهما . فالاسلام يعنى حرية الفرد وكرامته ، أن يكون له رأى فيمن يحكم ، وأن تكون هناك مساواة بين الجميع . فأى شخص فى الدولة له الحق فى أن يحكم اذا اختاره الناس بغض النظر عن نسبه وحسبه وعائلته وقبيلته . يكفيه أنه مسلم له حق المساواة والحرية . هذا هو الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ، أن يكون لكل فرد فى وطنه كل الحق . ليس بالاسلام حكم وراثى ، وليس به تمييز مسلم عن مسلم ، فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى . وقد صدرت عدة مؤلفات عن شريعة الاسلام فى العمل والعمال مبينة فضل العمل وحقوق العمال ، وان كل انسان بعمله(٤٧) .

والنظام الجمهورى هو الذى تتحقق فيه كل هذه المبادىء

(٤٦) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى بصنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ ج ٥ ص ٥٦٢ ، خطاب الرئيس فى كبار علماء الدين باليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٧ ، الميثاق ص ٨٨ .

(٤٧) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ، جمال الدين عياد : شريعة الاسلام « العمل والعمال »جزءان ، الخانجى بدون تاريخ .

الاسلامية « الشورى ، والديمقراطية ، والمساواة ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر » • النظــام الجمهورى هو الذى يحقق العزة للعرب وللاسلام • فالجمهورية تعنى أن الشعب يختار بارادته الحــرة الحاكم الذى يتولى شــئونه • تعنى الجمهورية أن أى شخص من أبناء اليمن له الحق فى أن يحكم اليمن طالما كانت هــذه هى ارادة شعب اليمن • وهــذا هو الاسلام فى كل معانيه ،الاسلام فى عهوده الاولى • تعنى الجمهورية أن يختار الشعب الحاكم • الاســلام أول من نادى بأن يكون الكل ســواء ، أحرارا • ولذلك قامت الجمهورية(٤٨) • ويمكن لكل مسلم أن يتصــدى للحاكم • وقد تصدى المسلمون لعمر وقالوا له : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيف » • ليس بالاسلام كهنوت وليس به عادات يريد البعض ادخالها فى عقول الناس • تعنى الجمهورية أن الشعب يستطيع أيضا أن يعزل الحــاكم اذا انحرف عن مصلحة الشعب وعن ارادته ، وهــذه هى تعاليم الاسلام(٤٩) • والثورة هى الطريق لتوثيق النظــام الجمهورى ، الثورة هى الطليعة التى تفتح الطريق • الثورة تقوم للتغيير وتضع الاساس للبناء الجديد • وقد تولت الثورة مسئولياتها على أساس أن تكون هنــاك حرية للفرد وللانســان العربى المسلم ، وأعلنت الجمهورية • فالجمهورية لا تعنى الفرد لان

---

(٤٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفــد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ •

(٤٩) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ، وأيضا خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين باليمن ، صنعا بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٧٢ •

الفرد يمر بحياته ، وحياته محدودة ، ولكن المهم هو الاساس الذى سيستمر فى المستقبل •

وقد كثر المنظرون للديمقراطية وتأصيلها فى الشورى الاسلامية دون المساس بالواقع أو نقده أو بيان المسافة بين المبادىء السامية المعلنة والواقع الفعلى المرير • ثم جاءت الاشتراكية الديمقراطية أخيرا تنتسب أيضا الى الشورى فى الاسلام وان كان الاسلام لم يفرض نظاما تقوم به الشورى وانما تركه للاجتهاد الا أنه حرص كل الحرص على روح الشورى أو روح الديمقراطية(٥٠) •

٧ ـ التضامن بين الشعوب •

وقد كتب الجهاد على جنود مصر من أجل الحق الالهى للانسان العربى فى أن يحيا بالحرية والعدل • لقد تعرضت الجمهورية فى اليمن لعدوان استعمارى رجعى لان الاستعمار والرجعية لا يريدان اليمن القوى الذى يهدد نفوذ الاستعمار والرجعية • وحينما طلبت الثورة فى اليمن معاونة الجمهورية العربية المتحدة لم تتردد لان الثورة فى مصر تؤمن بعزة العرب جميعا كأساس لعزة الاسلام • لم تتردد فى تلبية النداء ، وأرسلت فلذات أكبادها لمعاونة ثورة اليمن وللقتال معها جنبا الى جنب ضد الاستعمار والرجعية • ان جبال اليمن تحمل قبسا من نفس الشعلة المقدسة التى يحج اليها

---

(٥٠) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ ، دكتور سليمان محمد الطماوى : الديمقراطية والدستور الجديد ـ ثالثا ـ الديمقراطية فى الفكر السياسى العربى والاسلامى ص ١٦ ـ ٢٤ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ص ٣٥ ، ص ١٠٥ .

المسلمون فى عرفات ، نفس الروح العظيمة التى اختبرت بها العناية الالهية قدرة البشر على التضحية من أجل العقيدة وفاء للرسالة الانسانية والتقدم • ويعاهد جيش مصر على هذه الارض المقدسة على طرد بريطانيا من عدن ومن كل الجنوب العربى • وعلى مصر دين لله وعلى اليمن دين لله أيضا فى مساعدة الاخوة الذين يكافحون الاستعمار فى جنوب اليمن • ان على مصر رسالة نحو الاخوة العرب والمسلمين وهو شد الازر والمساعدة على أن يرسوا فى بلادهم دعائم الاسلام الحقيقية التى قامت عليها الحرب والتى قامت عليها المساواة والتى مكنتها الله فانتصرت فى فترة قصيرة فجابت ربوع الارض فى مشارقها ومغاربها • فلا غرابة أن تنتصر الثورة اليمنية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فتحالف الاستعمار والرجعية ضدها كى تنتكس البلاد مرة أخرى • لذلك جاءت الثورة المصرية للمساعدة تنفيذا لامر الله • لم تحارب الثورة المصرية فى بلد غريب بل فى بلد اسلامى شقيق(٥١) • ان جنود مصر حضروا الى اليمن واستشهدوا فى سبيل الله من أجل رسالة الله لا من أجل منفعته بل من أجل مبدأ • فسارعوا لملاقاة الله من أجل رفعة راية الحرية وراية الاسلام وراية الدين • جزاؤهم عند الله وليس عند الناس ، وهى الجنة • لقد خرج جنود الاسلام الاوائل للقتال

---

(٥١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبال القوات العربية المنتصرة العائدة من اليمن بتاريخ ١٩٦٣/٥/٢٠ جـ ٤ ص ٣٥٠ ، كلمة الرئيس فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى القوات المسلحة عند وصوله لليمن بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ جـ ٥ ص ٥٦١ ، ص ٤٦٣ ، خطاب الرئيس عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٦٩ .

فى سبيل الله وللاستشهاد فى سـبيله من أجل رفع راية رسالتهم • وهؤلاء هم الذين حضروا الى اليمن ليقاتلوا جنبا لجنب من أجـل رفع راية الاسـلام والدين والرحية ومن أجل تثبيت دعائم الدين • فالله وحد بين الاخوة وبين الامة • ان حرية الوطن تعنى حرية الامـة الاسلامية ، وقد ساعدت مصر الثورات التحررية فى العـالم كله لانها بذلك ترسى دعائم الدين وترفع راية الاسلام الذى نادى بالحرية(٥٢) •

ولا يظهر الاسلام فقط كعامل مساعد بين الشعبين من أجل نصر الثورة المصرية للثورة اليمنيـة بل يظهر أيضا كعامل وحدة بين الشعبين من أجل الوحدة العربية • فقد رفعت الثورة المصرية شعارات ثلاث : الحرية والاشتراكية والوحدة ، وهى شعارات اسلامية • فالاسـلام دين الحرية والاشتراكية والوحدة • فقد وحد الاسـلام بين العرب جميعا فى حين فرق الاستعمار بينهم ، وارادة الله فوق ارادة الاستعمار • لابد أن تعود الوحدة مرة أخرى حتى لا يكون هناك يمنى وسـورى ومصرى وعراقى ، فالكل عرب ، وفى أيام الاسـلام الاولى لم تكن هناك فواصل بين المواطن اليمنى والمواطن المصرى • فقد هاجر كثير من أبناء اليمن من الجزيرة العربية واستقروا فى مصر وأصبحوا مصريين • زحفت عائلات بأكملها من اليمن الى مصر مثل بنو محمد وبنو حسين وبنو على • فالاسـلام ينادى بتوحيد الامة العربية بعد أن أقسام الاستعمار بينها الحدود ، وثورة اليمن هى رفع لراية الوحدة الاسلامية

---

(٥٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٧٠ — ٥٧١ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤٢١ •

ولننشر الاسلام شرقا وغربا ، ورفع لراية الحرية وهى راية الاسلام • وستتجه الثورة نحو جنوب اليمن لتحرره أيضا تحت راية الاسلام • سترفع الثورة راية الوحدة الوطنية حتى لا يتمكن الاستعمار من أن يفرق بين أبناء الوطن الواحد تحت أسماء الحزبية أو الطائفية • فالكل عرب لا فرق بينهم لان كل فرد يعرف واجبه ، وهدفه هو الحرية والاستقلال(٥٣) •

ان الاسلام يقتضى تضامنا واخوة بين الاشقاء والعمل من أجل عزة العروبة وعزة الاسلام ضد محاولات الاستعمار لتفتيت وحدة العرب • ينادى الاسلام بالتعاون على البر والتقوى ، وهى تعاليم الاسلام ، البر بالابناء وبالعائلات ، البر بالامة ، وتقوى الله فى جميع الامور • تعنى التقوى أيضا التخلص من الانانية والفردية • تعنى التقوى أيضا رفض كلام الاستعمار واعوانه ونبذ لغة المال لان من يقبل لغة المال يخون قضيته ووطنه • تعنى التقوى بناء البلاد من أجل صالح الابناء ومن أجل الحاضر والمستقبل • هذه هى تعاليم الاسلام البسيطة الواضحة • والعفو من مبادىء الاسلام • وعندما دخل النبى مكة منتصرا لم ينتقم من أعدائه بل قال اذهبوا فأنتم الطلقاء • وأعطى مثلا كبيرا كيف تتغلب الحكمة على الرسول القائد حتى تتحقق الوحدة الوطنية ويجمع شمل العرب • فطريق الحكمة لا طريق الانتقام ، طريق العروبة وطريق الاسلام هو أن نتبع اليمن المثل الذى أعطاه محمد ، مثل الوحدة الوطنية وتآلف القلوب والتوحيد

---

(٥٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٧٢ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى فى تعز ١٩٦٤/٤/٢٦ جـ ٥ ص ٥٧٦ •

بينها . لقـد ألف الله بين قلوب اليمنيين بقيـام الثورة لان الاستعمار والرجعية والامامة يهمها الافسـاد بين الناس . فقد كان سـلاح الاستعمار دائما هو التفرقة بين المواطنين . مهمة العلماء الاحرار أن يكونوا أحرارا ومهمة العلماء الثوار أن يكونوا دائما ثوارا يعملون من أجل رسـالة الله حين ألف بين القلوب فانتصرت الثورة . فالتآلف هزيمة لبريطانيا . هذه هى رسالة الدين ، رسالة الجهاد كما جاهد محمد من قبل . لقد تآمرت بريطانيا على المسلمين فى جميع أنحاء العـالم ، تآمرت على العرب وأرادت أن تذلهم لانها كانت تعتقد أن ذلة العرب انما تذل الاسلام فى جميع أنحاء العالم(٥٤) .

٨ ــ التعصب والارهاب .

كانت المعركة الحقيقية التى استخدم فيهـا جمال عبد الناصر الدين هى معركته مـع الاخوان المسلمين التى بلغت ذروتها فى ١٩٥٤ ثم عادت من جديد فى ١٩٦٥ أى فى بداية المد الثورى ثم فى نهايتـه وبداية الانكسار . وبالرغم من وجود علاقـة وطيدة بين الاخوان والثورة من خلال اتصالات ناصر بحسن البنـا ووجود بعض الضباط الاحرار من الاخوان المسلمين مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ومسـاهمة الاخوان ليلة الثورة وبعدها فى تأييد الثورة والدفـاع عنها الا أن الصراع ظهر بينهما حتى وصـل الى درجة القطيعة فى ١٩٥٤ . ولم

---

(٥٤) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٧ ، ص ٤١٩ ــ ٤٢١ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ جـ ٥ ص ٥٧٢ ــ ٥٧٣ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى فى تعز يوم ١٩٦٤/٤/٢٦ جـ ٥ ص ٥٧٦ .

يكن صراعا على مبادىء أو نظم بل كان صراعا من أجل السلطة • وقد بدأ ذلك قبل الثورة عندما طلب عبد المنعم عبد الرؤوف انضمام حركة الضباط الاحرار الى الاخوان المسلمين حتى تؤمن الجماعة حياة الضباط الاحرار ومستقبلهم فى حالة فشل الثورة • ولما رفض ناصر لان المسائل الوطنية لا ترهن بموضوعات شخصية استقال عبد المنعم عبد الرؤوف قبل الثورة بستة أشهر • وكان الضابط أبو المكارم عبد الحى رئيس التنظيم الاخوانى بالجيش وفى أول يوم للثورة قد طلب أسلحة لتوزيعها على الاخوان تأييدا للثورة ولكن رفض عبد الناصر بالرغم من ابدائه استعدادا للتعاون • وعرض عليهم الاشتراك فى الوزارة ولكن حدث التصادم بعد ذلك •

ولم تحل الجماعة بالرغم من صدور قانون حل الاحزاب • فقد تقدم الاخوان بثلاثة شروط الاول : أن لا يصدر قانون الا اذا أقره الاخوان ، والثانى : ألا يصدر قرار الا اذا أقره الاخوان ، وهذا يعنى أن يحكم الاخوان من وراء الستار وأن يفرضوا وصايتهم على الثورة • فالصراع بين الثورة والاخوان كان صراعا على السلطة ولم يكن صراعا على المبادىء • أراد الاخوان فرض وصايتهم على الثورة ، والثورة لا تقبل الوصاية بل تقبل التعاون • وفرق بين الوصاية والتعاون(٥٥) • أما الشرط الثالث فقد كان فى ظاهره تطبيق الاسلام

---

(٥٥) فى الافتتاح الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٧ ، فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير أمام جميع أعضاء مجلس ادارات الهيئة فى اقسام القاهرة وشياخاتها ١٩٥٤/٨/٢١ ج ١ ص ٢٠٤ ، ولمزيد من التفصيلات عن الصراع بين الثورة والاخوان انظر احمد حمروش : قضية ثورة ٢٣ يوليو ج ١ مصر والعسكريون ، الفصل الرابع ، حل الاخوان ص ٢٩٧ — ٣٠٥ ، وأيضا عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وازمة مارس . خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد القادة بمنظمة الشباب الاشتراكى العربى بحلوان فى ١٩٦٥/١١/١٨ ج ٥ ص ٤٤٢ .

ولكن فى حقيقته أيضا فرض الوصاية على الثورة • فقـد طلب حسن الهضيبى أن يفرض ناصر الحجاب فى البلد ، وأن يغلق المسارح ودور السينما • وهـذا معناه أن يصبح ناصر الحاكم بأمر الله من جديد ، ولماذا لم يبدأ الهضيبى بعائلته وابنته تذهب الى كلية الطب غير محجبة ؟ كان الطلب من الاخوان يدل على ضيق أفق ، وذلك بتطبيق الشريعة الاسلامية على نحو جنسى ، وكأن الفضيلة ليست الا الجنس والشراب ، وكأن تغيير المجتمع لا يأتى الا بقـرارا من السلطة • كان رجال الثورة وقادة الاخوان يشاركان فى نفس العقلية وهى البداية بالسـلطة • فرجال الثورة هم أصحاب السلطة الجديدة • وعند الاخوان أن الله لا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(٥٦) •

ومن هنا جاء اتهام الاخوان بالاطماع الشخصية وبالحقـد • وبأنهم كانوا ضحية الحزبية البغيضة • حاولوا هدم الثورة من أجل السلطة ، والثورة هى التى أخرجتهم من السـجون وحققت العـزة القومية • واسـتغل الاخوان الدين ، وخدعوا الناس باسم الدين • أرادوا محاربة الثورة فى كل مكان • اعتقد الهضيبى أن الثورة قـد انتهت وأخذ الاخوان يضللون الناس ويبثون أحقادهم بالاسـاليب الحزبية القديمة التى هدمت مصر ، ومكنت الاستعمار وأعوانه منها ، فالاخوان جزء من العهـد البائد الذى لن يعود بعـد الثورة حتى ولو

---

(٥٦) خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمـة الشباب الاشتراكى العربى بحلوان فى ١٩٦٥/١١/١٨ ج ٥ ص ٤٤٢ — ٤٤٣ .

كان باسم الدين والاســـلام والمسلمين • لقد احتكر الاخوان الدين • والدين لم يكن احتكـــارا بل تآلفا ومحبة وتسامحا وتعليما • لم يكن حقدا أو تعصبا • ولم يعط لفئة محدودة أو لجماعة متعصـــبة خارجة على الدين • هـــذا هو الكفر والاساءة الى سمعة الدين والاســـلام • ان الهضيبى يتآمر ضـــد الثورة لانه يعلم ان رجالها يعبرون عن أهداف الشعب وآماله • وفى الوقت الذى كان يبث فيه الهضيبى الحقد والبغضاء فى نفوس الاخوان كان قادة الثورة يعملون لصـــالح الشعب • الدين محبة وتعاون لا بغضـــاء ولا كراهية • ان الاخوان لا يمثلون شعب مصر ، ولكن الثورة هى التى تمثل شعب مصر • ان الثورة لا يمكن أن تترك الاســـلام نهبا للخداع والضـــلال • فذاك ضد صالح الدعوة الاسلامية • وان دور أهل الرأى والعلم انقاذ الاسلام من الخادعين والمضللين وألا يترك الاســـلام لفئة من نهازى الفرص • وفى مؤامرة ١٩٦٥ بلغ أحد المواطنين عنهم • والثورة لا تهتم بالمؤامرات والاغتيالات بل ببناء الجيل الجديد والقيادات الشـــابة التى لا تخشى الارهاب(٥٧) •

ومن أجل السلطة كون الاخوان المسلمين جهازا سريا مسلحا من

---

(٥٧) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/٩/١٥ ج ١ ص ٢١٧ ، كلمة القيت فى وفد من اهـــالى العزيزية بمديرية الشرقية فى دار الرياسة حيث توجهوا اليها لتهنئـــة الرئيس باتفاقية الجلاء يوم ١٩٥٤/٩/٢٠ ج ١ ص ٢٢٢ ، كلمـــة القيت صباح ١٩٥٤/١١/٩ فى أعضاء المؤتمر الذى عقده ائمة المساجد فى أنحاء الجمهورية وزاروا الرياسة لاعلان تأييدهم لبطل الجلاء وتهنئته بهذه المناسبة ج ١ ص ٢٥٢ ، خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر الشباب بحلوان ٦٥/١١/١ ج ٥ .

أجل الانقضاض على الحكم بالرغم مما يرفعونه من شعار الديمقراطية • لقد عمل حسن البنا هـذا النظام السرى ليحارب الملك فاروق وابراهيم عبد الهادى • ثم جاء الهضيبى وحله • ومنذ ذلك الوقت والاخوان يسبحون بحمد ولى الامر الآتى من قوله ! ان هـذا النظام السرى لا يستخدم لصالح الشعب ، للقضاء على الملكية والاستعمار بل ضـد الشعب حقدا على حكام مصر الوطنيين باسم الدين • كمـا أنه ضد الحرية والديمقراطية • وهـذا يدل على انتهازية الاخوان وانتظارهم الفرصة السانحة للانقضاض على الحكم مستغلين طيبة الشعب ومحققين شهوتهم فى التحكم والسيطرة والحقد والاستغلال • يستغلون الشباب باسم الدين لتحقيق أغراضهم الخاصة(٥٨) • يتبع الاخوان سياستين احداهما ظاهرة غرضها التضليل واسـتغلال البسـطاء باسم الدين والاخرى خفيـة تهدف الى السيطرة على القوات المسـلحة وقوات البوليس وتكوين جهاز سرى للقيام بعمليات الارهاب • وهم بهذا لا يبغون قيام الدين ولكن يبغون التحكم والاستغلال • وقد استطاعت الثورة أن تقضى على هـذا المخطط فى مصر • فتحولوا الى سـوريا يتبعـون هاتين السياستين ، ويبثون بذور الفتنـة فى قوات الجيش والبوليس • وبهذا يقضى الاخوان على الحياة الحرة والديمقراطيـة الصـحيحة • وتقف الثورة ضـد الجمعيات السرية والاسـتعباد والاستغلال(٥٩) • ثم خرج الاخوان من المعتقلات وبعد ذلك ظهر التنظيم

---

(٥٨) كلمة القيت فى وفد من أهالى العزيزية بمديرية الشرقية فى دار الرياسة حيث توجهوا الى التهنئة باتفاقية الجلاء يوم ١٩٥٤/٩/٢٠ ج ١ ص ٢٢٢ — ٢٢٣ •

(٥٩) خطاب فى الطلبة العرب فى موسكو ١٩٦٥/٨/٢٩ ج ٥ ص ٤٠٣ •

السرى من جديد بأسلحة ومفرقعات • والثورة لا تعامل ذلك بالأين ولا تستطيع أن تعفو مرة أخرى(٦٠) •

وينتهز عبد الناصر مناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فيأخذ من سيرة محمد عليه السلام ما يناسبه فى الهجوم على الاخوان • فقد كان محمدا نقى السر والعلن ، ظاهره كباطنه ، لا فرق بين حياته الخاصة وحياته العامة • سيرته فى نفسه وفى بيته كسيرته بين الناس • لم يكن هناك تناقض بين سلوكه العام وسلوكه الخاص • ومثل ذلك لا يطيقه الادعياء أصحاب الشهوات ، وذوو الرجولة المريضة والاخلاق الملتوية • وقد قال الرسول « ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » • كما يقول القرآن الكريم « فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون » • كان الرسول صادقا صريحا ، فعندما ظن الناس ان الشمس كسفت لوفاة ابنه قال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو حياته » • كان الرسول معلما حكيما ومربيا فاضلا ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » • وكان يفيض رحمة واحسانا(٦١) •

ويقوم الجهاز السرى بعمليات الارهاب • فتحت اسم الدين يبيح الاخوان دم الكفار أى الذين هم من غير الاخوان المسلمين •

---

(٦٠) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ جـ ١ ص ٢١٨ .

(٦١) كلمة القيت يوم الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف بتاريخ ١٩٥٤/١١/٨ جـ ١ ص ٢٥١ .

فبعـــد اتفاقية الجلاء مدت الثورة يدها للهضيبى ولكنه غدر بها • أخذ رجال الثورة حذرهم ، ولم يحضر ناصر واخوانه الاجتماعات العـــامة لانه كان يعلم ما يدبره الاخـــوان لهم من اغتيالات • لم يكن هـــذا الاختفاء حبا فى الحياة • ولكن لانجاز الاتفاقية التى تحقق للشـــعب الجلاء وتخليص الوطن من الاستعمار ، بعـــدها خرج رجال الثورة ليأخذها الهضيبى ورجاله بعد أن أعطاها رجال الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • بعث الهضيبى بمحمود عبد اللطيف وغرر به باسم الدين والاسلام من أجل اغتيال ناصر الذى يعمل من أجل ازاحة الفقر عن أمثال محمود عبد اللطيف • كيف يبنى صرح الدين بالمسدسات ؟ وكيف يتم الاغتيال باسم الدين وباسم الاسلام ؟ يتبـــع الاخوان أسلوب التخويف والارهاب والتعذيب والخيانة التى كلف بها الجهاز السرى • وان ترك هـــذه الاساليب هو تخل عن حق الثورة وأهدافها • وقـــد أقيمت محاكم الشعب لمحاكمة الجهاز السرى والتنظيمات المســـلحة لخطرها على الشعب وتهديدها لحرية المواطنين وليس لقادة النظـــام • وقد حكمت محاكم الشعب على ٨٦٧ عضوا من الجهاز السرى البالغ عددهم حوالى أربعة أو خمسة آلاف موجودين فى شـــعب وفى خلايا مسلحة ، يمثلون فصائل وجماعات ومناطق أى جيش حـــر فى داخل البلد • وقد اعتقل ٢٩٤٣ أفرج عن معظمهم فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦ • وحكم على البعض منهم مع ايقاف التنفيذ • وقد حكمت المحـــاكم العسكرية على ٢٥٤ وهو عدد ضئيل بالنسبة لثورات العالم(٦٢) • ولكن تم اكتشاف مؤامرة ثانية فى قضيتين ، قضية المؤامرة وقضية التنظيم

---

(٦٢) خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمـــة الشباب الاشتراكى العربى بحلوان يوم ١٩٦٥/١١/١٨ جـ ٥ ص ٤٤٧ .

السرى المسلح • وهناك تنظيم آخر غير مسلح • وكلهم معتقلون ، وتصرف ماهيات أعضاء التنظيم غير المسلح ١٠٠٪ وللمسلح ٥٠٪ فقط !(٦٣) • وقد كان من المزمع الافراج عن الاخوان المعتقلين ، ولكن نكسة ١٩٦٧ أجلت الافراج • وهذا يدل على خوف ناصر من الاخوان فى أوقات الضعف • وبعد امتصاص غضب الناس واستيعاب الهزيمة بدأ الافراج عنهم وارجاعهم الى وظائفهم • ولكن يظل منهم حوالى ١٠٠٠ فى السجون ، أعضاء التنظيم المسلح الذين قاموا بعمليات ارهابية وبعلم مجلس الشعب • وفى كل مرة تكتشف مؤامرة يعتقل أعضاء التنظيم السرى القديم كله فى حين أن الكشوف القديمة لم تكن تعبر عن وضع التنظيم الحالى الذى ضم عناصر جديدة من الشباب بالرغم من سريته(٦٤) •

وكما هادن الاخوان القصر هادنوا الانجليز ، واتصلوا بهم ، وحادثوهم فى شئون البلاد من وراء الثورة • لقد ظل التعاون بين الاخوان والثورة حتى وزارة نجيب الهلالى فى ١٩٥٢/١٢/٩ قبل المفاوضات • ثم فاوض الاخوان الانجليز ، بين الهضيبى والمستشار الشرقى ايفانز وهى ما عرفت باسم مفاوضات الهضيبى / ايفانز • وقد قابل ناصر الهضيبى بعد أن علم بأمر المفاوضات فى بيت منير الدلة فى الدقى وبحضور خميس حميدة وكيل الاخوان وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وحسن عشماوى • وكان مع ناصر كمال

---

(٦٣) المؤتمر التعاونى الثانى فى ١٩٥٦/٦/١ جـ ١ ص ٤٩٠ .

(٦٤) فى افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ١٩٦٧/١١/٢٣ جـ ٦ ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، فى مؤتمر الاتحاد العام للعمال بحلوان ١٩٦٨/٣/٣ جـ ٦ .

الدين حسين وصـــلاح سالم وعبد الحكيم عامر • وطالب رجال الثورة أن يعرف الاخوان رأيهم حتى لا يتنـــازلوا عن شيء • ولكنهم فى النهاية قبلوا ما رفضـــه رجال الثورة • لقد قبل الهضيبى فى ابريل ما لم يقبله ناصر • وبالتـــالى فان معارضة الاخوان للثورة ليســـت بسبب اتفاقية الجلاء والمبادىء الوطنية بل معارضة تقوم على الحقد والضغينة والتضليل • وهى عبارات تعنى كلها الصراع على السلطة • فقد كان الاخوان يمثلون الســـلطة الشعبية ، ولم يكونوا بالحكم ، وكان رجال الثورة فى الحكم ولكن دون سند شعبى • اختفى الهضيبى ليعلن الجهـــاد ضد الثورة ورجالها وليس ضد اسرائيل أو الانجليز • من أول الثورة فى ١٩٥٤ تكتل الاخوان عندما كانت الثورة تتفاوض مع الانجليز • وقالوا للانجليز انهم مستعدون أن يتفاوضوا معهم • وكانوا فى ذلك الوقت يمثلون الثورة المضـــادة والحزب الرجعى فى البـــلاد(٦٥) •

لهذا السبب تم تجريح الاخوان مثل تجريح الوفد وكل الاتجاهات الوطنيـــة قبل الثورة بأنها كانت موالية للقصر ، ومهادنة للملك • فقد ذهب الهضيبى الى عابدين وهـــو مرشد عام للاخوان المسلمين ليقبل يد الملك ، كما فعل النحاس ، ويقول : زيارة كريمة لملك كريم(٦٦) • ودون اسمه فى سجل التشريفات مرات عديدة فى جميع المناســـبات

---

(٦٥) فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير امام جميع أعضاء مجلس ادارات فروع الهيئة فى أقسام القاهرة وشياخاتها ١٩٥٤/٨/٢١ ج ١ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٦٦) خطاب فى الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة ٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٥٢ .

لان فاروق من قوله ! لقد خضع الاخوان للقصر ، وهادنوا الحاشية فى حين ان الثورة عارضت الملك ، وقضت على الحاشية . ولكن الاخوان يقومون بحملة ضد الثورة باسم الدين والقرآن ، ويقومون بحملة تشكيك مغرضة ومنشورات باسم الدين . ولاول مرة يحكم مصر والمصريون . لقد طالبت الثورة بألا يدخل الملاهى أقل من ٢١ سنة وطالبت الاخوان ألا يدخلها أيضا من تجاوز ٢١ سنة فلماذا لم يعارضوا الاباحة المطلقة أيام الملك فاروق ويقولون ان الامر لولى الامر ؟ زايد الاخوان على الثورة وساروا فى ركاب الملك(٦٧) . ترامى الهضيبى على أقدام فاروق ، وقع فى دفتر التشريفات ، وكان رجال الثورة قد وهبوا حياتهم جميعا للشعب ، وكان الضباط الاحرار يضعون الخطط لتخليص الوطن . ولكن يبدو ان ناصر كان حريصا على ألا يطلق هذا الاتهام الا فى عهد الهضيبى . أما فى عهد البنا فكان للاخوان مواقفهم ضد القصر والملك ، الامر الذى كلفهم حياة مرشدهم العام . فكان اغتياله هدية عيد ميلاد الملك .

ويتهم ناصر الاخوان بأنهم أعوان الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية وهى التهم الثلاث الرئيسية فى الثوره المصريه . والدليل على ذلك اذاعة اسرائيل وباريس ومكة التى تذيع حجج الاخوان ضد الثورة المصرية . فلما فشل الهضيبى فى معارضة الثورة والقضاء عليها فى مصر توجه الى سوريا لبث الحقد فقرأت اذاعات

---

(٦٧) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٩ .

الاستعمار والصهيونية والرجعية بيانات الاخـوان • والدليل على رجعية الاخوان اتصالهم بالسعودية وتمويل السعودية لهم عن طريق سعيد رمضان المقيم بالسعودية • حزب الاخوان حزب رجعى متحالف مع الرجعيـة • يأخذ أمواله من الرجعية أى من الاستعمار • يتفق مع السعودية على الانتهاء من الحكم الثورى فى مصر فى غضون أشهر • وقد اعترف زغلول عبد الرحمن الذى سلم نفسه بأن السعودية أعطت ٢٥٠ ألف جنيه كدفعة أولى الى سعيد رمضان واخوان أبو الفتـح مع أن ينكر فيصل الدفع • والحقيقة أن الاخوان عملاء ، يأخذون الاموال لمؤتمراتهم من حلف بغداد ومن السعودية ومن الرجعيـة العربية • وكل واحد مقيم منهم فى الخارج باع نفسـه لكل من يدفع الثمن • أصبحوا عملاء للاستعمار والرجعية • وقد ثبت من المحاكمات انهم عملاء للسعودية ولحلف بغـداد • ويقبضون الثمن ويخدعون الشعب تحت ستار الدين • والثورة تريد أن تبنى مجتمعا متحررا من الاستعمار ومن الرجعية • وجد فيصل عملاء له فى الاخوان وهـو الحزب الرجعى الموجود فى البلاد وفى العالم العربى ، وقد وجدوا هم الفرصة المناسبة لاخذ الاموال • فتشابكت المصالح ، مصالح الرجعية التى تريد تحقيق أهدافها ، ومصالح الاخوان من أجل الحصول على الاموال • دعى الاخوان لفيصل وقاموا بدعاية له أى دعاية للرجعية وللاستعمار وللحلف المركزى ، حلف بغداد القديم • ولان الاخوان كحزب سياسى يسير فى ركاب الاستعمار والرجعية هربوا فى ١٩٥٤ وذهبوا الى فيصل الذى أعطاهم الاموال • وانتهزوا فرصـة موسم الحج وراحوا يهاجمون الثورة وناصر فى المساجد وفى الكعبـة وفى

المدينة ، ويوزعون الكتب والمنشورات ضد الثورة • فرد عليهم الحجاج ، ونشبت مشادات ، وقبض على بعض الحجاج(٦٨) •

لم يتجاوز الاخوان حدود الشـــعارات الدينية ، ولم يملؤوها بمضمون اجتماعى أو سياسى فى حين أن الثورة حققت المضـــمون وبالتالى تحققت الشعارات • يقول الاخوان القرآن دستورنا ، والثورة تخلع الملك ، وتقضى على الفساد والظام الاجتماعى ، وتحقق الجلاء • وهذا كله تحقيق لشعار الاخوان (٦٩) •

والحقيقة أن الثورة نفسها أطلقت شعارات اجتماعية وسياسية دون مضامينها • فالتجربة المصرية فى نهاية الامر كانت أقـــرب الى شعارات الحرية والديمقراطية المتمثلة فى « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » فى حين أن النظم والمؤسسات الدستورية لم تكن تحقيقا لهذه الشعارات • كما ان شعارات العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص والاشتراكية كانت فى جانب والنظم الاجتماعية والاقتصادية

---

(٦٨) كلمة القيت فى وفد من أهالى العزيزية بمديرية الشرقية فى دار الرياسة حيث توجهوا اليها لتهنئة الرئيس باتفاقية الجلاء وم ١٩٥٤/٩/٢٠ ج ١ ص ٢٢٢ ، خطاب فى الطلبة العرب فى موسكو يوم ١٩٦٥/٨/٢٩ ج ٥ ص ٤٠٣ ، خطاب ومناقشات بين الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمـــة الشباب الاشتراكى العربى بحلوان يوم ١٩٦٥/١١/١٨ ج ٥ ، خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥٠٣ ، خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس يوم ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٢٥ ، ٥٣٣ ، خطاب فى الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة ١٩٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٩٥٨ •

(٦٩) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٩ •

لم تكن تطبيقا جادا وحاسما لهذه الشعارات • فما تنقد به الثــورة الاخوان هو أيضا نقد ذاتى للثورة قامت به فى أوقات انحسارها ، وقام به نقاد التجربة المصرية ومحللوها السياسيون •

وبعد ١٩٧٠ لم تكن هناك اشارة الى الصراع بين الاخوان والثورة الا مرة واحدة كأول عملية مع الاخوان حدث فيهــا العدوان على جمال عبد الناصر فى المنشية فى ١٩٥٤ والدخول فى معركة معهم • وذلك يدل صراحة على أن الصراع كان على السلطة أساسا وليس صراعا أيديولوجيا يقوم فى محوره على الدين(٧٠) •

٩ — الوحــدة العربيــة •

وقد بدأ استخدام الاسلام فى معارك الوحدة العربية فى ١٩٥٨ بعد اتحاد مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة • كــان موضوع وحدة المسلمين والعرب والتفكك والفــرقة من الموضوعات العامة التى ظهرت بعــد قيام الثورة كنوع من الوعظ الدينى السايسى دون أن يكون له واقع سياسى معين • فلما قامت أولى مظاهر الوحدة العربية بالفعل دخل الاسلام فى المعركة على نحو تاريخى عن طريق استرجاع الحــروب الصليبية ، احدى مظاهر الاستعمار فى صورته القديمــة ، وتوحيد المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الايوبى الذى وحد مصر وسوريا أمام الهتافات مثل « وحدة مصر وسوريا بــاب الوحدة العربية » • وقورن ناصر بصلاح الدين • وقد زادت ثــورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ من عواطف الوحدة العربية • كما زادت

---

(٧٠) خطاب فى اللجنة المركزية يوم ١٩٧٥/١١/٢٠ س جـ ٥ ص ١٩ .

الحرب اللبنانية بين القوى الوطنية والقوى اليمينية الحماس للعروبة حتى ظن العرب جميعا انهم على أبواب الوحدة العربية الشاملة !

لقد انتهز الاستعمار الاوربى فى ذلك الوقت التفكك الذى كان بين الامة العربية • واستطاع تحت اسم الحملات الصليبيه التى لم تكن تعنى الا الاستعمار أن ينفذ الى داخل الوطن العربى • ورغم ضعف الامة العربية وتفككها فى ذلك الوقت فقد هب العرب فى كل مكان للدفاع عن قوميتهم وأراضيهم • اتحدت الامـة العربية واتحد امراؤها ليواجهوا الخطر وليواجهوا الاسـتعمار الغربى الذى غزا أراضيهم تحت اسم الصليبية • وكان النصر حليف القومية العربية ضد ملوك أوربا وفرنسا وانجلترا وبقية الدول الاوربية • واستمرت الحرب ثمانين سنة ، غزوا مستمرا وحملات باسم الدين وهى فى الحقيقة لم تكن تهدف الا الى السيطرة • اسـتطاع الصليبيون فى أول الامر أن يحتلوا فلسطين ويستولوا عليهـا ، ويحتلوا بيت المقدس ، وأن يفرقوا الامة العربية فى مصر والامـة العربية فى الشرق العربى • وبعد أن استتب لهم الامر فى فلسطين ومكنوا لانفسهم فيها أرادوا أن يتقدموا نحـو مصر • واستطاعوا أن يصلوا الى الشرقية وبلبيس والى أبواب القاهرة ، كانت الجيوش المصرية تحارب وحدها ، وكان لابد من انقاذ الامة العربية والوطن العربى من الغزو الاستعمارى تحت اسم الصليبية • كان لابد أن تتحد الامة العربية مرة أخـرى لتنتصر • فكان التضامن والاتحـاد بين سوريا ومصر هما السبيل الوحيد للقضاء على هذه الحملات الصليبية ، وهما السـبيل الوحيد لانقاذ القومية العربية • فأرسل السلطان نور الدين محمود ، السلطان السورى فى ذلك الوقت ، جيوشه الى مصر لتعاونها فى صـد الغزاة

الصليبيين • واستطاعت جيوش مصر وسوريا التى اتحدت أن تهزم الصليبيين وأن تردهم عن أبواب القاهرة ، وأن تردهم الى حدود فلسطين(٧١) •

بعد تلك الحملة الصليبية أى بعد عشرين سنة من طرد الصليبيين من القاهرة هاجم الصليبيون من فلسطين أيضا ، هاجموا سوريا ، فاتحدت سوريا ومصر مرة أخرى تحت قيادة صلاح الدين • خرجت الجيوش لنجدة الشعب العربى فى سوريا ، وانتصر صلاح الدين فى معركة حطين • ولم تكن هذه النجدة لسوريا وحدها ولكن استطاعت الجيوش المصرية السورية أن نحرر فلسطين ، وتحرر القدس ، وتخرج الصليبيين من فلسطين • كانت الوحدة هى الدرع التى انكسرت عليها موجات الغزاة ، وكان التفكك والانقسام هما الوسيلتان اللتان نفذ بهما المستعمر الى الدول العربية كى يخضعها • ولكن بعد اتحادها لم تستطع المحلات الصليبية أن تخضعها(٧٢) • وبعد ١٩٧٠ لا يظهر هذا الموضوع الا مرة أو مرتين مما يدل على غياب الطابع الوحدوى لهذه المرحلة • ولقد استمر الغزو الصليبى ثمانين سنة ولكن اتحدت مصر وسوريا تحت قيادة صلاح الدين الذى خلص المنطقة من الغزو

---

(٧١) كلمة القيت عقب عودة الرئيس جمال عبد الناصر من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٢٠ جـ ٢ ص ٧٧ .

(٧٢) خطاب فى حفل وضع حجر الاساس للمدينة السكنية لضباط الصف فى دمشق يوم ١٩٥٩/٣/١٤ جـ ٢ ص ٣٧١ .

الصليبى(٧٣) • وقبل ذلك التتار وتوحيد مصر وسوريا لصدهم(٧٤) • فقد أصبحت المستعمرات على شواطىء فلسطين ثمانين عاما ، وتحررت بالارادة العربية بفضل صلاح الدين • ويمكن أن يتم نفس الشىء وتحرير الارض من الصهيونية العالمية(٧٥) • فى تاريخ الامة العربية هجمتان أرادتا القضـاء عليها ، التتار والصليبيون • ولم يسـتطع العرب مواجهتهم الا بالاتحاد • وما كان ممكنا أن يخرج الاسـتعمار الصليبى الاستيطانى بعد ثمانين عاما الا بفضل تعاون الشام ومصر تحت قيادة واحدة • والماضى مثل اليوم ، والصهيونية مثل الصليبية لتدمير الشخصية العربية(٧٦) •

وقد هجم الصليبيون منذ ٧٠٠ سنة على دمياط • وكانوا بقيادة لويس ملك فرنسا • واحتلوا دمياط وسارت الحمـلة من دمياط الى المنصورة • وكان الملك الناصر يقيم فى دمشق • فحضر من دمشق وهو مريض • وكانت جيوش سوريا تتجمع هنا مع جيوش مصر لتهزم لويس فهزمته ، وألحقت به الهزيمة والعار(٧٧) • وفى مقال فى المجلة

---

(٧٣) خطاب برشيد فى الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز من رشيد يوم ١٩٥٩/٧/٢٨ جـ ٢ ص ٥٦٨ .

(٧٤) بيان الى الامة ١٩٧١/٥/٢٤ س ١ ص ٢٦٨ فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧١/٧/٢٣ س ١ ص ٤٥٨ .

(٧٥) بيان الى الامة ١٩٧١/٨/٣٠ س جـ ١ ص ٤٣٥ .

(٧٦) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ٥٨/٣/٢٠ جـ ٢ ص ٧٦ — ٧٨ .

(٧٧) حديث الى مجلة روز اليوسف ٥٧/٣/٢٣ س ٥ ص ١٢١ .

العسكرية الاسرائيلية بعنوان « الى دمشق » يذكر بالحرف الواحد « اننا اذا أردنا أن نهزم العرب فليس أمامنا الا أن نتجه الى دمشق • ان الغلطة الكبرى التى ارتكبها الصليبيون حينما احتلوا البلاد العربية هى عدم احتلال سوريا كلها واخضاعها بواسطة الصليبيين • كانت الغلطة الكبرى التى مكنت العرب من أن يتحدوا وأن يتخلصوا من الاستعمار الصليبى »(٧٨) •

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه الحروب الصليبية هاجمت هذه المنطقة من العالم جيوش من أواسط آسيا ، جيوش التتار الذين وصلوا الى بغداد فسقطت بغداد فى أيدى التتار ، واستولى هولاكو عليها ، وأنهى حكم العباسيين • ثم دخلت جيوش التتار سوريا لتستمر فى الفتح والغزو مشبعة بالنصر • وكانت سوريا مشغولة بحروب الصليبيين • ومع ذلك قامت سوريا لتحارب وتصد التتار • وفى نفس الوقت هبت مصر لتحارب مع سوريا فى هذه المعركة ضد المعتدين الذين لم ينهزموا فى معركة واحدة منذ قيامهم للغزو • وقد استطاعت جيوش مصر وسوريا أن تهزم التتار فى معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ • ففى كل مرة تتحد فيها سوريا مع مصر يهزمان معا أعتى الجيوش ، الصليبية التى تمثل الاستعمار الاوربى والتتار • ولم يقتصر الامر على هزيمة التتار بل انسحبوا من الاراضى العربية

---

(٧٨) خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ١٩٦٠/٥/٧ جـ ٣ ص ١٧٥ ــ ١٧٦ ، خطاب فى حفل وضع حجر الاساس للمدينة العسكرية لضباط الصف بدمشق فى ١٩٥٩/٣/١٤ جـ ٢ ص ٢٧ ، خطاب فى يوم الجزائر ١٩٦٠/١١/١ جـ ٢ ص ٣٠٤ •

حتى عبروا الفرات وتبعتهم الجيوش المصرية والسورية حتى عبروا خلفهم الفرات • وهذا هو معنى الجمهورية العربية المتحدة(٧٩) •

والتاريخ القديم يعيد نفسه فى التــاريخ الحديث • فلم تكن مصادفة حينما وصل الجنرال اللنبى ، قائد الجيوش البريطانية الى القدس وقال : اليوم انتهت الحروب الصليبية • ولم تكن مصــادفة حينما وصل القائد الفرنسى الجنرال جورو الى دمشق حتى وصل الى قبر صلاح الدين وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين • دخل العــرب حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بسبعة جيوش عربية • ولو كانت جيشــا واحدا مثل الجيش الذى قاده صلاح الدين ، الجيش الذى قام من سوريا ليعاون المصريين ضد غزو الصليبين ، والجيش الذى قام لصد التتــار بعد أن عبروا الفرات لكانت قد انتصرت • فالصليبية الجديدة هو الانتداب • فوضعت فلسطين تحت الانتداب من أجل القضــاء على القومية العربية بطريقة جديدة • لم تنته الحملات الصــليبية للقضاء على القومية العربية ، وقامت أساطيل بريطانيا فى ١٨٠١ وفى ١٨٠٧ ثم فشــلت • ثــم عادت الجيوش البريطانية بعــد انهيار الامبراطورية العثمانية فى الجزء الاكبر منهــا الى الصهيونية العميل الاول للاســتعمار فى الشرق الاوسط • وجاءت ســنة ١٩٦٧ فاذا بالامبريالية الامريكية تمكن الصهيونية من الجزء الباقى من القدس ، وتساعد اسرائيل على تنفيذ مؤامرة خطيرة ليست أول ما تعرضت له الامة العربية • فاذا كان الاستعمار الصليبى مكث فى القدس ٨٠ عاما

---

(٧٩) كلمة ألقيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٢٠ جـ ٢ ص ٧٨ — ٧٩ •

فان ذلك لا يعنى انتظار الاستعمار الصهيونى سبعين عاما مماثلة بل يعنى التصميم والارادة والاصرار على التحرر(٨٠) .

يثبت التاريخ القديم أن التفكك يسبب غزو البلاد وان الوحدة هى سبب النصر . التفرق تهزمه الجيوش الصغيرة ، والاتحاد يهزم الجيوش الكبيرة مثل جيوش فرنسا وانجلترا من سنة ١١٨٠ الى سنة ١٩٥٧ . فقيام الجمهورية العربية المتحدة هـو طريق الانتصار كما يثبت التاريخ القديم . فما من مرة تتحد فيهـا سوريا ومصر الا وتثبت دعائم القومية العربية . ان أى عربى ينظر فى تاريخه ينادى بالوحدة ويشعر أن فى الوحدة تحقيق الآمال ، ودرء الاخطار ، وتثبيت دعائم القومية العربية ، والتغلب على دسائس الاستعمـار . يعيد التاريخ نفسه عندما يلتقى الشعب العربى فى مصر بالشعب العربى فى سوريا ، ويجتمع الجيش العربى فى مصر مـع الجيش العربى فى سـوريا . وتعقد الامة ارادتها على أن تعيد التاريخ فتحرر أرضها . هـذا هو درس الماضى ودرس الحاضر ودرس المستقبل أيضا(٨١) .

---

(٨٠) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٢٠ ج ٢ ص ٨٠ — ٨١ ، خطاب برشيد فى الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز من رشيد فى ١٩٥٩/٧/٢٨ ج ٢ ص ٥٦٨ ، خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ١٩٦٠/٥/٧ ج ٣ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، خطـاب فى المؤتمر الشعبى بدمياط ١٩٦١/٥/٨ ج ٣ ص ٤٣٧ ، خطاب فى يـوم الجزائر ١٩٦٠/١١/١ ج د ص ٣٠٤ ، فى المؤتمر الشعبى بالمنصـورة لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٣/١٨ ج ٦ ، خطاب فى أعضاء المجلس المركزى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ١٩٦٧/٢/٢٦ ج ٦ .

(٨١) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٢٠ ج ٢ ص ٧٧ ، خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ١٩٦٠/٥/٧ ج ٣ ص ١٧٦ .

لقد كشف ناصر عن تستر الحملات الصليبية تحت اسم الدين من أجل الاستعمار والسيطرة واستغلال شعار الصليب الذى كان فى حقيقة الامر وسيلة لاخفاء الاستعمار • وبين أن الحملات الصليبية هى فى الاصل استعمار اتخذ شعار الصليب • لقد هاجم الاستعمار تحت اسم الحروب الصليبية وكان يلاقى بعض النجاح • كان الاستعمار الصليبى يتستر تحت اسم الدين ويقول انه يريد أن يؤمن بيت المقدس • وتعرضت سوريا للعدوان • واحتل الاستعمار الصليبى أجزاء منها • ولكن لم يكتف باحتلال القدس بل اتجه الى مصر واستمر الغزاة فى القدس ٨٨ سنة • هذه الغزوات لا تهدف أبدا الى رفع شأن الدين ولكنها استعمار تحت اسم الدين • كان من الواضح أن اسم الدين هو اسم مزيف • وكان من الواضح أيضا من الحملة الصليبية التى وجهت الى المنصورة أن لويس التاسع الذى تستر تحت اسم الحروب الصليبية لا يمت بأى حال من الاحوال الى الدين ولكنه يتجه الى السيطرة على هذا البلد وخيراته• ففى رد لويس التاسع الى الملك الصالح الذى كان يحكم البلاد قال لويس بالحرف الواحد : « الى الملك الصالح • انه غير خاف عنك أن أهل جزائر الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البعير ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار • وقد أبديت لك النصح • فلو حلفت بكل الايمان ، وحملت قدامى الشمع ساعة للصلبان ما ردنى ذلك عن الوصول اليك وقتالك فى أعز البقاع لك » • وقال لويس أيضا : « فاذا أصبحت هذه البلاد لى — أى مصر — فتكون هدية فى يدى » أى أنه كان يريد مصر • لقد رفع الصليبيون راية الصليب وكانت نيتهم الحقيقية هى الاستعمار والتعصب • أرادوا احتلال البلاد

والسيطرة على مقدراتها واخضاعها للسيطرة المعتدية من الخـارج • هاجموا دمياط واحتلوها • وكانت قواتهم وأساطيلهم تعبر عن التعبئة الاستعمارية الصليبية فى هـذا الوقت لاخضاع هـذه المنطقة من العالم • كان الصليبيون يضمرون فى أنفسهم أمـرا ، القضـاء على القومية العربية ، والسيطرة على بلاد العـرب جميعا ، واخضاع هذه البلاد لتكون لهم مزرعة يتمتعون بخيراتها(٨٢) • منذ ٧٠٠ سنة دارت فى المنصورة معركة فاصلة كانت نقطة تحول فى الغارة الاسـتعمارية الاولى ضد المشرق العربى • وهى القارة التى تسترت وراء الصليبية ، وحاولت أن تستخدم رسالة السماء التى حملها عيسى اخاءا وسـلاما بين البشر الى سيطرة وعدوان واغتصاب واحتلال(٨٣) •

ولكن فى مقابل ذلك لم يستعمل ناصر دين الاسلام مثـلا ، فى مواجهة دين المسيحية • ولم يدع الى الجهاد الاسلامى فى مواجهة الحملات الصليبية الجديدة • ولكنه دعا الى الوحدة العربية وتوحيد مصر وسوريا بعـد قيام الجمهورية العربية المتحدة لا قبلها كتبرير سياسى لقيامها • ولم يفسر الاسلام تفسيرا ثوريا بقدر ما واجـه التستر الدينى الصليبى بقيم علمانية خالصة مثل القومية العربية • لم يجعل تاريخ الوحدة العربية بين مصر وسوريا وسـيلة لتحقيق

---

(٨٢) خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ٧/٥/٦٠ جـ ٣ ص ١٧٢ ، نفس الخطاب ص ١٧٣ ، خطاب برشيد فى الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز فى ٢٨/٧/١٩٥٩ جـ ٣ ص ٥٦٦ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بدمياط ٨/٢/١٩٦١ جـ ٣ ص ٤٣٧ .

(٨٣) فى المؤتمر الشعبى بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ١٨/٣/١٩٦٨ جـ ٦ .

الجمهورية العربية المتحدة بل لتبرير قيامها بعد أن قامت بالفعل •
وهنا يسقط ناصر الحاضر على الماضى ، ويؤول الماضى بمفاهيم الحاضر •
فلم تكن الحروب الصليبية ضد القومية العربية بل ضد المسلمين •
ولم يدافع المسلمون بقيادة صلاح الدين عن العرب والعروبة بل عن
الاسلام والمسلمين •

وقد برزت الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين خلال الحروب
الصليبية • فلم ينخدع المسيحيون العرب باسم الحملات الصليبية
لانهم كانوا يؤمنون بالقومية العربية •وكانوا يؤمنون بأراضيهم وبسمائهم
وبالبلاد التى ترعرعوا فيها • وقفوا جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين
يدافعون عن فكرة القومية العربية • كانت الحملات الصليبية فى الاصل
استعمار تحت اسم الحملات الصليبية تهدف الى السيطرة والتحكم •
وقد فطن العرب التى تظلهم فكرة القومية العربية الى ذلك فقام
المسلمون والمسيحيون فى جميع أرجاء الامة العربية يحاربون ويقاتلون
وهم بهذا يدافعون عن فكرة واحدة معروفة ، فكرة القومية العربيه •
منذ أكثر من سبعمائة عام هاجمت الحملات التعصبية سوريا وفلسطين
ومصر ، وقامت الامة العربية التى اكتشفت نفسها ، قام المسلم فيها
والمسيحى جنبا الى جنب للدفاع عن وطنهم المقدس ضد السيطرة
المعتدية المستعمرة المتعصبة من الخارج • فكانت الوحدة سبيل النجاة
والحرية وطرد العدوان • لقد كان من الواضح للامة العربية كلها
مسلمين ومسيحيين أن هذه الغزوات لا تهدف أبدا الى رفع شأن
الدين ولكنها استعمار تحت اسم الدين • فهب الشعب العربى واستطاع
أن يقضى على الغزاة • كان من الواضح أن اسم الدين هو اسم مزيف•
فان احدى المحلات الصليبية التى وجهت الى الامة العربية غيرت

طريقها فسارت الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية وكانت فى هـذا الوقت تحمى المسيحية فى الشرق • فهاجمـوا القسطنطينية ودمروها ونهبوا أموالها واحتلوها وهى فى ذلـك الوقت عاصمة المسيحية فى الشرق ! كان من الواضح لكل فرد مسلم ومسيحى أن هذه الحملات انما هى حمـلات عدوانية استعمارية(٨٤) • كانت تريد اثارة فتنـة طائفية فى فى البلاد العربية • وقالوا انهم يحاربون الاسلام والمسلمين • فهب الشعب المسلم للدفـاع عن وطنه ، وهب معه الشعب العـربى المسيحى ليدافع عن وطنه • ولم تنجح محـاولات التفرقة بين أبنـاء الامة • فالشعب المسلم يعيش فى نفس الوقت مع أشقائه فى العروبة من جميـع الاديان فى محبة واخاء • لم يستطع الاسـتعمار أن يفرق بين أفراد الشـعب فى الماضى • فالشـعب يرفع رايـة الاسـلام ، ويرفع راية القومية العربية التى تجمع المسلم والمسيحى تحت رايـة الوطن الواحد(٨٥) •

١٠ ـ الوحـدة الوطنيـة •

ويظهر موضوع الوحدة الوطنية أكثر فأكثر كموضوع مستقل عن وحدة المسلمين والمسيحيين ضـد الصليبيين كرد فعـل على أحداث

---

(٨٤) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ٥٨/٣/٢٠ جـ ٢ ص ٧٦ ــ ٧٧ •

(٨٥) خطاب برشيد فى الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز من رشيد فى ١٩٥٨/٧/٢٨ جـ ٢ ص ٥٦٨ ، خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ١٩٦٠/٥/٧ جـ ٣ ص ١٧٢ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى للاتحـاد القومى بجامعة القاهرة ترحيبا بالرئيس أيوب خان ١٩٦٠/١١/٨ جـ ٢ ص ٣١٣ •

معاصرة ســواء داخل مصر أو خارجها فى لبنان • وبالرغم من قلـة هذه الاحداث فى العهـد الناصرى الا أنها جعلت موضوع الوحـدة الوطنية من الموضوعات البارزة فى الفكر السياسى عند القادة • وكانت الطائفية قمة هـذه الاحداث • والطائفية فى مصر ليس لها أى اعتبار • فكل فرد فى هـذا المجتمع مواطن له حقوق وعليه واجبات ، وعلى قدر جهده تكون له فرصة فى العمل • والاعمال لا توزع على أساس طائفى • ويدخل الطلاب فى الجامعات على أساس المجموع وليس على أساس الدين • فأبناء الوطن جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات والعمل • وان الابواق الاجنبية تزعم أن الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة لا تراعى المساواة بين الطوائف فى حين أنها تقوم على الكفاءة والعمل • وبالتالى أمكن القضـاء على الطائفية قضاء تاما • فاذا فاز مائة مسيحى للدخول فى الوظائف الكثيرة فانهم يوظفون بصرف النظر عن الدين أو الطائفية • لقـد حاول البعض تعديل هذا النظام ولكن الثورة لم تقبل • فلا فرق بين مصرى ومصرى ، ومواطن ومواطن • وفى الوظائف الاخيرة التى استحدثت يوجد عدد ضخم من المسيحيين يبلغ أكثر من ٧٥٪ فى بعض الاحيان • واذا كانت الثورة تطلق مبادىء الدرس والجهـد والعلم ، فليس من المعقول استبعاد مصرى مسيحى ونستبدله بمصرى مسلم تحت وطأة تفكير طائفى سخيف • التعيينات فى الحكومة وفى القضاء بالاقدمية • وفى كل الوظائف الترقيات بالاقدمية لغاية الدرجة الاولى ، وبالتالى منـع التعصب والتلاعب • والتعيين فى القضـاء بالمجموع وليس بالدين • الدولة لا تنظر الى الدين ، والمجتمع لا ينظر الى الدين ولكن ينظر الى العمل والى الجهد والى الانتاج والى الاخلاق • وبهـذا نبنى فعلا المجتمع الذى نادت به الاديان السماوية التى نص الميثاق على احترامها • والمادة الرابعة والعشرون فى الدستور تنص

على أن المصريين أمام القانون سواء • وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الاصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة(٨٦) •

وقد تعنى الوحدة الوطنية أحيانا وحدة قوى الشعب العامل أو وحدة التيارات الفكرية أو وحدة الاحزاب السياسية وذلك بعد حل الاحزاب فى مصر أولا ثم فى سوريا ثانيا بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة • ولكن الغالب عليها هو الوحدة الوطنية فى مقابل الطائفية • فالثورة السياسية قضاء على الطائفية ونهاية لتجار الطائفية • أرادت فرنسا وهى تحتل سوريا أن تتاجر بالطائفية ، وأن تشجع تجار الطائفية • ولكن الشعب الحر الواعى رفض أن ينقاد وراء تجارة الطائفية • فحارب المسلم والمسيحى الاستعمار ، وأجلوا فرنسا • واستشهد المسلم والمسيحى ، وسفك دم المسلم والمسيحى ، سفك الدم العربى • لقد حاولت فرنسا تقسيم الشعب بالطائفية • ولكن الثورة السياسية قضت على أساليب فرنسا وعملائها ، ووحدت الشعب تحت راية الوحدة الوطنية • لم يستطع الاستعمار بذر بذور الفتنة الطائفية لان هناك أمة عربية واحدة تعمل من أجل تحقيق الاهداف العربية ، وتقوم على الوحدة الوطنية •

---

(٨٦) خطاب فى شباب الاقليم السورى وعماله فى الاسكندرية ٦١/٨/١٧ ج ٣ ص ٤٩ ، حديث مع صاحب مجلة كل شىء اللبنانية ١٩٦٢/٥/١٣ ج ٤ ص ٣٤ — ٤٥ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بارساء الحجر الاساسى لكاتدرائية الكنيسة المرقصية ٦٥/٧/٢٢ ج ٥ ص ٣٥١ — ٣٥٢ ، الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤/٣/٢٥ ص ١٢ •

وفى مصر حاول الاستعمار أن يستخدم الطائفية ليقسم الطبقة العاملة لتكون فى خدمة الرجعية لان الطبقة العاملة اذا انقسمت على أساس الدين أو على أساس طائفى وتصارعت على أسس طائفية نسيت أهدافها الاجتماعية فى اقامة العدالة والمساواة والرفاهية • وقد وعى الشعب المصرى ذلك • ولم يستطع الاستعمار والرجعية من أن يستغل الطائفية لتقسيمه • لقد حاولت بعض العناصر منذ سنة ونصف استخدام الطائفية ، وحاولوا استخدام بعض رجال الدين الذين كانوا فى خدمة الرجعية • ولكن الشعب الواعى استطاع أن يكشف هذه الحركة ويقضى عليها تماما(٨٧) •

لم يعتمد ناصر كثيرا على الوعظ الدينى السياسى باللجوء الى المحبة والاخاء بل لجأ الى تاريخ الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار من المسلمين والمسيحيين على السواء ، كما لجأ الى القومية العربية التى تضم المسلمين والمسيحيين • اذ تقوم الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين على مبادىء الثورة ، فالاسلام والمسيحية كلاهما ثورة • والثورة قامت على المحبة ولم تقم على الكراهية والتعصب • قامت تدعو للمساواة وتكافؤ الفرص • وهى المبادىء التى نادت بها الاديان ، كما نادت الاديان بالعمل من أجل الفقراء والمساكين والعاملين • واستنكرت الاستغلال والاستعباد بكل معانيه • كان المسيح ضحية للاستعباد والاحتلال الرومانى • وتقبل المسيحيون العذاب بصبر وايمان • وكانوا بالرغم من ذلك يدعون الى المحبة والاخاء • وكفاح

---

(٨٧) خطاب فى دمشق ١٧/١٠/٦٠ جـ ٢ ص ٢٨٣ ، خطاب فى شباب الاقليم السورى وعماله فى الاسكندرية ٢٧/٨/٦١ جـ ٣ ص ٤٩٢ .

محمد مثل كفاح المسـيح • وعلى مر العصور كان المسيحيون والمسلمون اخوة دائما منذ عهد الرسـول • وقد أشار القرآن الى ذلك ، اخوة عرضها الله على الشعب وحرم عليه التعصب • وحين دخل الاسـلام مصر استمرت المحبة بين الاقباط والمسلمين ، ولم يتحول الاقباط عن دينهم قسرا ولا عنفا لان الاسـلام لم يعترف بالقسر والعنف بـل اعترف بأهل الكتاب وبالمسيحيين ، اخوة فى الدين واخوة فى الله • هذا هو مفهوم الثورة للدين • بالمحبة والاخاء والمساواة وتكافؤ الفرص يخلق الوطن القوى الذى لا يعرف الطائفية ولا يحس بها بل يشعر بالوطنية التى يشعر بهـا الجندى فى ميدان القتال • فى فلسطين فى ١٩٤٨ كان المسلم يسـير جنبا لجنب مع المسيحى ، ولم تكن رصاصة الاعداء تفرق بين المسلم والمسيحى • وحينما تعرضت مصر للعـدوان فى ١٩٥٦ وضربت بورسعيد لم تفرق القنابل بين المسلم والمسيحى ، فكلاهما أبناء مصر(٨٨) • ولكن فى كل مجتمع يوجد الطيب والخبيث ، السليم وغير السليم • فتنشـأ المشاكل والعقبات من فئة المتعصبين سـواء كانوا مسيحيين أو مسلمين ، فتحدث المشادات فى بعض القرى • فيتعصب مسلم فيثير الناس أو يتعصب مسيحى فيثير الناس ، فيتعادى الاخوان • ولكنها حوادث قليلة ، والدين الاسلامى بعيد عن التعصب • هـذه الحوادث القليلة ليست ظاهرة عامة • انما الواجب هو دعوة المتعصبين الى العدائية سـواء كانوا مسلمين أو مسيحيين • اذا تعصب المسلمون وشذوا فلا يتعصب المسيحيون ، واذا تعصـب المسيحيون وشذوا فلا يتعصب المسلمون • فالمتعصب المسلم لا يمثل اتجاه المسلمين

---

(٨٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بارساء حجر الاساس لكاتدرائية الكنيسة المرقصية ٦٥/٧/٢٢ جـ ٥ ص ٣٥٠ — ٣٥٢ .

والمتعصب المسيحى لا يمثل اتجـاه المسيحيين • انمـا هى حوادث فردية من شواذ • وقـد عرفت مصر بخلوها من الطائفية والتعصب والانقسام • هـذه قضية وطنية ، وقضية بناء المجتمع • ويستطيع العقلاء حل هـذه المشاكل الصغيرة التى تظهر بين الحين والآخر فى مكان ناء أو قرية صغيرة • لقـد خلق الله العالم وخلق معـه التعصب والمتعصبين وسينتهى العـالم ويقل التعصب والمتعصبون • ولكن مهمة العقـلاء التخفيف من حدة التعصب وعدد المتعصبين • لقـد بنيت الوحدة الوطنيـة بالدم سـنة ١٩١٩ وقبلها ، وكان على كل مواطن أن يشـعر بأن هذا البلد بلد المسلم والمسيحى على السواء •

ويبدو أن من عيوب الوعظ السياسى الدينى السياسى انه تغيب عنه التحليلات الاجتماعية • يلجأ ناصر الى الطبيعـة البشرية ، فيجد فيها الخبيث والطيب ، ويلجأ الى المجتمـع البشرى فيجد فيـه المتعصب والمتسامح ، وكأن الطبيعة البشرية ثابتة لا تتغير ، بها صفات أزليـة أبدية فى حين أن التعصب ينشأ من ظروف نفسـية واجتماعية معينة ، مثل وجود الاقليات وسـط الاغلبية ، والجهل الدينى للاغلبية ، وايذاء شعور الاقليات بمظاهر النفاق الدينى ، والسيطرة الاقتصادية للاقليات تعويضا عن النقص • كما يعالج ناصر المشكلة عن طريق حكمة العقلاء فى مقابل جنون المتعصبين دون تغيير للاوضاع الاجتماعية ذاتها التى نشأ فيها التعصب • لذلك لم تنته مظاهر التعصب حتى الآن وفى كل مرة تتم مواجهة المظاهر بالوعظ الدينى السياسى لان الواقع الاجتماعى نفسه لم يتغير •

ويظهر موضوع الوحدة الوطنية بعد ١٩٧٠ بصورة متكررة دون معالجته بطريقـة موضوعية ومعرفة أسباب نشـوب هذه الحوادث

الطائفية بين الحين والآخر ، وذلك لضعف النظام السياسى ، واحتكاره للقضية ، وتلهية الشعب عنها • تذكر مبادىء عامة عن السماحة ، والحرية فى العقيدة ، والمساواة ، والتعاون ، والمحبة ، والانفتاح العاطفى • يجتمع المسلمون على دينهم من غير عدوان على أحد لدراسة الاسلام دون التعريض بالديانات الاخرى لان الاسلام قائم على السماحة وعلى حرية العقل والقلب ولانه يعترف بالاديان السماوية التى سبقته وبكتبها المنزلة • ولا يكمل ايمان المسلم الا بايمانه بما بعث الله من رسل ، وأنزل من شرائع • جاء الاسلام ليوحد البشر لا ليفرقهم ، وليؤاخى بين الناس لا ليعادى بينهم ، وليرفع لواء الحرية فى العقيدة لا ليكره الناس على عقيدة • وقد سوى الاسلام بين الحقوق والمعاملات بين المسلمين والمخالطين لهم من النصارى واليهود حتى ان بعضهم تولى الحكم ونهض بأعباء الوزارة فى فترات شتى من التاريخ • لا يمكن السماح بتمزيق الوحدة المقدسة تحت أى شعار أو ضغوط طائفية بين الجمعيات الاسلامية والمسيحية ، وهذه الوحدة الوطنية سمة أصيلة من سمات المجتمع المصرى وهى التى استطاعت أن تقضى على الفتن على مر العصور • ان تعاليم الاسلام السامية ومثله العالية وتاريخه المجيد وسماحته العظمى هى التى أفاءت ظلالها على المسلمين وغير المسلمين • ان الطائفية غريبة على بلد كان دوره الاسلامى القيادى حقيقة لا تنازع • وكان الوجود المسيحى فيه من قبل الاسلام ومن بعده اخاء ووطنية غير قابلة للاستغلال والتحريض • كان الازهر منارة الاسلام ، والبطريركية القبطية قلعة المسيحية العتيدة فى الشرق • يظل هذا الوطن مؤمنا برسالات السماء مخلصا مؤمنا عارفا بالحق متوسطا بالهدى متوجها الى الله حاملا لكتبه المقدسة •

كان الوطن دائما من القلاع الحصينة فى الدفاع عن الدين قبل الاسلام وبعده • بل ان الدين كان لديه فى عصور طويلة دعاء الوطنية ذاتها • فكل طائفية ردة وشكوك والوحدانية رباط مقدس(٨٩) •

وتفسر حوادث الشغب الطائفية على أنها من فعل المندسين والعملاء وطلاب السلطة والناصريين والماركسيين من أجل تفتيت الوحدة الوطنية • يقوم هؤلاء بالتشكيك فى الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط ويوزعون منشورات تسىء الى المسلمين ومنشورات تسىء الى الاقباط قادمة من خارج البلاد وبالتحديد من الولايات المتحدة • وهو جزء من الحرب النفسية باستغلال الغطاء السطحى للتوتر الطائفى العام واثارته من خارج البلاد • وردا على سؤال أن تكون لاثيوبيا والسودان ولجهات لبنانية علاقة بالفتنة الطائفية فى مصر أجاب الرئيس بأنها حتما من خارج البلاد • وهناك وثائق شاهدها شيخ الازهر وبابا الاقباط تؤكد أن مخططها وضع فى أمريكا وكندا بالذات ، وان الطائفية فى مصر دائما أمر مفتعل لانها ليست من أصالة الشعب فى شىء(٩٠) •

---

(٨٩) رسالة الى مؤتمر الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا المنعقد فى لوس انجيلوس بالولايات المتحدة ٧٢/٧/٤ س ١ ص ٣٩٤ ، فى جامعة الاسكندرية ٧٢/٧/٢٧ س ٢ ص ٣٤٣ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى بدكار ٧٢/١٢/٧ س ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ وأيضا فى يوم العمل الاجتماعى ٧٢/١١/٣٠ س ٢ ص ٤٠٦ — ٤٠٧ ، بيان الى الامة ٧٢/١٢/٢٨ س ٢ ص ٤١٨ — ٤١٩ •

(٩٠) فى افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى س ٢ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ، بيان الى الامة ٧٢/١٢/٢٨ س ٢ ص ٤٢٣ ، حديث الى نقيب الصحفيين اللبنانيين ٧٣/١/١٩ س ٣ ص ١ — ١٣ •

ويأتى الاستشهاد من جديد بالحروب الصليبية على التستر بالدين من جانب الغزاة وعلى الوحدة الوطنية بين عنصرى الامة • فقـــد شهدت المنطقة ثلاث غزوات عنصرية تعتبر الدين ستارا وواجهة للتمويه والتغطية : التتار ، والصليبيون ، واسرائيل • وفى مصر لا يستطيع أحد أن يعرف ضريح المسلم من ضريح المسيحى لانهم متعانقون جميعا فى قبورهم نتيجة شعورهم بوحدة وطنية كاملة • وقد واجه الشعب الغزوتين اللتين ليس فيهمـــا شىء من الدين لمناعة وسلامة التفكـــير والصفوف المرصوصة • وعندما انتصر الشعب على المستعمرين الذين استغلوا اسم الصليب لاهداف توســـعية وتجارية واقتصاديه منعـــوا أقباط مصر من زيارة القدس لانهم لم ينصروهم ضد وطنهم • وقـــد كتب أحـــد المؤرخين وقتـــذاك ما نصـــه « ولم يكن حـــزن الاقبـــاط فى مصر بأقل من حزن المســـلمين • لهـــذا قضى مســـيحيو أوربـــا على أقباط مصر بحرمانهم من الحـــج الى القـــدس » • وهـــذا يبين عمق الوحدة الوطنية ، والترفع عن التفرقة الدينية فى مصر • وسيواجه الشعب الغزوة العنصرية الاسرائيلية الشرسة كما واجـــه الغزوتين السابقتين •

ليس هذا هو الوقت المناسب لاثارة الطائفية • لقد دعا النبى محمد كما دعا المسيح ومن سبقهما من الانبيـــاء الى الايمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصـــالح • واذا كان لاهل كل دين عقائدهم وأساليبهم فى الايمان فى ظل من الحرية الدينية فان واجب الشعب كمجتمع انسانى كبير أن يكون له أسلوبه المتقارب والموحد فى العمل الصـــالح من أجل الانسان ومستقبله • وفى مصر والعالم العربى هنـــاك سماحة وأخوة بأمر الدين • تتعانق المآذن وأبراج الكنائس ، ويتعانق الشيخ والقس ،

ويتعاون الاساتذة المسلمون والمسيحيون فى وحـدة ومحبة ، ويشاركون فى مؤتمرات دولية اسلامية ومسيحية بالرغم ممـا عانت بعض أجزاء العـالم المسيحى الاسلامى قرونا من بعض سوء الفهم . ان العدو لا يفرق بين المساجد والكنائس فى الهدم ، ولكن الامـة بعنصريها قادرة على رد الغزوة الاستعمارية المتسترة بالصليب(٩١) . وقد كانت سـنة النبى عدم التعرض للعابدين يهود ونصـارى فى كنائسهم وصوامعهم . يقوم الاسـلام على السماحة والمودة والعلاقات الطيبة والصـلات الانسانية بين المسلمين وغير المسلمين . فلا تعصب فى الاسـلام لمخالف فى الدين . ولا بغضاء فى الاسلام لمغاير فى العقيدة . ولا اكراه فى الاسـلام على اعتناق الاسلام . بل الجميع أحرار فى عقائدهم وفى عبادتهم لان الاسلام دين الحرية والعقل والعلم . ان الحوادث الطائفية مثل بعض الحوادث الطلابية ليست ظواهر شعبية عامة . فاذا كـان الشعب المصرى متدينا بطبيعته فانه أيضا متسـامح بطبيعته . آمن دائما بأن الدين لله والوطن للجميع وآمن دائما بوحدة عنصرى الامة . ولكنه كان دائما يرفض التعصب والشعوذة أو استخدام الدين لاغراض سياسية . كانت مصر دائمـا حصنا للاسلام سواء بالمعنى العسكرى دفاعا عن بلاد المسلمين أو بالمعنى الثقافى باقامتها لمنابر الدين وحفظها لتراثه وتدريسـها لكل مذاهبه واتجاهاته . فهى ليست فى حاجة الى من يعلمها شـيئا فى هذا المجال ، وهى تلفظ كل دعاة التعصب والشعوذة

---

(٩١) حديث الى نقيب الصحفيين اللبنانيين ١٩٧٣/١/١٩ س ٣ ص ١٢ — ١٣ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى المسيحى ٧٤/٩/١١ س ٤ ص ٥٨٥ — ٥٨٦ ، فى السويس ٧٤/١٠/٢٤ س ٤ ص ٧٠٤ — ٧٠٥ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى ٣ /٧٥٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ .

التى هى ضـد جوهر الدين • وسوف تظل وحدة الشعب المصرى دائما أقوى حصـونه وأمضى أسـلحته • وعلى الامة العربية هبطت الاديان السماوية جميعهـا ومنها خرجت كل الرسل والانبياء • ان أول مـا يتصف بـه المجتمع هو التسامح والبعد عن التعصب فى شتى صوره سـواء أكان دينيا أم مذهبيا ، وتلك خاصية تتجلى فى أقوى مظاهرها فى المجتمع المصرى حيث تعايشت الاجناس والثقافات والعقائد المتنوعة جنبا الى جنب • يفتتح الرئيس مسجدا ثم يمر على كنيسة على بعد خطوات ليثبت وحدة الامة وقوتها ودون تميز عنصرى أو دينى(٩٢) •

وفى الفن المصرى القديم ثم الفن القبطى ثم الفن الاسلامى تظهر روح الشعب الواحد • وقـد اعتنق الاسلام كل العرب فى مصر وسوريا والعراق وصقلية والاندلس والمغرب والجزائر وتونس وايران وتركيا وشعوب أخرى كثيرة لان الاسلام يوحد بين الشعوب(٩٣) •

وتبلغ الفتنة الطائفية الذروة فى لحظات الضعف وعدم قـدرة النظام السياسى على حل المشاكل المصيرية التى تمر بهـا البلاد فى الداخل والخارج • فقـد عقد الرئيس اجتماعا فى ١٩٧٧/٢/٨ مـع

---

(٩٢) فى المؤتمر العاشر للطلاب بجامعة الاسكندرية ٧٤/٤/٣ س ٤ ص ١٦٩ ، للمؤتمر الاسلامى فى الهند ٧٥/٤/١٩ جـ ٥ ص ٢١٩ — ٢٢٠ ، حديث لجريدة الانوار اللبنانية ٧٥/٦/٢٢ جـ ٥ ص ٣٤٣ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ٧٦/٣/١٤ ص ٥٣ ، الى مواطنى الاسماعيلية فى مسـجد الشفاء مارس ص ١٩٧٦ ص ٣ وايضا فى عيد العمال ١٩٧٦/٥/١ ص ٣٠ ، فى العيد الثانى للفن ١٩٧٧/١٠/٨ ص ٤ .

(٩٣) فى افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧٥/٧/٢٢ س ٥ ص ٤١ — ٤٢ .

القيادات الدينية من أجل تغطية الموقف السياسى والخطابة فى خطورة الفتنة الطائفية دون اللجوء الى أسابها الاجتماعية والسياسية بـل والحديث عن التاريخ القديم • ويحيل الموضوع الى رجـال الدين باعتبارهم المسئولون عن الشرائع على هـذه الارض ، شرائع السماء ، المسيحية السمحة والاسـلام السمح • تعرض الوطن الى فتنة طائفية وهو لم يعرف أبدا الا الايمان • فكان الايمان زاده فى مواجهة مواقف كثيرة عبر تاريخه • اعتدى عليه مستعمرون كثيرون فكان الايمان أول أسلحة الشـعب • ان محاولة الوقيعة بين عنصرى الامة لهـو ضد السماحة الدينية للمسيحية والاسلام • لم تظهر فى مصر أبدا طائفية كالتى تظهر أحيانا فى بعض البلاد العربية • ان الايمان الدينى أصـيل فى الشعب المصرى بينما الصراع الدينى والتوتر ليس أصـيلا أبدا • ذلك لان الوطن من قديم الزمان وطن السماحة والاخاء ، وفى أبنائه هذا الحس العميق الذى يستطيعون به أن يميزوا بدقة بين جوهر الدين فى صفائه وبين التعصب فى جموحه • وهناك نماذج كثيرة على ذلـك من دخول المسيحية مصر على الصعيد الشعبى ثم عن طريق الانتشار الهادىء بينما كان العنف من الحكم الرومانى • وقد دخل الاسـلام مصر بالصورة نفسها ، انتشارا هادئا وبقيت المسيحية • والى هـذا اليوم لا يعرف الريف فى مصر الا التقويمين القبطى والهجرى ، فنضبط عليهما أمور الزراعة وأمور الدين مثل الصيام والحج • أما التقـويم الميلادى فلا تعرفه الا المدن • هذه هى صـورة التعاون الاسـلامى المسيحى الذى يبدو عندما يتعرض الوطن لامتحان رهيب كما حدث فى عهد الحروب الصليبية • فقد أتى الصليبيون تحت سـتار الصليب • ولكن أقباط مصر ومسيحيى مصر وقفوا أمام مسيحيى أوربا يصدون الغزو عن مصر التى تتكون من مسلمين وأقباط • وقـد ذكر د• وليم

سليمان فى كتابه « الكنيسة المصرية فى وجه الاستعمار والصهيونية » ان الصليبيين كانوا صــورة جديدة للارتباط بين الدين والسياسة ، والاستعمار هــو التجسيد المادى للنظرة الغربية السائدة فى عهدهم نحــو الدين . لقد اندفع أمراء غرب أوربا وفرسانها فى هذه الحروب طمعا فى تحقيق جاه دنيوى أو نفوذ ســياسى لا يجدونه فى بلادهم لعجزهم عن مواصلة حكم الامارات لامتهم . وفى كتاب ايزيس حبيب عن « قصة الكنيسة القبطية » مقدمة لاستاذ جامعى مسلم . كما اعتمد د. وليم ســليمان على كتب اسلامية . هذه هى مصر السمحة التى يتعاون فيهــا عنصرا الامة ، الارض التى تتعانق عليها مآذن الجوامع وقباب الكنائس ، أرض الســماحة والحب والاخاء . لم ينس أبناء مصر قط الدرس الذى تلقوه فى الدين والسياســة عن الامبراطورية المسيحية ابتداء من القرن الرابع الميلادى . ولهذا أعرض الاقبــاط تماما عن النظــر الى الغزاة على أنهم مسيحيون يربطهم بهم ارتباط واحد . وقد روى الاقباط أنفســهم فى تاريخ الكنيســة المصرية أن الصليبيين حاولوا أخذ مصر ولكنهم فشــلوا . ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم أصدروا قانونا يمنع أقباط مصر من زيــارة القبر المقدس . لما احتل الصليبيون القدس منعــوا النصارى المصريين من الحج الى هذه المدينة بدعوى انهم ملحدون . فلم يكن حزن الاقباط بأقل من حزن المســلمين جميعا . هذه هى مصر فى الازمات والغزوات والهجمات . وقــد ذكر د. محمد عبد العزيز مرزوق فى كتابه « الناصر قلاوون » وكما يروى د. وليم سليمان أن مسيحى أوربا اتخذوا من المسيح ستارا فى اندفاعهم نحو الشرق لتخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين فى هــذه الحرب التى كان ظاهرها الدين وباطنها الدنيــا والرغبة فى السيطرة . لم يتحرك أقباط مصر . وقف المسلمون مــع

المسيحيون على طول تاريخ مصر صفا واحدا ، اختلطت دماؤهم ورفاتهم وتجاورت قبورهم فى هـذا الوادى الطيب الاخضر • هنـاك ثقة متبادلة ووحدة وطنية • جذور الايمان والسماحة والمحبة ترى النفوس كما يرويها ماء النيل دون تفرقة بين مسلم ومسيحى • ونجـد صـورة الوحدة فى الانجيل والقرآن • فقد قال المسيح مخاطبا تلاميذه « هذه هى وصية : انه ليحب بعضكم بعضـا كما أنا أحببتكم » (يوحنا) • ويعرض المسيح الاولوية للرسالة والحب على تقديم القربان ويقـول « ان قدمت لله قربانا وذكرت أن لأخيك عليك شـيئا فضع قربانك عند المذبح وامضى وصالح أخاك ثم ائت وقدم قربانك » (متى) • وفى القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله أيضا « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »(٩٤) • وهكذا نجد ما اعتبره عبد الناصر دليلا على القومية العربية وهى فى حالة المد اعتبره السادات دليلا على الوحدة الوطنية وهى فى حـالة الجذر • يستشهد عبد الناصر من تجربة التاريخ التى يعيشها ، ويستشهد السادات بمجموعة من الدراسات تم تجميعها له ليوحى بأنه بأنه يعتمد فى ثقافته وممارسته السياسية على الدراسة والبحث •

وبحيل الرئيس الموضوع الى رجال الدين ، وهى الجهة المسئولة عن الفتنة الطائفية • وينصحها بالعنـاية بالتربية الدينية وجعلها مادة اجبـارية فى المدارس للسـقوط والنجاح بدءا من العـام المقبل ، والاستعداد لذلك بالمدرسين والكتب المكتوبة بأسلوب عصرى • فالطريقة

---

(٩٤) لقاء مع القيادات الدينية ٧٧/٢/٨ ص ٢٣ — ٢٥ .

القديمة بالية ولابد من مواجهة مشاكل العصر لادخال القيم والدين والايمان فى نفــوس الاطفال من بدء حياتهم حتى الجامعة • وعلى مجلس الوزراء بحث هــذا الموضوع ، والاستعداد بالمدرسين المسلمين مع المسيحيين لتدريس الدين بأسلوب جديد نواجــه به مشاكل العصر • على رجال الدين الواجب الاساسى وهــو اعادة الايمان والسماحة والحب ، والقضاء على الحقد الذى يسرى فى بعض النفوس(٩٥) • ان هذه الحوادث المتفرقة التى حدثت فى الفيوم وأسيوط مسئولية رجال الدين الاسلامى والمسيحى لمواجهتها على مســتوى المسئولية الوطنية • وهى حوادث قليلة فى أرض الرسالات والانبياء • وقد اجتمع الرئيس بأعضاء مجمع البحوث الاسلامية بزعامة الامام الاكبر شيخ الجــامع الازهر • واجتمع فى نفس اليوم بأعضاء المجمع المقدس للاقبــاط الارثوذكس برئاسة بابا الاقباط • ان واجب كل فرد أن يتعصب من أجل الدين وليس فى ظل الدين • التعصب من أجل الدين هــو الايمان والعبادة والالتزام بفضائل الســماء • والتعصب فى ظل الدين هــو التقويض لما تدعو له كل الاديان من مبادىء وقيم وفضائل • التعصب من أجل الدين هــو المزيد من الحب والاخاء والتعاطف والتماســك • والتعصب فى ظل الدين هو الاثارة للحقد والبغضــاء واشاعة روح الانقســام • لقد لعبت الاصابع الخفية الســوداء دورها للتفــرقة والوقيعة فى المنطقة العربية كلها ، وتعرضت لبوادر فتنة طائفية منــذ ١٩٧٢ • وكان من الممكن اتباعا لنصيحة دعاة الفردية الاكتفاء بالتدخل الشخصى من الرئيس مع قيادات الدين الاســلامى والمسيحى للتنبيه والكشف لما يدبر فى الخفاء من أعداء الدين • ولكن عرض الموضــوع

---

(٩٥) الذكرى السابعة لوفاة ناصر ١٩٧٧/٩/٢٨ ص ١١ — ١٥ .

كله أمام الشعب المؤمن مسلمين وأقباط فى سماحة وصـفاء فيه قضاء للفتنة قبل أن تولد • وبعد حوادث ١٨/١٩ يناير تمت دعوة قيادات الدين الاسلامى والمسيحى لاول مرة فى تاريخ مصر معـا لتأكيد الوحدة الوطنيـة •

ويرجع الرئيس الطائفية الدينية الى ظهور النعرة الدينية والتعصب والمغالاة فى المظاهر ، وهذه رد فعل على سيطرة المادية والالحاد على أجهزة الاعلام • بالتالى يكون السبب الاساسى والاول لكل المآسى والشرور المادية والالحاد التى تسبب التعصب الدينى كما ظهر فى التكفير والهجرة والذى يسبب بدوره تعصب كل طائفة لدينها فتظهر الطائفية • فالماركسية هى المسئولة عن الطائفية !

وقد بلغت ذروة الفتنة الطائفية فى لبنان فى الحرب الاهلية التى اندلعت فى ١٩٧٥ • وقد وجه الرئيس نداء الى بيير الجميل كى لا تتحول المعركة فى لبنان الى معركة طائفية • فلم تعرف المنطقة العربية وفيهـا لبنان الا التسامح الدينى • وقـد كانت مهبطاً لكل الاديان • والاقتتال فى لبنان اذا كان يبتدىء أحيانا فى لون طائفى الا أنه لا يمكن أن يكون فى جوهره كذلك • فقد عرفت لبنان تعايش الطوائف وتداخلها وامتزاجها قرناً بعـد قرن ، نموذجا للتعايش بين الطوائف والمذاهب(٩٦) • وردا على سؤال عما اذا كانت الخلافات الدينية هى السبب الاسـاسى فى

---

(٩٦) لقاء مع القيادات الدينية ٨/٢/١٩٧٧ ص ٢٣ — ٢٥ ، كلمة الى الشعب المصرى والامة العربية فى افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ١٨/١٠/١٩٧٥ ص ١٠ ، الى نائب رئيس مؤسـسة روز اليوسف ٢/٧/١٩٧٦ ص ٤ ، ص ٥ .

الصراع الحالى فى لبنان وعن احتمال انفصال المسيحيين فى بلدة مثل جونيه واقامتهم لدولة مستقلة مثل امارة موناكو أجاب الرئيس بأن ما حدث فى لبنان لم يكن على الاطلاق صراعا بين المسلمين والمسيحيين بل هو صراع بين اللبنانيين أنفسهم ، ثم بينهم وبين الفلسطينيين • لكن للاسف دعاة التفرقة يصورون الصراع على أنه بين المسيحيين والمسلمين(٩٧) •

ويستخدم السادات الوحدة الوطنية بمعنى الغاء الصراع الطبقى وليس بمعنى القضاء على الطائفية أى استغلال مفهوم شرعى من أجل القضاء على وضع لا شرعى(٩٨) • مما يدل على أن هدفه البعيد كان فى تعتيم الصراع الطبقى الذى بدأ فى التفاقم بعد وفاة عبد الناصر • بل انه كثيرا ما قام هو نفسه بتدبير حوادث طائفية (حادثة الخانكة) من أجل ضرب الوحدة الوطنية ، وانتهاز الفرصة لضرب الخصوم السياسيين تذرعا بالطائفية كما حدث فى مذبحة سبتمبر ١٩٨١ •

(ب) المرحلة الثانية : الدين والتنمية المستقلة ١٩٦١ ــ ١٩٦٦ :

١ ــ الاشتراكية والاسلام :

(أ) الاسلام أول دين اشتراكى • ان معركة الاشتراكية والدين هى أهم المعارك على الاطلاق فى سنوات الثورة المصرية التى ظهر فيها الدين للهجوم على الاشتراكية أو الدفاع عنها • وقد ظهرت

---

(٩٧) مؤتمر صحفى بدمشق ١٩٧٧/١١/١٧ ، حديث الى مجلة الحوادث اللبنانية ٧٥/٨/٢١ ص ٢٠ .

(٩٨) حديث الى الامة ١٩٧٢/١/١٣ س ٢ ص ٢٢ .

المعركة بعد قوانين يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ ، واستمرت حتى بداية معركة أخرى فى سنة ١٩٦٥ هى معركة الحلف الاسلامى ، وبعد استتباب النظام الاشتراكى فى مصر .

ولقد بدأت المشكلة من خارج مصر ، بدأت من العقلية الغربية التى ترى فى كل ثورة تقدمية خطرا شيوعيا حتى ولو لم تتبن الثورة بعد النظام الاشتراكى . فبعد انتصار الثورة على العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ سأل مراسل صحيفة التمبو الايطالية ناصر : هل هناك تشابه فى المبادىء بين الدين الاسلامى الذى تقوم عليه سياسة الدولة العربية وبين المذهب الماركسى ؟ وهل التهجم على الدين هو السبب فى أن العرب لا يعتنقون الشيوعية ؟ ورد ناصر قائلا بأن الدين الاسلامى دين غالبية العرب قد بين بوضوح القواعد التى يقوم عليها التعاون بين البشر . فلا حاجة اذن الى مبادىء جديدة سواء كانت شيوعية أم من أى نوع آخر يعتنقها المسلمون . لقد شرع الدين الاسلامى لمجتمع مسلم ، ولا يرغب المسلمون فى استبدال مبادىء هذا الدين أو تشريعاته بأية مبادىء أو تشريعات أخرى . كان السؤال اذن يدور حول موضوع الانحياز للشرق أو الغرب خشية أن تكون الثورة المصرية بطابعها التقدمى ثورة شيوعية أو متجهة نحو المعسكر الشرقى . وتدل الاجابة على بذور موضوع الافكار المستوردة الذى استعمل فيما بعد للهجوم على الماركسية وموضوع الحياد الايجابى بين الكتلتين الذى سيصبح عصب السياسة الخارجية فى الثورة المصرية(٩٩) . ثم

---

(٩٩) حديث سياسى الى مراسل صحيفة التمبو الايطالية ٥٦/١٢/١١ جـ ١ ص ٦٣٦ .

يظهـــر الموضوع من جديد بمناسبة الخلاف بين مصر والعراق فى عهد عبد الكريم قاسم واتجاه نظام الحكم فى عهده اتجاها شيوعيا • ففى حديث مع الصحفى الهندى كرانجيا سأل الصحفى ناصر عن خطـــر الشيوعية على الاســـلام والفتاوى الصادرة ضد الملحدين التى ضايقت الرأى العام فى الهند والتى قـــد تسىء الى حلفـــاء مصر فى الهنـــد ويوغوسلافيا كما قد يسىء الى القومية العربية التى يتحتم عليهـــا أن تراعى وجود أقليات كثيرة غير اسلامية • فأجاب ناصر بأن هـــذا الاتهام لا أساس له من الصحة ، وبأنه لم يستغل الاســـلام لاغراض الدعاية • ومع ذلك فبنـــاء على كتبهم فان لهم نظرة الحادية غير اسلامية غريبة على كل مسلم ، ثم حورت هذه الملاحظة لتتمشى مـــع الدعاية حول الاسلام والالحاد • وليس للقيـــادة السياسية أية علاقة بما يصـــدر من فتاوى • كل انسان يعبر عن وجهة نظره ، الاسلامية أو المسيحيه • وبالتالى تم الهجوم على الالحاد الشيوعى • ليست مهمة الحكومة الدعاية ولكن كل فرد حر فى أن يعبر عن وجهة نظره من الناحية الدينية • وقد لاحظ نهرو أن الشيوعيين يقومون بما يشبه الحرب الدينية فيسببون رد فعل قوى لدى الشعب ذى المعتقدات الصحيحة • وهناك أنباء من العراق بأن القرآن قـــد مزق وقطع • وقد تركت هذه الانباء أثرا سيئا فى القاهرة ودمشق • ناصر نفسه رجل متدين يرفض الالحاد • والتدين ليس مقصورا على أداء الصلاة وزيارة المساجد بل يمتد الى السلوك فى الحياة ومبادىء الاخلاق والعلاقات مع الناس(١٠٠) •

---

(١٠٠) حديث الرئيس مع الصحفى الهندى كرانجيا ٥٩/٤/١٧ جـ ٢ ص ٤٢١ — ٤٢٢ •

تنكر القيادة السياسية أنها استعملت الدين لاغراض الدعـاية . وهذا صحيح من حيث الفعل وليس من حيث رد الفعل . فقد هوجمت الثورة من الناحية الدينية خاصة من الرجعية العربية فاضطرت لاستعمال نفس السـلاح ، فكان استعمال الثورة للدين نوعا من آليات الدفاع أو الهجوم من حيث أن الهجوم هو خير وسـيلة للدفاع . ولكن تعيين كبار رجال الدين ، ووضعهم كموظفين فى الدولة يجعلهم يسـارعون فى تبرير مواقف السلطة السياسية حتى ولو لم يطلب منهم ذلك مستخدمين الدين أيضـا فى الدفاع عن مواقف السلطة وقراراتها ومهاجمة أعدائها وخصومها . لذلك اطمئنت السلطة السياسية وتظاهرت بأنهـا ليست وراء الفتاوى واتهام الشيوعية بالكفر والالحاد ، وانها لا تمنـع أى انسـان من التعبير عن وجهة نظره من الناحية الدينية لانها بالفعل تطلق العنان فى حرية تامة لرجال الدين لتأييد مواقفها السياسية . فظهرت حرية التعبـير عن الرأى الواحد المؤيد للسلطة وليس للرأى المعارض المناهض لقراراتها والذى لا يتهم نظـام الحكم فى العراق بالكفر والالحاد . ويبدو أن السلاح الذى استعملته السلطة السياسية فى مصر ضـد نظام الحكم فى العراق قـد استعمله فيصل فيما بعـد بعد قرارات يوليو الاشتراكية ضـد نظام الحكم فى مصر . ولكن السلطة السياسية فى مصر هى التى بدأت بالصاق هـذه التهم (الكفر والالحاد) مستعملة سلاح الدين . ويظهر موضوع الاسلام والماركسية بعد قرارات يوليو الاشتراكية بعام واحد وذلك فى المناقشات الخاصة باقرار الميثاق الوطنى وذلك لتوضيح خصوصية الاشتراكية العـربية والفرق بينها وبين الماركسية اللينينية .وأول هـذه الفروق هـو أن الاشتراكية العربية تؤمن بالدين وبالرسل فى حين أن الماركسية تنكر

الدين والرسـل . الاشتراكية العربية تؤمن بالله ايمانا لا يتزعزع فى حين أن الشيوعية تتنكر للاديان وتعتبرها أفيون الشعب . والاشتراكية هى الاشـتراكية العلميـة أى التـى تقـوم على العـلم لا على الفوضى أو المادية أو الماركسية . ولانها اشتراكية تقـوم على الدين فالدين الاسلامى دين اشتراكى . وان الاسلام فى « القرون الوسطى » حقق أول تجربة اشتراكية فى العـالم . الخـلاف المبدئى اذن على الشيوعية انها لا تؤمن بالدين . أما الاشتراكية فى مصر فانها تؤمن بالدين وبحرية الاديان(١٠١) . وحين تحدثت الثورة عن الكفاية لم تتجه الى الاساس المادى ونسيت الاساس الروحى الدينى والفكرى بل احترمت الانسان وحق الانسـان فى الحياة كانسان . وبعد ١٩٧٠ يركز النظام على هـذا الفرق الجوهرى وهو الدين . فالماركسية ترفض الدين . وبالرغم من ادعائها بأن هـذا الكلام قد تغير وتطور الا أنه لم يصدر شىء رسمى من أصحاب النظرية المعنيين بهـا كلهم اجماعا حتى يصرحوا للعالم كله بأن الماركسية قد تنازلت عن رأيها فى الاديان ! وكأن الماركسية دولة لها رئيس مسئول تصدر عنه التصريحات ! ويحقق قانون الضرائب الجديد العدالة الاجتماعية كما أرادها الله وكما يقول فى سورة الحديد « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير » . المال فى الشريعة مال الله . لذلك تجب الدعوة كما أراد الله لعمران هـذه الارض ، أن نكون مستخلفين على هـذا المال . لابد من وضع الحدود التى تسوى وتوزع ما بين الناس

---

(١٠١) بيان فى افتتاح الامة فى دورة الانعقاد الثانى ١٢/١١/٦٤ جـ ٥ ص ٨٢ ، كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ٢٥/٢/١٩٦٥ جـ ٥ ص ١٦٦ .

بحق الله • وليكن هـذا على أساس فلسفة قانون الضرائب • فعلى الغنى أن يتمحض أعباء لا يستطيعها الفقير • انها المسئولية وخوف من الله أن يحاسب كما نصت الشريعة عن عدم أخذ فضـول الاغنياء لمساعدة الفقراء • بل وتذكر آية الاستخلاف « آمنوا بالله ورسـوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير »(١٠٢) •

ولكن المعركة الحقيقية عن الدين والاشتراكية بوجه عام وعن الاسـلام والاشتراكية بوجه خاص بدأت بعد قرارات يوليو الاشتراكية فى سنة ١٩٦١ • وبصرف النظر عن دوافع هـذه القرارات مثل الانفصال الذى وقع فى فبراير ١٩٦١ فان دخـول الاسلام كأساس للاشتراكية كان أولا محاولة غير مقصودة لسد النقص النظـرى عند السـلطة السياسية لانها لم تكن لديها نظرية اشتراكية متكاملة واضـحة المعالم لتطبيقها • صدرت قرارات يوليو الاشتراكية كرد فعل على الانفصال • وكان لابد من تأجيل هـذه القرارات نظريا • لا تكفى حجة المصلحة العـامة وحقوق الجماهير ، ولكن لابد من سند نظرى وجدته السلطة السياسية فى الدين ، وهـو البديل التقليدى عند الجماهير عن النظرية السياسية • ففى هـذه المرحلة بدأ الحديث عن الاسلام دين الاشتراكية قبل هجوم الرجعية العربية على الاشتراكية • وكانت الاشتراكية تعنى التأميم ، تأميم الشركات الاجنبية ، وتكوين النواة الاولى للقطاع العام •

---

(١٠٢) الجلسة السابعة ١٩٦٢/٥/٣٠ جـ ٤ ص ٩٢ ، خطاب فى عيد الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ جـ ٥ ص ٣٥٦ ، الى الامة ١٩٧٧/٢/٣ ، ص ١٠ ، الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١١ — ١٢ •

فالاسلام فى أول أيامه كان أول دولة اشتراكية ، وكان محمد زعيم أول دولة اشتراكية ، وأول من طبق سياسة التأميم فى حديث « ان الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » ، وقد أضـاف البعض الآخر الملح ، وهى المقومات الاساسية للمجتمع فى ذلك الوقت الذى لا يجوز ملكها لشخص ، وهـذا لا يختلف عن التأميم . وبلغة العصر تكون المقومات الاساسية للمجتمع هى الصـناعة والزراعة والتعدين وليس تجارة الوسطاء وهو نشاط اقتصادى غير منتج . وعندما مـات النبى لم يكن يملك شيئا ولم يترك أموالا فى سويسرا ولا فى فرنسـا ولا فى الحجاز . مات وهو مديون يحاول سداد دينه كى يؤدى رسالته كاملة . ويقول شوقى فى شعره « الاشتراكيون أنت امامهم » يعنى أن النبى محمد هو أول من طبق الاشتراكية فى العـالم . الاسلام أول من نادى بالاشتراكية ، وأول من نادى بالعدالة الاجتماعية . أول دين نادى بالاشتراكية هو دين الاسـلام . والرسالة التى نادت بهـا الثورة هى الاشتراكية ، والاشتراكية هى أساس المساواة ، أى ألا يتحكم فرد فى فرد . دين الاسـلام أول دين يدعو للاشتراكية والمساواة والقضاء على التحكم والسيطرة . كان محمد امام الاشتراكيين . لم يجمع ثروة ولا مالا . ولم يكن يعمل الا لارساء قواعد الاسـلام . والاسلام لم يكن دينا فقط ولكنه كان دنيـا ، كان ينظم العدالة على الارض ويحث على المساواة ، ويثير تكافؤ الفرص ، وهـذا كله يمكن التعبير عنه فى كلمة واحدة الاشتراكية(١٠٢) . اذا نظرنا الى الاسـلام

---

(١٠٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ٦٤/٤/٢٥ ج ٤ ص ٥٧١ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ٦٣/١/٩ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء بتاريخ ٦٤/٤/٢٥ .

فى أول أيام محمد ماذا كان يملك ، وننظر اليوم الى ملوك الرجعيــة ماذا يملكون ! انهم بهذا قد خرجوا عن دين الله يدافعون عن أنفسهم الدفاع الاخير لان الاشتراكية شريعة العدل ، والعدل شريعة الله ، تمنع الاستعباد والاستغلال والاستبداد • لم يجعل محمد نفسه ملكا • لم يأخذ أموالا من المسلمين • أعطانا محمد المثل ، كان قائدا للمسلمين ورســولا للمسلمين ، ولكنه لما توفى لم يكن لديه شىء الا ثوبه ، باعه وتصدق به • لم يكن محمد ملكا • ماذا كان يملك النبى وماذا يملك الآن فيصل ؟ هو لا يمثل الاســلام لان الاسلام يدعو الى تقســيم الرغيف مع الاخوة • وهذا يعنى فى العصر الحديث الاشتراكى • وقد أنصف النبى أهل الفقر من أهل الغنى ، وقــد تم ذلك أيضا فى هــذه الايام(١٠٤) •

واستمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية الاولى أيام أبى بكــر وعمر • فقد أمم عمر الارض ووزعها على الفلاحين • والاســلام عندما ذهب الى العراق أخذ الارض من الاقطاع وأعطاها للشعب • الشعب كان عبيدا ولم يكونوا شركاء • هــذه هى الاشتراكية • اذا نظرنا الى الاســلام فى عهده الاول فى عهد عمر ، كان عمر يعمل على ألا تكــون

---

(١٠٤) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ جـ ٣ ص ٤٦١ ، خطاب ى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس جـ ٥ ص ٣٣ فى ١٩٦٦/٣/٢٢ ، حديث الى د. كرانجيا رئيس تحرير مجلة بليتز الهندية ٦٦/٥/٨ جـ ٥ ص ٥٦٣ ، كلمة الرئيس عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضــور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتــاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٩ ، تصريحات الوفد الصحفى العراقى ٦٦/٢/٢٠ جـ ٥ ص ٤٩٤ ، خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناســبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ جـ ٥ ص ٥٣٣ .

هنـــاك طبقبة ولا يكون هناك فقر • ماذا كان يملك عمر ؟ وماذا كان يملك أبو بكر ؟ أما ملوك الرجعية وزعماؤها فانهم يملكون كل شيء • يملكون أموال المسلمين لا أموالهم • تنهب الرجعية أموال المسلمين ثم تتمسح بالدين !(١٠٥) •

وقد حارب أبو بكر مانعي الزكاة ، وهي حروب الردة في الاسلام ، فالردة عن الزكاة ردة عن الاسلام ، ردة عن النظام الاسلامي كله وعلى الدعوة الاســـلامية كلها • وهذا نموذج للثورة الاجتماعية التي لابد أن تســـير في طريقها ويتم تأمينها حتى تنتصر وتزال الفـــوارق بين الطبقات ، وتقام العدالة الاجتماعية ، وتقام الفرص المتكافئـــة بين الناس • لقد انتصر النبي ، ورجع الى مكة منتصرا • وحدث خـــلاف في ذلك الوقت هل يتم العفو عن الذين ناهضوا الدعوة وقاوموها ووقفوا ضدها أم لا ؟ فقال الرسول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وقال أيضـــا : « من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن » • وكان هـــذا سبيل الثورة في بدايتها وهـــو سبيل الرسول عندما رجع من احدى المعارك التي أصيب فيها « معركة أحد » وقال : « اللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون » • فكل دعوة لها مؤيدون ومعارضون ، والمعارضون يتم العفو عنهم اذا ما تحولوا الى الاسلام كمـــا فعل عمر بن الخطاب عندما تحول من العداوة الى التأييد ، أو قتالهم كقتال أبي بكر مانعي الزكاة • يبدو

---

(١٠٥) خطاب في عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ جـ ٣ ص ٤٦١ ، الكلمات والتعقيبـــات التي القاها في اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني القومي للقوى الشعبية ، الجلسة الثانية ١٩٦١/١١/٢٧ جـ ٣ ص ٦٠٧ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسة الرابعة بتـــاريخ ٦١/١١/٢٩ جـ ٣ ص ٦٢١ — ٦٢٢ .

ان السلطة السياسية هنا تقيم حجة لتأييد العنف الثورى فيما يتعلق بحقوق الفقراء فى أموال الاغنياء بدليل حروب الردة وقتـال مانعى الزكاة . هذا فى الوقت الذى كانت تريد فيه الثورة تأمين القـرارات الاشتراكية والتنظير لهـا واضفاء الشرعية على التأميم . ولكن اذا ما أرادت اتجاهات أكثر تقدمية مثل الماركسية مزيدا من التحـول الاشتراكى بعـد التحقق من المسافة بين القرارات المعلنـة والنظم الفعلية ، بين الاهداف المنصوبة وبين الواقع العملى ، بين الشـعارات الثورية وبين تطبيقاتها ، اتهمت بالعنف الثورى وبأنها ضـد السـلام الاجتماعى . فالسلطة السياسية تستعمل العنف الثورى ضد الاقطاع والرجعية ، وتستعمله أيضـا ضد المتقدمين عليها ممن يطالبون المتخلفين عنهـا بمزيد من التحول الاشتراكى .

وتنص جميع الديانات على العدالة الاجتماعية كما تنص جميع الديانات على الزكاة . ففى الاسلام تمثل الزكاة ربع العشر من المال الموجود فى آخر كل سنة . ولما كان الانسان يعيش أربعين أو خمسين سـنة تمثل الزكاة ثروة طائلة يمكن استخدامها فى صالح الجمـاعة . الزكاة أسـاس من أسس الاشتراكية لذلك لم يكن فى الدولة الاسلامية فى هذه الايام فقراء أو عجزة بل كان هنـاك تكافل اجتماعى(١٠٦) . وقد نصت اليهودية والمسيحية أيضـا على الزكـاة التى هى تطبيق الاساس الاشتراكى السليم الصـحيح . والدين الذى يأمر بتوزيع ربع العشر من رأس المال هو الدين الاشتراكى الحقيقى . الاسـلام

---

(١٠٦) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ جـ ٣ ص ٤٦١ — ٤٦٢ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبدء بناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ جـ ٤ ص ٣١٢ .

دين العدالة الاجتماعية لان الاسلام حين نادى بالزكاة معنى هـذا ان الانسان أو الفرد الذى يدفع ٢٫٥٪ من أمواله يعطى أمواله فى ٥٠ سـنة للشعب وللدولة • هذه هى العدالة الاجتماعية ، وهـذه هى الاشتراكية • الدين فرض الزكاة ربع العشر على رأس المال • الدين الاسلامى يمكن تفسيره اشتراكيا لانه بالفعل دين اشتراكى(١٠٧) •

ان الاشتراكية التى تنادى بها العدالة الاجتماعية هى ألا يتحكم فرد فى رقاب الناس ، ألا يتحكم فرد بالربا فى اعطاء أمواله للناس • وحينما طبقت الاشتراكية كان أول شىء تم عمله هـو القضاء على الربا فى السلفيات الزراعية • هذه هى الاشتراكية • فمصر أول دولة تمنع الربا وفقا لقواعد الاسلام بالنسبة لقطاع معين وهو السلفيات الزراعية ، تعطى الفلاح سلفيات دون فوائد • هذه هى الاشتراكية(١٠٨) •

ان شريعة العدل هى شريعة الله التى نص عليها الدين الاسلامى • وحين أرادت الثورة تطبيق العدل لم تتنكر بأى حال من الاحـوال لشريعة الله لان الثورة تؤمن ايمانا قلبيا بأن شريعة العدل هى شريعة الله(١٠٩) •

ولكن رجال الدين يصدرون فتاوى لصالح الاقطاع بعد أن يقبضوا الثمن ، ويؤيدون الملكية الفردية ، ويحرمون المساس بها • « بعض

---

(١٠٧) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ جـ ٣ ص ٤٦١ .

(١٠٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضـور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٩ ، كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ جـ ٥ ص ٢٦٧ .

المشايخ يقوم يروحوا كل واحد يخبط ديك رومى أو خروف عند الاقطاعيين ويطلع يدى فتوى ، ان الملكية لا يمكن أن نقرب لها أو أن نمسها » • انهـم لا يفكرون الا فى بطـونهم ، وهم بذلك أجـراء للاقطـاع وللرأسمالية(١١٠) • الدين عمل • كان النبى يعمل بيديه ، وكل فرد كان يعمل ، ولم يكن الدين تجارة(١١١) • ويتم نطبيق النظام الاشتراكى بالتدريج • وذلك يسمى مرحلة التحول الاشتراكى • وقـد أرشد القرآن على حكمة التدريج وذلك لانه لم يعط أحكاما قاطعة محـددة من اليوم الاول ، مع أن الله قادر على ذلك ، ولكنه أراد التعـليم والدراية والاسترشاد • لم يحرم الخمر من أول مرة بل قال أولا : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » ثم أشفعها بآية « ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » وأخيرا نزلت آية « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » • هذا هـو دليل العمل ، وعندما يحكى القرآن القصص التاريخى عائدا الى الماضى فانه يعطى عظة وعبرة ، ويذكر لنا درس التاريخ كما فعل فى قصة عاد وثمود لمعرفة أسـباب الطغيان ومصير الطغاة(١١٢) •

وفى خضم معركة الاسـلام والاشتراكية قامت ثورة اليمن فى

---

(١٠٩) خطاب فى عيد الثورة الثالث عشر ٢٢/٧/ ١٩٦٥ ج ٥ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ •

(١١٠) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ •

(١١١) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ •

(١١٢) حديث مع صاحب مجلة كل شىء اللبنانية ١٩٦٢/٥/١٣ ج ٤ ص ٣٦ •

١٩٦٢ • وأصبحت الاشتراكية تعنى التعاون والتضامن وهو ما يحدث بالفعل بين القبائل اليمنية لان كل قبيلة مشتركة مع بعضها البعض ومتضامنة فى كل شىء • فلا يوجد فرد يتحكم فى كل شىء ويحرم الآخرين • القبيلة هى مجموعة تشترك فى السراء والضراء ، وتشترك فى الحرب وفى السلم وفى العمل • هذه هى الاشتراكية التى تعنى أن يكون الجميع سواء(١١٣) •

ليست الاشتراكية جوهر الاسلام وحده بل هى جوهر الاديان جميعا • فالدين الاسلامى ينادى بالعدالة الاجتماعية والدين المسيحى ينادى أيضا بالعدالة الاجتماعية(١١٤) • وقد كثر المنظرون للاشتراكية والاسلام وانهمرت الكتب بالعشرات تبين اشتراكية الاسلام ، والاشتراكية الروحية • وتشير الاشتراكية الديمقراطية أيضا الى قول المسيح « لا ينفعك أن تخسر نفسك وتكسب العالم كله »(١١٥) • وقد قام المعهد الاشتراكى بجهد كبير فى التعريف باشتراكية الاسلام فى صورة محاضرات وندوات وحلقات بحث ونشرات(١١٦) • كما خرجت

---

(١١٣) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ •

(١١٤) كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع اعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ١٦٦ •

(١١٥) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٥ •

(١١٦) الاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوى الثالث ص ٧٧ •

معظم المجلات الدينية الشهرية بمقالات عن اشتراكية الاسلام(١١٧) ·

واختفت المعركة كلية بعد ١٩٧٠ · ولم تعد هناك الا كلمات عامة عن حق ولى الامر فى أخذ أموال الاغنياء وردها الى الفقراء بالحسنى حتى يقضى على حجة الاشتراكيين ومعارضتهم للنظام وكى يهاجم العنف والحقد · تعطى الشريعة لولى الامر أن يطلب المال الزائد للدولة بلا حقد أو كراهية أو اذلال ودون امتهان لكرامة الناس كما كان الحال فى لجنة تصفية الاقطاع فى العهد الناصرى(١١٨) ·

وفى البحث الذى قدمه المجلس الاعلى للجامعات عن « الاشتراكية الديمقراطية » يظهر الدين كركن أساسى فيها سواء فى رأى الجامعات

---

(١١٧) د. نظير حسان سعداوى : الاشتراكية العربية والتطور الاشتراكى ، الفصل الثانى : الاشتراكية الاسلامية ص ٢١ — ٣٩ ، د. يحيى هويدى : الفلسفة فى الميثاق ص ١١٩ ، ص ١٣٠ ، الدومى : المنهاج الاشتراكى على ضوء الاسلام ، الخانكى ١٩٦٣ ، أ . فراج : الاسلام دين الاشتراكية ، الدار القومية ١٩٦١ ، عبد المغنى سعيد : الاسلام والاصول الفكرية للاشتراكية العربية ، الانجلو المصرية ٦٢ ، احمد الشرباصى : مبادىء الاشتراكية فى الاسلام ، الدار القومية ، محسن محمد المدنى : اشتراكية الاسلام ، مجلة الازهر نوفمبر ١٩٦١ ، أحمد الشرباصى : الضرائب فى الاسلام ، مجلة الازهر ، ديسمبر ١٩٦٢ ، يناير ١٩٦٣ ، احمد الشرباصى : الاسلام دين المساواة ، لواء الاسلام نوفمبر ١٩٦٢ ، على الرفاعى : اشتراكية الاسلام ، نور الاسلام ، ديسمبر — يناير ١٩٦٢ ، عبد السميع المصرى : اقتصاديات الاسلام ، نور الاسلام مارس ١٩٦٩ ، حسن كامل الملطاوى : الاشتراكية فى الاسلام ، منبر الاسلام ، ديسمبر ١٩٦٣ ؛ محمد على أبو ريان : الاسلام والمذاهب الاشتراكية ، منبر الاسلام ديسمبر ١٩٦٣ .

(١١٨) الى مواطنى الاسماعيلية فى مسجد الشفاء مارس ١٩٧٦ س ٥ ص ١٨ .

ككل أو فى رأى كل جامعة على حدة • بل وتتبارى الجامعات ، وتتزايد على بعضها البعض بتملق الحس الدينى عند القادة والجماهير طمعـا فى منصب ، مادام صاحب الرأى عميق الايمان يوثق به فى تربيـة الجماهير وقيادتها كما يهوى النظام السياسى • وقـد كتبت الورقة بحجة الاجتهاد ودون أجر ، فى حين انها كتبت بناء على طلب السلطة السياسية(١١٩) •

(ب) الرد على الرجعية العربية • وقد بدأ هجوم الرجعية العربية بعد الحركة الانفصالية • فقد اعترف الملك سعود وفيصل أن الرجعية ستنتصر ، وان الرشوة والاموال يمكنها أن تكسب المعركة • فبدأوا حملاتهم ضد الثورة متمسحين بالاسلام(١٢٠) • ويبدو أن الهجوم على الاشتراكية من النظم الرجعية العربية فى السعودية واليمن قد بدأ بعد الانفصال فوجدت هذه الانظمة الفرصة مواتية للهجوم على الثـورة الاجتماعية فى مصر ، وهى مطعونة فى الظهـر • بدأ راديو مكة بعد الانفصال السورى حملة على مصر وعلى الاشتراكية وبعـد تطبيق النظام الاشتراكى فى مصر ليخدع الشعوب باسم الدين(١٢١) • أعداء الاسلام والدين والتقدم يحاولون أن يفسروا الاشتراكية بمعـان غير

---

(١١٩) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٠ •

(١٢٠) خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ ج ٤ ص ٣١٢ •

(١٢١) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفـد اليمنى لحضـور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ •

المعانى التى تطبق بهـا فعلا . وان الحملة ضـد الاشتراكية فى البلاد العربية موجهة من تحالف رأس المال والاقطاع وأيضا من الاستعمار لان الاستعمار فى البلاد لم يتمكن الا بالتحـالف مع الاقطاع ورأس المال . واتخذوا من الدين ذريعة ليقولوا ان الاشتراكية ضد الدين(١٢٢). اذا كانت الاشتراكية هى المساواة بين الناس فقد نادى الدين بالمساواة . واذا كانت الاشتراكية هى تكافؤ الفرص فقـد نادى الدين بتكافؤ الفرص . واذا كانت الاشتراكية هى رفع مستوى المعيشة فقد نادى الدين برفع مسـتوى المعيشة . واذا كانت الاشتراكية تذويب الفوارق بين الطبقـات فقد نادى الاسلام بتذويب الفوارق بين الطبقات . من الطبيعى أن تدافع الرجعية عن نفسـها وتدافع عما سـلبته من الشعب . فى مصر قبـل الثورة كان نصف فى المائة يستولى على ٥٠٪ من الدخل القومى . فجاءت الثورة وقضت على هـذا التوزيع الطبقى غير العادل ، وأصبح الدخل القومى يوزع على كل الشعب ، وقضـت على الطبقة الرأسمالية والطبقة الاقطاعية . بهذا تطبق الثورة الاسلام . أما الذين يستغلون الناس ، ويختزنون أموال الشعب تحت أى اسم من الاسـماء ، كيف يقولون ان هذا هـو العدل ؟ هذا هو الاستغلال . والاسلام لا يقر الاستغلال . وقد عبر الميثـاق عن هذه الحقيقة فى عبارتين : الاولى « ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسـان فى الحياة وفى الحرية . بل ان أساس الثواب والعقـاب فى الدين هو فرصـة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقيـة

---

(١٢٢) تصريحات للوفد الصحفى العراقى بالقاهرة ١٩٦٦/٢/٢٠ ج ٥ ص ٤٩٤ .

تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر الخير لقلة منهم » . والثانية « ان الله جلت حكمته وضع الفرصـــة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمـــل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة »(١٢٣) .

وتهاجم الرجعية العربية على نحو آخر وذلك باعتبار أن الاشتراكية ضـــد الاسلام . سعود يقعد يفتل فى دقنه وهـــو متنرفز ويقول ان الاشتراكية ضـــد الاسلام . والدافع على ذلك ان الرجعية السعودية اليمنية نهبت أموال الشـــعب ، وترفض اعطاء الشعب حقوقه . وذلك لان اقامة العدالة الاجتماعية فى السعودية ، وشريعة العـــدل هى شريعة الله ، سيمنعه من كنز الاموال وصرفها على الجوارى . تكنز الرجعية أموال الناس نهبا ولا يكون هـــذا ضد الدين وضد الاســـلام فى حين ان الاســـلام ينهى عن كنز الاموال ، وأخذ أموال الناس . الاشتراكية عدالة ، الاشتراكية مســـاواة وقضاء على الظلم الاجتماعى ، واعطاء الحق لاصحاب الحق الذين هم الشعب . فهل الاشتراكية ضد الدين ؟ وشريعة الله والقرآن لم تقل بأن الانســـان يكون سيدا بالوراثة أو عاملا أو فلاحا بالوراثة . لم يقل الدين بذلك ابدا بل قال ان الناس أحرار متساوون . الدين لا يسمح بالاستغلال . والدين لا يســـمح بوجود فقراء فى مجتمع غنى . فالمليونير الذى يمتلك الامـــوال الضخمة لا يمكن أن تكون ثروته عن طريق العمل بل نتيجة الاستغلال(١٢٤) .

---

(١٢٣) مشروع الميثاق ص ٨٨ .

(١٢٤) خطاب فى يوم الوحدة العربية ١٩٦٢/٢/٢٢ جـ ٤ ، خطب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العـــالى ٦٣/١/٩ ، خطاب فى الاحتفال الشعبى الذى اقيم بمناسبة العيد الخامس للوحدة ٦٣/٢/٢١ جـ ٤ ص ٣٣١ .

استخدم سعود الاسلام وقال ان الاشتراكية ضـد الاسلام ، وابتدأ يعلن حربا عنيفة • ولكنه يحارب معركة يائسة لان ايماننا بالله قد زاد . وايمان الامة العربية قد زاد لانها أمة واعية تعرف من هم الذين يعملون من أجل أهدافها ومن هم الانتهازيون والمرتدون • يقـول البعض الاشتراكية ضـد الدين ، ويفسرون الدين على انه استغلال للانسان فى حين ان الدين لم يكن أبدا اسـتغلال الانسان للانسان • وقـد استخدم الدين فى الفترة التى سيطر فيهـا الاقطاع ورأس المـال لخدمتهما • أما فى الاشتراكية فكل الناس متساوون ، لا توجد طبقة أسياد وطبقـة عبيد • لا توجد طبقد أسياد تملك كل شىء وطبقة عبيد تعمل لنا لتأكل وتعيش فقط • لا توجد طبقات ولكن يوجد جهد ، كل فرد حسب جهده ، وكل يكافأ وفقا لعمله • الاشتراكية لا يمكن أن تكون بأى حال من الاحوال ضـد الدين بل هو تطور العدالة الاجتماعيـة التى نص عليها الميثاق(١٢٥) • يقولون الاشتراكية ضد الدين • وهل الغنى الذى ينهب أموال النـاس ويأخذ ثروة البلاد كلها سـيطبق الاشتراكية ويوزع الاموال على النـاس ، وهو من عائلة مميزة ، عائلة الاسياد وبقية الناس عبيد ؟ وهل يقر الاسلام هـذا الوضع ؟ هل يجوز أن تكون هناك عائلة تسـود والشعب كله عبيد ؟ هل الاسـلام أن تحكم عائلة فى البلاد حكما اقطاعيا ، وتنهب الاموال كلها ، والشعب جائع لا يجد ما يأكله ؟ هل يقول الاسـلام بأن يكون الشعب عبيدا وأن تكون هنـاك عائلة مميزة تأخذ الدخل كله ؟ هل يأمر الاسـلام

---

(١٢٥) خطاب فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر ٦١/١٢/٢٣ ج ٢ ص ٦٥٢ ــ ٦٥٣ ، كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ١٦٧ .

أن تنهب أموال المسلمين وأن تسلب ثرواتهم ؟ يقول صاحب الذقن هذا الكلام وهو يستغل الناس ويخدعهم طالبا منهم أن يصفوه بأمير المؤمنين ، ذى الذقن الطويل ، هو ناهب لاموالهم بأمر الاسلام . ولكن الناس على وعى ، وسيقضون على ذوى الذقون الطويلة لان هذه هى سنة الكون ، وليس مجرد قول أو رغبة لفرد . لا يمكن لاحد أن يخدع الناس أن يقول لهم ان الاشتراكية ضد الدين لان الناس تفهم ما يقال لها ، وتسمع من خلال الترانزستور أن الاشتراكية تكافؤ الفرص ومساواة بين الناس ، لا يوجد فيها أمير أو غفير ، أو صاحب سمو أو صاحب جلالة ، أو صاحب ذقن أو من غير ذقن . فاذا كانت الاشتراكية مساواة فكيف تكون ضد الدين . كيف تكون الاشتراكية ضد الدين ، وأصحاب الذقون يتاجرون بالدين ؟ ولا تنطلى على الشعب الواعى التجارة بالدين لان العالم قد تغير . الدين هو المساواة والعدالة وأن تعطى أموال المسلمين للمسلمين لا أن تترك لفرد واحد أو عائلة واحدة مع عدد من المنتفعين المستغلين . الدين هو العدالة الاجتماعية . ومن يريد تطبيق الاسلام عليه توزيع أموال المسلمين على المسلمين . هذا هو الدين . وهذه هى الاشتراكية أى اقامة عدالة اجتماعية ومساواة بين الناس . من يريد تطبيق الدين لا يقسم الشعب الى عائلة من الاسياد وشعب من العبيد . هذا هو الكفر ، كفر الرجعية التى تحاول استغلال الدين حتى تستغل أموال الناس وتأكلها . لقد تعلمت الناس واستنارت . وان صبرت عاما فانها لن تصبر عامين . وان صبرت خمسة أعوام فانها لن تصبر عشرة . لابد أن يأخذ كل فرد حقه . وكل انسان يعلم علم اليقين ان الدين هو دين الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، دين الاخذ من الاغنياء الى الفقراء ، دين رد أموال المسلمين الى المسلمين . ليس الدين أن تحتكر فئة قليلة

أو عائلة واحدة كل شيء ، أن تأخذ كل الخيرات وتترك الشعب جائعا دون اعطاء أية فرص لهم • الدين هو العمل من أجل حرية البـلاد ومن أجل عزة الدين لا العمل من أجل الاستعمار(١٢٦) •

تدافع الرجعية العربية عن نفسها ضـد الاشتراكية وضد الكفاية والعدل ، وتدافع تحت اسم الدين ، والدين لا ينادى بالاسـتغلال وبالاستعباد بل ينادى بالمساواة ، وبأن أموال المسلمين تكون للمسلمين . وليس للملوك المسلمين ، هـذه هى الاشتراكية • تقول الاشتراكية ان أموال المسلمين للمسلمين وتقول الرجعية ان أموال المسـلمين للملوك المسلمين • يقول الدين ان أموال المسلمين للشعب وليس للملوك المسلمين وبالتـالى تتمشى الاشتراكية مع الدين • ولكن لما كان الاسلام عقيدة يؤمن بهـا الشعب المسلم العربى تسترت الرجعية بالاسلام ، وتمسحت بالاسـلام ، واعتقدت انها وجدت خط دفاع كبير • ولكن العـالم العربى عالم واعى ، والشعب العربى شعب ثائر لن يمكن الرجعيـة من أن تخدعه مهما تمسحت بالدين لان النـاس تفهم الدعوة من قائلها • فاذا كانت الرجعية تطلق دعوة تحت اسم الدين ، يعـرف كل انسان أن الرجعية هى التى تنهب أموال الناس ، وهى التى تستغل عمل الناس، وهى التى تستعبد العمـال ، تاركة الشعوب مستغلة ومحرومة من حقها فى الحياة وحقها فى الكرامة • لم تكن الرجعية أبدا شريعة الله ولكن شريعة الله كانت داما هى شريعة العدل ، وشريعة العدل هى

---

(١٢٦) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ جـ ٥ ص ٥٤٤ .

الاشتراكية ، والاشتراكية تمنع ملوك المسلمين من أن يسـفوا أموال المسلمين ، ويأخذوا أموال المسلمين . الاشتراكية هى الكفاية والعدل ، والرجعية هى الاستغلال والاستبداد . والاسلام لا يقبل الاسـتغلال والاستبداد . شريعة الله هى شريعة العدل ، شريعة المسـاواة . أما شريعة الرجعية فهى شريعة ضـد الاسلام وضد الدين . ومهما تمسحت الرجعية بالدين فانها خارجة على دين الله . ويقال ان عبد الناصر ضد الدين وفيصـل مع الدين ، ويقوم خبراء الدعاية والضغط النفسى بطبع دعايتهم على ورق مصقول وطباعة فاخرة ، وهى كلها من ألاعيب الاستعمار (١٢٧) . ويقال ان الاشتراكية الحاد فى حين أن الرجعيين هم الملحدون . وما دخل الالحاد فى سف أموال المسلمين ؟ وما دخل الدين والالحاد فى اغتصاب أموال المسلمين . الالحاد هـو اغتصاب أموال المسلمين ، وسف أموال المسلمين ، واستعباد المسلمين ، واسـتغلال المسلمين كما تفعل الرجعية اليوم . ويخرج الملك حسـين يتكلم عن الاسـلام والايمان والدين وتأتيه نوبة الكلام على الدين والايمان ؛ يوهم الناس بأن الاشتراكية كفر ولكن أكل أموال الناس حلال ، وان العدالة الاجتماعية كفر ولكن نهب أموال الناس حلال ، وان حكم الشعب كفر ولكن حكم الامراء حلال ، ويحاول اقناع المسلمين بأنه يعمل من أجل وحدتهم ورفعة شأنهم وهو خادم لامريكا والاستعمار (١٢٨) .

---

(١٢٧) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(١٢٨) خطاب فى مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية ١٩٦٧/٥/٢٢ ج ٦ ص ١٦١ ، خطاب فى الاحتفال بعيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ٦ ص ٦٦ .

وقد هاجمت الرجعية العربية الاشتراكية بأنها بديل عن الاسلام • اذ يقول راديو دمشق بأن جمال عبد الناصر يشـــبه نفسه بالرسول ، ويقول ان دعوته مشابهة لدعوة الرســـول • فى حين أن المقصـــود هو الاستشهاد بهذا العهد الاسلامى وبالدعوة الاسلامية لان الله أعطانا من هذه الدعوة حكمة نتبعها فى حياتنا(١٢٩) •

وتدعى الرجعية العربية من راديو مكـــة بأن العدالة الاجتماعيه التى يقول عنها عبد الناصر لا يمكن لمخلوق أن يفرضـــها بأى حال من الاحوال بل هى من وضع الله ومن تدبيره • هل يجب أولا الغـــاء المحاكم ووزارة العدل ويترك القوى وصاحب الملك يسلب ثروات البلد كيف يشـــاء ؟ ويقول راديو مكـــة أن ازالة الفوارق بين الطبقات ضد الدين ، فالفقراء لهم الجنـــة • لماذا لا يريد أصحاب راديو مكة نصيبا من الجنة ولو صغيرا ؟ ولماذا لا يكون للفقـــراء نصيب فى الدنيا ويكون نصيبهم فى الآخرة فقط ؟ ان الفقراء يريدون أن يستبدلوا بنصيبهم فى الآخرة نصيبا فى الدنيا ولو صغيرا ! ان منطق راديو مكـــة يبعث عى الضحك ، ويطلق الشعارات ، والناس تعلم ان الدين هـــو العدالة والمساواة ، وان الدين ضد الظلم الاجتماعى ، وضد الاستعمار بكل معانيه • لقد كان الدين الاسلامى أول ثورة وضعت المبادىء الاشتراكية الخاصة بالعدالة والمساواة(١٣٠) •

---

(١٢٩) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الرابعة بتـــاريخ ١٩٦١/١١/٢٩ جـ ٣ ص ٦٢١ •

(١٣٠) حديث لصاحب مجلة كل شىء اللبنانية ١٩٦٢/٥/١٣ جـ ٤ ص ٢٧ •

وتهاجم الرجعية اليمنية الاشتراكية . وينظم الامام قصيدة شعر ضــد الاشتراكية . والعجيب ان الرجعية العربية تستحسن الاشتراكية شــعرا وغناء وتعاديها عند التطبيق ! فمن المعروف أن الاســلام دين الاشتراكية ، ولكن لم تحدث معاداة لها الا بعــد تطبيقها فى مصر . وعندما يقول شوقى : « الاشتراكيون أنت امامهم » ، وتغنى أم كلثوم تنبسط أسارير الرجعيــة ويصفقون بأيديهم . ولكن عنــد التطبيق يعادونها ويعتبرونها ضــد الاسلام . كما تروج الاذاعات الاستعمارية والصحف الاجنبية ما تردده النظم الرجعيــة . تخشى هــذه النظم تطبيق الاشتراكية فى مصر حتى لا تسرى عدواها الى أنظمتهم . ولكن الثورة المصرية ترد على ذلــك بأنها لن تطالب بتطبيق النظام الاشتراكى فى السعودية أو فى اليمن . لقد هاجمت الرجعية النظــام الاشتراكى فى مصر دفاعا عن أوضاعها فى بلادها . وهم يعلمون انها منافية للدين وللعدل ولشريعة الله ولكل الشعوب التى تنادى بالحــرية والتى تطالب بحقوقها(١٣١) .

ويقول راديو مكة أن الدين يطالبنا بالصــدقة . فى حين ان الدين لا يطالب بالصدقة فقط ، فالمال مال الله ، ليس ملكا لاحد . المــال مال المسلمين جميعا . المال مال الشــعب . عوائد البترول ملك للشعب .

---

(١٣١) خطاب فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر ١٩٦١/١٢/٢٣ جـ ٣ ص ٦٥٢ ، خطاب فى عيد النصر السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ جـ ٤ ص ٢٧١ . خطاب فى الاحتفال الشعبى الذى أقيم بمناسبة العيد الخامس للوحــدة ٦٣/٢/٢١ جـ ٤ ص ٣٣١ ، حديث مع صاحب مجلة كل شىء اللبنانيــة ١٩٦٢/٥/١٣ جـ ٤ ص ٢٧ ، خطاب فى يوم الوحدة العربية ١٩٦٢/٢/٢٢ جـ ٤ .

والشعب يطالب بحقه فيها . وبدل أن تودع فى البنوك الاجنبية فى الخارج فى بنوك سويسرا بنمر سرية ، تستخدم هــذه الاموال وتستثمر فى البلاد . واثر ذلك ناقش مؤتمر البحوث الاسلامية رأى الاسلام فى التأميم وبيان حدود الملكية فى الاســلام اذا ما اصطدمت بحق الغير أو بمصلحة المجتمع . فالاسلام يحرم التصرف فى الشىء المملوك ، ويحجر على تصرف السفيه ليحمى المجتمع من تنذير أموال المسرفين . وهو يعطى السلطان حق مصــادرة الاقوات والحاجيات الضرورية ، وبيبيعها للناس بثمن المثل حفاظا على حق المجتمع . وليس من حــق الانسان تجميد الارض الزراعية بلا استغلال لان ذلك ضــد مصلحه الدولة والمجتمع . كما انه لا يجــوز تجميع الملكيات الكبيرة وتركيزها فى يد قلائل مع حرمان ٩٩٪ من الشعب من ملكية شىء من الارض حتى لا تكون الثروة الارضــية فى أيدى الاغنياء يتداولونها فيمــا بينهم دون أن يكون لغيرهم من الفقراء أية حصة فيها أو أمل فى تداولها ، وهو مخالف لمصلحة المجتمع(١٣٢) . وقد أصدر المؤتمر عدة قرارات الرابع منها ان من حق أولياء الامر فى كل بلد أن يحدد من حرية التمليك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البينة ، وتحقيق المصالح الراجحه ، وان أموال الظالم وسائر الاموال الخبيثة والاموال التى فيها الشبهة على من فى أيديهم أن يردوها الى أهلها أو يدفعوها الى الدولة . فان لم يفعلوا صادرها أولياء الامر ليجعلوها فى مواضعها . وان لاولياء الامر أن يفرضوا من الضرائب على الاموال الخاصــة ما يفى بتحقيق المصــالح العامة . وان المال الطيب الذى أدى ما عليه من الحقوق

---

(١٣٢) خطاب فى يوم الوحدة العربية ١٩٦٢/٢/٢٢ ج ١ ، الاهرام ١٩٦٤/٣/١٠ .

المشروعة اذا احتاجت المصلحة العامة الى شىء منه أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه • وان تقدير المصلحة وما تقتضيه هو حق أولياء الامر • وعلى المسلمين أن يسدوا اليهم النصيحة ان رأوا فى تقديرهم غير ما يرون(١٣٣) •

بل ان « الاشتراكية الديمقراطية » لم تتخلف عن هذه العادة البديهية • فالاسلام كالاشتراكية لا يضيق بتقييد الملكية الخاصة للصالح العام وبتدخل الدولة • والفقهاء متفقون على أن يد المالك يد استخلاف ، ومعنى ذلك أن الملكية وظيفة اجتماعية • ولقد قام النظام الاسلامى على مبدأ التكافل والامن من بين جميع أفراد المجتمع بحيث جعل فى أموال القادرين حقا معلوما للسائلين والمحرومين•وتزايد جامعة الاسكندرية وتفيض فى تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام الانسان فى الاسلام • فقد قام النظام الاسلامى على التكامل الاجتماعى ، فالمؤمنون رجل واحد ، بل ويمتد مبدأ التكافؤ الى الحيوان • والعمل حق مقدس • والاجر بقدر العمل ، وضرورة التكافل أمام الخطر • وتزايد جامعة طنطا بذكر تقييد الاسلام للملكية ، فقد حمى عمر الحمى • وقد أغنى حديث الرسول : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل ثوب فليعد به على من لا ثوب له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » عن كل الفلسفات الاشتراكية الغربية(١٣٤) •

---

(١٣٣) الاهرام ١٩٦٤/٤/٦ ، العدد السابق ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٣٤) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ص ٣٥ ، المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤ .

قالوا الاشتراكية كفر فى حين ان الاشتراكية تمثل شريعة العدل ، شريعة الله . ولكن الرجعية التى أصيبت بالذعر لم تجد أمامهـا من سـبيل لتدافع عن نهب أموال الشعب وثرواته الا هـذا الكلام الذى لا يصـدقه أحد . ان الاشتراكية التى تتمثل فى الكفاية والعدل ، وفى اعطـاء كل فرد من أبناء الشعب نصيبا فى ثروة بلده هى شريعة العـدل . وشريعة العدل هى شريعة الله . أما الكفـر فهو نهب أموال الشعب وثرواته ، وأخذ أمواله كلهـا ثم استعباده وحكمـه بطريقة تتمثل فيهـا حكومات القرون الوسطى . طريق الاشتراكية هـو طريق الكفـاية والعدل ، طريق اذابة الفوارق بين الطبقات ، طريق تكـافؤ الفرص لان هـذا هـو طريق العدل ، طريق شريعة العدل وهى شريعة الله التى لا تقبل الظلم أو التحكـم أو الاقطاع أو الاستغلال لان شريعة الله نادت بالعدالة وبالمساواة وبالحرية(١٣٥) .

قالوا الاشتراكية كفر ، فى حين أن الكفـر هو تربية الجوارى . وجمع الاموال واغتصـاب مال الشعب . هذا هـو الكفر الذى هو ضد الدين ، وضـد الاسلام ، وضد كتاب الله . أما الاشتراكية فهى شريعة العدل ، شريعة الله ، شريعة العدالة والمسـاواة والقضاء على السيطرة والاسـتغلال ، واذابة الفوارق بين الطبقات ، وأن يكون لكل فرد جهده ، ولكل فرد قدر عمله . والشعب العربى قادر على القضاء على حكم القرون الوسطى واقامة الحكم الاسـلامى الحقيقى الذى

---

(١٣٥) خطاب الى ضباط الصف فى حفل افتتاح نادى ضباط الصف بالحلمية ٢٤/٧/ ١٩٦٢ جـ ٤ ص ٢٠٦ ، خطاب فى ملعب بلدية الاسكندرية بمناسبة عيد الثورة العاشر ١٩٦٢/٧/٢٦ جـ ٤ ص ٢١٧ .

هو العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، والانتقال من حكم القرون الوسطى الى حكم القرن العشرين . الكفر هو أكل أموال الناس . وأخذ عرق الناس ، واستغلال الناس . الكفر هو تأخر البلاد والسيطرة والاستغلال والاستبداد . فالدين الاسلامى دين العدالة والحرية والمساواة . هل العدالة الاجتماعية كفر ؟ هل تكافؤ الفرص والمساواة كفر ؟ ان الاسلام هو العدالة الاجتماعية ، هو العدالة والمساواه وتكافؤ الفرص ، والحكم السعودى هو الكفر . ان الاشتراكية هى شريعة العدل ، وشريعة العدل هى شريعة الله ، وشريعة الله تأبى أن يكون الغنى ارثا والفقر ارثا . شريعة الله ترفض هذا وتأباه ، وشريعة العدل هى اقامة العدالة الاجتماعية(١٣٦) .

أطلق الملك سعود اذاعته قائلا للناس الاشتراكية تعنى أن يأخذوا أولادكم ونساءكم وعائلاتكم لايهام الناس . الاشتراكية هى أخذ المال المغتصب من الشعب لتوزيعه على الشعب . الاشتراكية هى الكفاية والعدل . الاشتراكية تحترم الدين والعائلة وحق الاسرة ، وتحترم حق المواطن فى بلده وفى ثروة بلده ، وتحترم أيضا حق الكفايه وحق العدل ، تحترم انسانية الفرد ، وتؤمن بألا يكون هناك تمييز بين انسان وآخر . الاشتراكية تقديس للاسرة والدين والكفاية والعدل . الاشتراكية هى العدالة الاجتماعية والقضاء على الاستغلال . وهى

---

(١٣٦) خطاب فى العيد العاشر للثورة ١٩٦٢/٧/٢٢ ، خطاب فى الكلية الحربية بمناسبة يوم التدريب ١٩٦٢/٦/٢٥ جـ ٤ ص ١٠٩ ، خطاب فى عيد النصر السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ جـ ٤ ص ٢٧١ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بأسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ جـ ٤ ص ٣١٢ .

التحرر السياسى ، والتحرر الاقتصادى ، والتحرر الاجتماعى(١٣٧) .

يجعل الملك سعود نفسه ممثلا للاسلام فى حين أن الكعبة هى التى تمثل الاســلام ولكن سعود يتمسح فى الكعبة والكعبة منه براء . ويتمسح فى انه حامى الحرمين وهو مغتصب الحرمين ، مغتصب أموال الشعب ، أما الكعبة فلها رب يحميها . لا يمكن أن يحمى الكعبة حام استغلالى ، ملك الحــريم ، وملك الجوارى . فهذه ســبة فى الدين الاسلامى . ان العائلة المالكة السعودية ســبة فى الدين ، وأكبر دعاية ضــد الاسلام فى الخارج عندما تتحدث الصحف الاجنبية عن الرق والعبيد والجوارى والحريم فى السعودية . ان الحرمين من فيصل براء ، ومن سعود براء . ان الحرمين أرض الله . أما العائلة المالكــة السعودية فقــد أساءت الى الحرمين ، وأساءت الى الارض المقدسة . وهذه سبة فى جبين المسلمين وفى جبين العرب(١٣٨) .

٢ — الحلف الاســلامى :

(أ) الدوائر الثلاث . ان وجود مصر فى دائرة اسلامية هو من السياسات الثابتة للثورة المصرية . فالدائرة الاسلامية هى احدى الدوائر الثلاث فى فلسفة الثورة(١٣٩) . وهو أكبر جزء نظرى فيه . فلا يمكن تجاهل عالم اسلامى تربط مصر بــه العقيدة الدينية وحقائق التاريخ .

---

(١٣٧) خطاب فى عيد النصر السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ ج ٤ ص ٢٧١ .

(١٣٨) خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبدء بناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ ج ٤ ص ٣٢١ ، المصدر السابق ص ٣١٨ .

(١٣٩) فلسفة الثورة ص ٦٩ — ٧٠ .

فليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة حفظ فى مصر ، وردت مصر الغزو على أعقابه فى عين جالوت • بل ان الدائرة العربية نفسها قد امتزجت بالدين • فنقلت مراكز الاشعاع الدينى فى حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة •

تشمل الدائرة الثالثة التى تمتد عبر قارات ومحيطات اخوان العقيدة الذين يتجهون أينما كانوا الى قبلة واحدة ويصلون بصلاة واحدة • ويزيد من هذا الايمان الحج بمقدار ما يحققه من ترابط بين جميع المسلمين • فالذهاب الى الكعبة ليس تذكرة دخول الى الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة بل قوة سياسية ضخمة • يجب أن تهرع صحافة العالم لمتابعة أنبائه لا بوصفه مراسيم وتقاليد وصورا طريفة فى الصحف به بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وعلماؤها فى شتى ميادين المعرفة وكتابها ورجال الصناعة فيها وتجارها وشبابها ليصنعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونا معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام • يجتمعون خاشعين لكن أقوياء متجردين مؤمنين أن لهم مكانا يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة • هذه هى الحكمة الحقيقية من الحج • هناك ثمانون مليون مسلم فى أندونيسيا ، وخمسون مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة مليون فى الشرق الاوسط ، وأربعون مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الارض المتباعدة ، والتعاون بين هؤلاء جميعا دون أن يخرجوا

عن حـــدود الولاء لاوطانهم الاصلية بالطبع يكفل لهم قـــوة غـــير محدودة(١٤٠) • فهو اذن ترابط روحى وليس وحدة سياسية • وتظل الوطنيـــة أو القومية هى النظرة السياسية للدول الاسلامية وهو ما ترفضه الاتجاهات الاســـلامية الاصيلة مثل الاخوان المسلمين • ويظل هذا التصور قائما على تجربة شخصية وخواطر ســـانحة أكثر منهـــا تصـــورا نظريا لايديولوجية اسلامية • وفى ســـؤال لروبرت ستيفن المحرر السياسى لجريدة الاوبزرفر البريطانية عن مصر مركز الدوائر الثلاث ، العالم العربى وافريقيا والاسلام وهل تغير هـــذا التصور بعد أن زاد عدد دول عدم الانحياز وبعد أن تغير الوضع فى أفريقيا كثيرا وهل مازال الاعتقـــاد بأن الاسلام يؤدى دورا هاما فى الربط بين شعوب آسيا وأفريقيا ؟ أجاب الرئيس بأن الدور الذى يؤديه الاسلام دور قائم وفعال • واذا كانت علاقة مصر مع الهند تبدو أقوى بعلاقتها بايران المسلمة فان الخلاف بين الحكومة المصرية والحكـــومة الايرانية لا يمكن أن يعوق أو يحجب العـــلاقة بين الشعب المسلم فى مصر والشعب المسلم فى ايران • ان العلاقات الدولية بظروفها الموضوعية لها أحكامها • لكن ذلك لا يتناقض ولا يتعارض مع تعاطف الشـــعوب التى تعتنق نفس الدين • فلا يوجد تصـــادم أو احتكاك بين الدور الافريقى لمصر ودورها الافريقى الاسيوى ودورها فى العالم الاسلامى • صحيح أن الدائرة الثالثة التى مركزها مصر أوســـع وأشمل اذ أنها تمتد عبر قارات ومحيطات ، وهى دائرة اخوان العقيدة الذين يتجهون معا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاههم الخاشعة

---

(١٤٠) الجلسة الخامسة ١٩٦٢/٥/٢٨ ج ٣ ص ٨٥ .

بنفس الصلوات ، وصحيح أيضا أنه يجب تغيير النظـرة للحج بأن يتحول الى قوة سياسية ضخمة فى مؤتمر سياسى ، وأن يجتمع دوريا كل قادة الدول الاسلامية خاشعين أقوياء متجردين عن المطامع عاملين مستضعفين لله لكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حالمين بحياة أخرى ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هـذه الحياة . لقد دعت الثورة بعد ١٩٥٢ الى هذه الفكرة على أسـاس سياسى واستمرت فى ١٩٥٣ . وردا على سؤال عما اذا كان حـدث أى تقدم فى تصور الحلقات الثـلاث المتشابكة العـروبة وأفريقيا والاسلام ؟ أجاب الرئيس بأن هناك تقدما مستمرا . فالعلاقات أفضل مع الدول العربية ، وترسل مصر بعثات الى الدول الاسلامية ، وينظـر المسلمون الى القدس كمدينة مقدسة(١٤١) . وكذلك يربط الاسلام بين مصر وموريتانيا ، وبينهما صلات تاريخية واسلامية عريقـة ووثيقة جمعت ما بين الامة العربية فى المشرق وما بين الارض التى وصـل اليها نور الاسلام فى المغرب . هى صلات أنتجت طاقات حضـارية هائلة وحققت تجانسـا فكريا له آثاره البعيدة المدى . فضلا عن ذلك كاله فان البعوث الموريتانية الى الازهر الشريف — وقـد كانت من أكبر البعوث الاسلامية فى التاريخ القريب — صنعت خط اتصـال مباشر بين التيارات المؤثرة على اتجاه التطـور فى البلدين . والدولة الاسلامية من نماذجها المشرقة باكستان . وموريتانيا لهـا مواقفها

---

(١٤١) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ جـ ٥ ص ٥١٣ ، حديث مع س . ل سولزبرجر رئيس تحرير نيويورك تايمز ١٩٦٩/٢/٢٦ جـ ٧ ص ٦٩ — ٧٠ .

الواضحة الطيبة(١٤٢) •

ولمصر صلات مع كل الدول الافريقية التى أيدت العــرب عندما احتلت اسرائيل الارض مضافا اليهــا أرض الدول الاسيوية • عندما نشر كتاب « فلسفة الثورة » لم تكن هناك غير ثلاث دول أفريقية مستقلة والآن هناك أكثر من ثلاثين دولة • وهناك منظمة الوحدة الافريقية • وهناك مؤتمر اسلامى سيعقد فى ماليزيا ، والجامعة العربية أقوى عما كانت عليه ، وتعقد مؤتمرات القمة(١٤٣) •

وتقل بعد ١٩٧٠ الاشارة الى الدوائر الثلاث • فردا على سؤال عن تقييم المؤتمر الاسلامى المنعقد ببنى غازى والمجتمع الاســـلامى عموما أجاب الرئيس بأن التجمع الاســـلامى دائرة من الدوائر الثلاث التى تتحرك فيها مصر منذ الثورة • وكما ورد فى فلسفة الثورة تتحرك مصر فى هذه الدوائر الثلاث • وقد تم انتخاب حسن التهامى من مصر سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامى الاخير ببنى غازى ، وهــو وزير ومستشار فى رئاسة الجمهورية • وترجو مصر أن ينجح التجمــع أو المؤتمر على القضـــاء على فكرة التعصب أو الفكرة العنيفة كمــا هو الحال فى بعض التجمعات الاخرى أو كما هو الحال فى دولة مجاورة تقوم على تعصب دينى وعنصرى رهيب • التجمع الاســـلامى خال

---

(١٤٢) كلمة فى حفل تكريم رئيس جمهورية موريتانيا ١٩٦٧/٣/٢٧ ج ٦ ص ١٣٠ ، خطاب فى افتتاح مجلس الامة الجديد ١٩٦٩/١/٢٠ ج ٧ ص ٢٧ •

(١٤٣) حديث الى مستر روبرت ستيفن المحرر السياسى لجــريدة الاوبزرفر ١٩٦٤/٧/٢٥ ج ٥ ص ١١ •

من التعصب الدينى والعنصرى لانه يجمع شعوبا من كل أنحاء الارض ومن كل الجنسيات • ان اجتماع على مســـتوى الملوك والرؤساء دعم للتضامن الاسلامى وسعى الى رخاء العالم الاسلامى . وهو جزء من رخاء الانسانية • كمـــا أن وقفة العالم الاســــلامى العظيمة وقادته الحكماء مع اخوانهم العرب فى كفاحهم جديرة بالتقدير والاحترام • فالتضامن على مستوى الرؤساء وعلى المستوى الرسمى • ولم تنقطع سلسلة المؤتمرات الاسلامية من أول الثورة حتى الآن•وقد كان السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامى وسافر فى عديد من المرات على رأس وفود الى البلاد الاسلامية • وهو منصب غير سياسى ولا أهمية له ولو أنه ظل احدى شواهد الرئيس على أيمانه العميق منذ بداية الثورة • وقد كان هنـــاك أحاديث باستمرار عن الروابط الاسلامية التى تربط مصر بالعالم الاسلامى•فقد جمعت مصر وباكستان مثلا روابط الدين منذ زمن طويل منذ أول يوم قامت فيه باكستان • ومهما كانت هناك من محاولات مصطنعة لاقامة الفجوة بين البلدين ولكن الصداقة والاخـــوة يربطان بينهما خاصة فى وقت تعرض مصر للعدوان • فلا يمكن لايـــة جفوة مصطنعة أن تقضى على الروابط الروحية والدينية والعقلية بين الشعبين(١٤٤) •

---

(١٤٤) حديث مـــع الصحفية اليوغوسلافية العالمية داريا نكوفتش ١٩٧٣/٥/٢٧ س ٣ ص ١٨٦ ، الى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور ١٩٧٤/٦/٢٣ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ ، خطاب أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دور الانعقاد الخامس ١٩٧٣/٢/١٦ س ٢ ص ٨٨ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٢٠ ، حديث الى الامــــة ١٩٧٧/٢/٢٣ ص ٥٣ ، حديث فى الرباط ١٩٧٤/١/٢٣ س ٤ ص ١٧ س ٤ ص ٤٣ — ٤٤ ، كلمة فى مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور ١٩٧٤/٢/٢٣ مؤتمر صحفى بنيودلهى ١٩٧٤/٢/٢٥ .

وكانت الدعوة على التعاون بين المسلمين من أوائل دعوات الثورة تنفيذا لقول الله « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »(١٤٥) • ويظهر الطابع التقدمى للاسلام كرابطة بين الشعوب• فرسالة الاسلام دعوة قدسية الى الحرية نزلت تطلب الى البشر فى كل زمان ومكان أن يرفضوا استغلال شعب لشعب واستغلال طريقة لطريقة ، واستغلال انسان لانسان ، وتنادى بالمساواة والعدل بين الناس • وذلك معناه ان رسالة الاسلام بالطبيعة معادية للاستعمار ، وانها بالطبيعة معادية للامتيازات الاقطاعية ، وانها بالطبيعة معادية للاستغلال الرأسمالى • ان الامة العربية تعتز بتراثها الاسلامى وتعتبره من أعظم مصادر طاقاتها النضالية • وهى فى تطلعها الى التقدم ترفض منطق هؤلاء الذين يريدون تصوير روح الاسلام على انها قيد يشد الى الماضى • وهى ترى أن روح الاسلام حافز يدفع الى اقتحام المستقبل على توافق وانسجام كاملين مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية •

وفوق ذلك فهى لا ترى أى تعارض بين قوميتها العربية المحددة وبين تضامنها القلبى والاخوى مع الامم الاسلامية • ان الامة العربية بقواها الثورية التقدمية لا ترى فى الاسلام عائقا عن التطور بل تراه بحق وايمان دافعا الى هذا التطور•كما أن الامة العربية بقواها الثورية والتقدمية لا ترى فى القومية العربية عازلا عن تضامن الامم الاسلامية

---

(١٤٥) كلمة سطرت فى سجل زيارات نقابة عمال ومستخدمى النقل المشترك بمناسبة افتتاح المستشفى التعاونى ٢٩/٤/١٩٥٤ جـ ١ ص ١٢٧ .

بقدر ما ترى ان مواقع النضال من أجل الحرية السياسية والاجتماعية فى كل القارات تعزز بعضها بعضا وتؤزرها وتدعمها •

ولم يؤكد « الميثاق » على الروابط الاسلامية كثيرا وذلك لان القصد منه كان بناء المجتمع الاشتراكى داخل مصر • ومع ذلك يذكر الميثاق الدوائر الثلاث فى عبارة مقتضبة أقل بكثير من اسهاب فلسفة الثورة • فمصر دولة عربية فى افريقيا تؤمن برباط روحى وثيق يشدها الى العالم الاسلامى • وقد أنشىء المؤتمر الاسلامى فى ١٩٥٥ وعين السادات سكرتيرا عاما له(١٤٦) •

وبعد ١٩٧٠ يظهر الاسلام كايمان ، كرابطة بين العلماء والشعوب الاسلامية • فالعلماء أخوة فى الاسلام وفى الدين على طول تاريخ الامة الاسلامية•وهم الحفظة على التاريخ الاسلامى ، يعلمونه للنشىء، ويفقهونه فيه من أجل الدفاع عن الاسلام ومقدساته وتراثه • ان الملتقى الاسلامى لعلماء المسلمين يحملون أقدس رسالة هى رسالة العلم والدين والحياة بكل ما تحمل للحياة الاسلامية من مسئوليات : خلق كريم ، يقظة فكرية ، جهاد وهدف ، خدمة العقيدة للمجتمع • وقد عقدت كثير من المؤتمرات لتأييد الشعوب العربية فى معركة تحرير الارض والمقدسات الاسلامية • المسلمون أخوة فى الاسلام ، والمؤتمر الاسلامى صوت ٦٠٠ مليون مسلم ، وفيصل يعمل للاسلام ، وأيد كل قضية اسلامية • ويتم الاستشهاد ببعض الآراء التى تجعل

---

(١٤٦) كلمة فى حفل تكريم رئيس جمهورية موريتانيا ١٩٦٧/٣/٢٧ ج ٦ ص ١٣٠ ، الجلسة الخامسة ١٩٦٢/٥/٢٨ ج ٤ ص ٥٨ ، مشروع الميثاق ص ١٢٣ • •

المسلمين أمة واحدة مثل : « وان هذه أمتكم أمة واحدة واياى فاعبدون » أو « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » دون أى برنامج عملى لتحقيق هذه الوحدة . كما تذكر آية « كنتم خير أمة أخرجت للناس » دون ذكر لشرطها وهو « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . كما يدعى المسلمون الى عدم الحزن فى « ولا تحزنوا وأنتم الاعلون » دون أن يدعو الى القوة فى بداية الآية « ولا تهنوا »(١٤٧) . ثم يظهر بعض التاريخ الاسلامى كعامل ربط بين الدول الاسلامية فقد أراد البطل الصحابى عقبة بن نافع فى تونس أن تكون القيروان أول دعامة للاسلام فى المغرب العربى بل فى الشمال الافريقى . تذكر القيروان بالورود الزاهرة المنيرة للاسلام وما أنجبته من أئمة وقادة فكر وثقافة . لقد كان عقبة بن نافع صادقا حين قال : أريد مدينة تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر . ثم أتى الرئيس بورقيبة ليكمل لتونس عزتها . وشتان ما بين رأى عبد الناصر فى بورقيبة ورأى خلفه . كما أن فيصل مات شهيدا « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »(١٤٨) .

(ب) الرد على الحلف الاسلامى . أن الروابط الروحية تدعو مصر اليها بكل الوسائل وفى جميع المجتمعات ومع كل الدول الاسلامية .

---

(١٤٧) خطاب فى مؤتمر البحوث الاسلامية ١٩٧١/٤/٤ س ١ ص ٢١١ — ٢١٣ ، رسالة الى الملتقى السابع للتعارف على الفكر الاسلامى بالجزائر ١٩٧٣/٧/١٠ س ٣ ص ٣١٤ ، رسالة المؤتمر الاسلامى فى اندونيسيا ١٩٧٣/١٢/١٠ س ٣ ص ٣٦٩ — ٣٧٢ .

(١٤٨) فى مأدبة العشاء التى أقامها الرئيس التونسى تكريما له ١٩٧٢/٥/٦ س ٢ ص ٢٠٩ ، بمناسبة وفاة الملك فيصل ١٩٧٥/٣/٢٥ .

ترسل مصر البعثات ، بعثات ومدرسين من الازهر ، وتصرف فى هـذا مبالغ طائلة . وهذه الروابط الروحية من أجل الاسـلام ومن أجل المنفعة الاسـلامية . فالتعاون الاسلامى مقبول بل وواجب ولكنه يجب أن يكون فعـلا لوجه الله ولوجه الاسلام وليس نتيجة لسياسة أمريكية انجليزية . ولكن بعض الدول الاسلامية دخلت فى مواثيق ، وانحازت الى الغرب . وبدأ الحديث عن الحلف الاسلامى وعن تحويل حلف بغداد الى حلف اسلامى بعد ما دخلت تركيا وباكستان وايران والعـراق فى حلف بغداد . ثم خرجت العراق من حلف بغداد وبقيت تركيا وايران وباكستان . وبدأت هناك محاولات لاسـتغلال الدين الاسلامى من اجل سياسة الانحياز التى تتنافى مـع سياسة عدم الانحياز وهى سياسة الثورة المصرية . بدأ الحديث عن حلف اسـلامى غير منحاز مباشرة الى الغرب ولكنه منحاز بطريقة غير مباشرة . وقد بدأ ذلـك قبل سنة ١٩٥٥ ولم ينقطع . وهناك خطورة كبيرة أن تنطوى مصر تحت اسم الاسلام فى انحياز للغرب أو للدخول تحت سيطرة الدول الغربية لان ذلك يتنافى مع الاسلام ، فالاسلام ينادى بالحرية ، وبأن يكون الشعب حرا وسيدا لنفسه ، وألا تكون مصر داخلة فى مناطق نفوذ لاية دولة أخرى(١٤٩) .

وكيف يكون هناك حلف اسـلامى ويأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أى دولة أخرى . فالحلف الاسلامى فى هذه الحالة يتنافى مع كلمة الاسلام ويكون حلفا غربيا . ترفض الثورة اذن أن يكون العمل

---

(١٤٩) الجلسة الخامسة ١٩٦٢/٥/٢٨ جـ ٤ ص ٦٥ ، خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ جـ ٥ ص ٥١٢ .

تحت اسم الاســـلام جارا الى الاحلاف أو الى الانحياز للغرب بطريق الخديعة تحت اسم الحلف الاسلامى أو تحت اسم الرابطة الاسلامية أو تحت أى اسم من الاســـماء لان سياسة مصر هى سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، ســـواء كان الحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى أو التجمع الاسلامى أو التكتل الاسلامى أو مؤتمر ذروة اســـلامى ، فان هذا الحلف مثل حلف بغداد ومصيره مثل مصير حلف بغداد ، أخذوا الاسلام حجة ووسيلة ليخدعوا به بسطاء الناس ، وليس الحلف الاسلامى الا استكمال حلف بغداد لوضـــع الامة العربية داخل مناطق النفوذ ، وكما تصدت الثورة للرجعيـــة العربية وللحلف الاسلامى وكشف نواياه فان الخديعة لا تنطلى على أحد ، ومن لم يستطع الدخول فى حلف بغداد قبل اليوم حاول اليوم عن طريق الاسلام ولكن الشعب العربى يعلم أن طريق الاسلام هو الاســـلام الجديد لحلف بغداد والاسم الجديد لمناطق النفوذ(١٥٠) ،

وقد اعترفت الديلى تلجراف البريطانية فى ١٩٦٦/١/١٨ بأن الملك فيصل يقود حركة احياء الحلف الاســـلامى لضرب القومية العربية ، فطالما أن الشرق الاوسط حانوت مغلق من الدول العربية فان القاهرة ستظل بلا جدال عاصمته السياسية ، لكن وجود حلف اســـلامى تشترك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضـــع ، ويرى كثير من الزعماء المسلمين أن الحلف الاسلامى يمكن أن يكون أقوى نفوذا من القومية العربية فى الشـــئون العالمية فى الموالاة للغرب لان الحلف

---

(١٥٠) الجلسة الخامسة ١٩٦٢/٥/٢٨ ج ٤ ص ٨٥ ، خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥١٠ ، خطاب فى المؤتمر الشـــعبى بمدينة دمنهور ١٩٦٦/٦/١٥ ج ٥ ص ٥٩٨ ، ص ٦٠٠ .

الاسلامى سيكون مواليا للغـــرب • وقالت التايمز فى ١٩٦٦/٢/١٥ أن فكرة عقــد مؤتمر اسلامى ليست جديدة • وعلى الرغم مما يقال من أن المؤتمر الجديد سيبحث فى مســائل اجتماعية واقتصادية فان من المسلم به أن أهداف هــذا المؤتمر سياسية أساسا • اذ ستحضره دول عربية مما يساعد على تخفيف ثقل الدول العربية المتحررة • وتساءلت جريدة لوموند دبلوماتيك فى ١٩٦٦/٢/١٦ هل سيتمكن شعار الاسلام من القضــاء على القوى التقدمية فى العالم العربى ؟ وقد قال أنطونى ناتنج وزير الدولة البريطانى السابق بعد فشـــل حملة السويس أن الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن يكون عن طريق تأسيس جماعة اســـلامية من الممالك الاسلامية بالمنطقة •وحينئذ تخرج البلاد العربية من حيز القومية العربية الضعيف الذى لا يمكن التفــاهم فيــه الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع الذى يجمع العربى والتركى والايرانى والباكستانى فى مجال واســع • اذ ينسون جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام • وحينئذ يمكن للبلاد العربية التفاهم مــع الغرب حتى اسرائيل يمكن التفاهم معها حيث أن العرب لا يقبلون وجود اسرائيل بينهم • ولكن الدولة المسلمة تقبل وجود اسرائيل بدليل اعتراف ايران وتركيا باسرائيل • وقد قال ناتنج ذلك عن الحلف الاســلامى أو الجماعة الاسلامية أو التكتل الاسلامى فى ١٩٥٧ • لقــد ظنت الدول الاستعمارية والرجعية أن القوى التقدمية فى العالم العربى مختلفة مع بعضها ، وأنها قد تعبت من النضـــال • وبهذا أصبح الطريق مفتوحا أمام الاستعمار القديم والجديد لوضــع البلاد العربية فى حلف جديد يتخذ من الدين اسم أو ستار لحلف بغداد • وجدوا له اسما عربيا وســموه حلف بغداد ولبسوه عقالا وعباية حتى تختفى انجلترا وأمريكا وراءهما • والحلف الجديد ، ألبسوه عمة ليسموه الحلف أو المؤتمر أو

التجمع الاسلامى ، أى شىء اســمه اسلامى لخداع المسلمين باسم الدين • ولكن الاهداف واحدة وهى القضاء على القومية العربية التى سيطرت على أفكــار واتجاهات الشعوب العربية باعتبار أن القوميـــة العربيــة هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الاستعمار ومناطق النفوذ وتحقيق الوحدة العربية • تتحالف الرجعية مع الاستعمار خشية من المد الثورى العربى الذى يمثل خطرا على مصالحها وعلى احتكــارات البترول وخشية من الاشتراكية التى تهدد كيانها وأنظمتهــا ووجودها فيبدآن معــا فكرة جديدة : استغلال الدين كســـلاح حتى تتحقق أهداف الرجعية والاستعمار فى المحافظة على نفوذهما ودورهما فى العالم العربى ، وبهذا يمكن التخلص من الحركات التحررية والشـــعبية فى العالم العربى • الحلف الاسلامى حلف استعمارى هدفه أن يقاتل حركات التحرر وأن يتصـــدى للتقدم الاجتماعى • هو حلف للتآمر ضــد الشعوب العربية ووضعها فى مناطق النفوذ الغربى • وهو حلف للتآمر على البلاد الاسلامية الاخرى غير العربية التى تتبع ســياسة عدم الانحياز (١٥١) •

الحقيقة اذن هى أن الحلف الاسلامى عملية تجميع لكل القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى خط دفاعى أخير ضـــد المد الثورى العربى التقدمى فى البــلاد العربية • ان وصف الحلف الاســلامى بالرجعية والتعاون مع الاســتعمار ضد العروبة وضد المسلمين وضد فلسطين يسانده أصــحاب الدعوة الاصليين فى صــحفهم فى لندن

---

(١٥١) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥١٠ — ٥١١ .

وواشنجطن • فقد قيل فى صحف لندن أن الحلف الاسلامى حلف سياسى وليس حلفا اجتماعيا • قال ايزنهاور لسعود فى سنة ١٩٥٧ على فكرة الحلف الاسلامى ، وتحدث سعود فى هذا الامر فى القاهرة •

والدول الداعية للحلف الاسلامى هى جدة وطهران • ووجود طهران يؤكد على أن الحلف ضد العرب وضد المسلمين ولحماية الرجعية • لم يؤيد الحلف الاسلامى الا ايران والسعودية فى العالم العربى • صحف بورقيبة أيدت الحلف ، أعداء العروبة والاسلام فى لبنان أيضا أيدوا الحلف ، وكل من تهلل لحلف بغداد فى ١٩٥٥ ينادى اليوم بالحلف الاسلامى • تقول لندن وواشنجطن المخططتان للحلف أن الحلف كسب وتأييد لقضية فلسطين ، وهو ما قاله نورى السعيد فى ١٩٥٥ • وماذا ستكسب فلسطين من حلف تشرف عليه أمريكا وبريطانيا ويشترك فيه حكام ايران وتونس الذين دعوا للصلح مع اسرائيل • الحلف الاسلامى موجه ضد قوى الثورة فى العالم العربى • صحيح أن الاسلام ثورة ، والتضامن الاسلامى تحتاجه الشعوب ، ولكن الحلف يجب أن يعمل للاسلام وليس للاستغلال السياسى والاجتماعى ، وأن يعمل علماء الاسلام من مراكز الفكر الدينى وليس من السماسرة والارهابيين(١٥٢) •

لقد أزعجت القيادة العربية الموحدة الصهيونية والاستعمار فبدأت الحركات الرجعية فى الحديث عن الحلف الاسلامى ثم بدأت الاتصالات بشاه ايران • والكلام عن الحلف الاسلامى ليس بالسياسة الجديدة •

---

(١٥٢) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ جـ ٥ ص ٥١٢ — ٥١٣ ، خطاب ١٩٦٦/٧/٢٣ ص ١٣ •

فقد كانت تريد أمريكا حلفا اسلاميا فى المنطقة منذ ١٩٥٧ كما ذكر ايزنهاور فى مذكراته . ثم دعى الملك سعود الى أمريكا وعاد . ولكن لم ينجح فى اقامة الحلف الذى طلبه ايزنهاور من أجل ضرب القوى الثورية التى كانت تتزعمها مصر فى هذا الوقت . وحينما يتحرك فيصل وحسين وبورقيبة فهذا يعنى أن الاستعمار قد دفع أصدقائه للعمل وتحقيق عدة أهداف منها أضعاف القيادة العربية الموحدة ، واضعاف الكيان الفلسطينى وجيش تحرير فلسطين . كان الهدف الاساسى من الحلف الهجوم على القوى الثورية العربية . فعندما دعت مصر الى مؤتمرات القمة تصورت أنها بذلك تصل الى تعايش سلمى بين الانظمة الاجتماعية المختلفة . وفجأة بدأ الملك فيصل يعلن عن الحلف الاسلامى، وبدأت دعاية واسعة جدا ضد النظام الاشتراكى فى مصر . وأعلن فيصل والشاه عن الحلف . ودعا بقية الدول الاسلامية لتنضم اليه . والحقيقة أن الولايات المتحدة وراء الملك فيصل فى سياسته ، وتحاول تحقيق نفس الاهداف وعلى رأسها الدفاع عن الشرق الاوسط بجمع كل الدول العربية فى صف واحد تحت السيطرة الغربية . وكانت هناك فى نفس الوقت مؤامرات ضد سوريا والعراق . وكان الاردن مسئولا عن التنظيم والسعودية عن التمويل . بدأ فيصل يعمل من أجل الحلف الاسلامى لخدمة مصالح أمريكا ومصالح الانجليز وتصور أنه يستطيع أن يقوم بهذا العمل فى حماية مؤتمرات القمة .

ومن السهل استنتاج أن هؤلاء عملاء الامريكيين وأدواتهم تحت ستار الدين مدعين أن الحلف عملية دينية وليس عملية سياسية . ويدعى فيصل أن الامريكيين ليسوا وراء الحلف وأنها فكرته الخاصة ويهدف بها الى خير المسلمين وخير الدين فى حين أن الانجليز والامريكيين

فى السـعودية مسيطرين عليهـا وبالتالى مسـتحيل أن تكون دعوة فيصل لوجه الله • ويشـاركه حسين فى دعوته بأنه يخدم الاسـلام والمسلمين وهما يخدمان أمريكا وانجلترا والاستعمار • لقد قرر الاستعمار بعد جلائه عن المنطقة العـودة اليها من جديد عن طريق العملاء فبدأ الكلام عن الحلف الاسلامى والتضامن الاسلامى والمؤتمر الاسلامى • ولكن معظم الدول الاسلامية ردت ردودا غير مشجعة لان معظمهـا تعمل بالسياسة ومتحررة وتعلم الهدف من الدعوة • ومعروف فى العالم العربى أن العملية الغرض منها خداع الجماهير والشعوب العربية(١٥٣) •

يقول فيصل أن الغرض من الحلف مقاومة الالحاد • ولكن كيف يقاوم الالحـاد بالسياسة ولا يقاوم الالحاد بالدين ؟ الحلف الاسلامى حلف سياسى وليس تكتلا دينيا لان التكتل الدينى يكون من رجـال الدين وليس من رجـال السياسة • ومن الذى سيقاوم الالحاد فى العالم العربى وفى العالم الاسـلامى ؟ شاه ايران وبورقيبة ؟ وماذا يعرف الشاه عن الاسلام ؟ ومنذ متى يدافع بورقيبة عن الاسـلام ؟ لقد ألغى بورقيبة أجازة العيد كلها وقصرها على يوم واحد ! بورقيبة الذى يتكلم عن الاسـلام أكبر متنكر للاسلام فى بلده وهو اليوم يدافع عن الاسلام ! لقد أصدر فتوى بالافطار فى رمضان ، ولبس العمة اليوم وجعل نفسـه الشيخ بورقيبة داخل الحلف الاسلامى • كيف يضم الحلف الاسلامى شاه ايران ليبحث فى الشئون الدينيـة

---

(١٥٣) حديث للريس مع الصحفيين العرب ١٩٦٧/٢/٤ ج ٦ ص ٣٥ ، حديث صحفى الى جريدة الاوبزرفر البريطانية ١٩٦٧/٢/٥ ج ٦ ص ٤١ ، خطاب فى الاحتفال بعيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ٦ ص ٦٤ ، خطاب فى الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة ١٩٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٥٧ .

وهو لا يعلم شيئا عن الدين ويعارض كرجل سياسة وليس كرجل دين ؟ وكيف يضم الحلف بورقيبة بفتاويه للافطار فى رمضان وبالصلح مع اسرائيل ؟ بورقيبة مهووس • كيف يتحدث أو يناقش فى الدين ؟(١٥٤) • والحقيقة أن بورقيبة فى فتاويه قد اعتمد على أصول دينية معروفة ولا يعيب بورقيبة أن يكون مجددا • أخذ برأى دون الرأى السائد • وهذا حق أمام المسلمين فى الاجتهاد •

لم تكمل الثورة فكرتها الاولى عن المؤتمر السياسى من خلال الحج • فقد قام حلف بغداد فى أوائل سنة ١٩٥٥ ، وأصبح من المستحيل أن يجتمع المؤتمر الاسلامى كمؤتمر سياسى غير مرتبط بالاستعمار ، يعمل لصالح الاسلام والمسلمين ، ويعمل للتخلص من الاستعمار والاحلاف ولاقامة عدالة اجتماعية ، يعمل لانصاف المسلم فى كل بلد مسلم • ولكن بعد قيام حلف بغداد وانضمام تركيا وايران وباكستان لهذا الحلف أصبح من العسير أن يجتمع المؤتمر الاسلامى على أساس سياسى • ولذلك سارت الثورة فى الفكرة على أساس شعبى • فكل تقارب اسلامى على أساس الذروة يجب أن يبدأ من الذين استطاعوا تحرير بلادهم من الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ • وقد كانت اتصالات هؤلاء بعضهم ببعض مستمرة • اذا لم تكن دعوة التقارب الاسلامى على هذا الاساس بل على أساس سياسى وعلى اجتماع قادة الدول تكون غايتها بالرغم من رفع اسم

---

(١٥٤) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ص ٥١٣ ، خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ جـ ٥ ص ٥٣٢ ، خطاب فى ١٩٥٦/٧/٢٣ ص ١٣ •

الاســلام ضرب المسلمين وتشتيتهم باسم الدين ، وتفتيت العــرب لحساب الاستعمار أى تزييف الدين من أجل خدمة المبادىء والاهداف الاستعمارية . لم يأخذ مؤتمر القمة الاخير قرارات بشأن التعــاون الاسلامى والتضامن الاسلامى . فعلى كل دولة أن تعمل ما فى مقدورها حتى تســير الدول الاسلامية مع مصر من أجل قضــايا الحرية ومن أجل قضية فلسطين . لقــد صرح الملك فيصل لاحدى الصحف الكويتية معلقا على الحلف الاسلامى بأنه قام تعاون بين الطوائف المسيحية ، وكان هنــاك اجتماع المجمع المسكونى ، ولم يقل عنه أحد أنه تحالف . والحقيقة أن اجتماع المجمع المسكونى ليس اجتماعا سياسيا أو عسكريا بل اجتماع ضم رجــال الدين المسيحيين ولم يضم رؤســاء الدول المسيحية . فاذا ضم رؤساء الدول المسيحية فانه ينقلب الى اجتماع ومؤتمر سياسى . ان التضامن الاسلامى الحقيقى هو تضامن الشعوب الاسلامية المناضلة ضد الاســتعمار لا تضامن الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار والمستغلة للاسلام والمزيفة له ،وليس من عمــلاء السياسة والسماسرة والارهابين أو شاه ايران وبورقيبة ، مؤتمر لله وللدين وليس للاستعمار والرجعية . ان الاسلام أقدس من أن يسخر لخدمة الاستعمار أو الرجعية ، ولكن تظل الثورة المصرية على استعداد من أن تعمل من أجــل التضامن الاســلامى الحق السليم الذى يخدم الدين ويتكون أساسا من علمــاء الدين وتظل على استعداد لعقــد اجتماع اسلامى كريم ونزيه داخل الازهر بالقاهرة أو داخل الحــرم النبوى فى مكة أو داخل المسجد الاموى فى دمشق أو داخل المسجد الاقصى فى القدس ، مؤتمر لله ولدينه وليس للاستعمار والرجعيــة

وأحلافهما(١٥٥) •

والجماهير العربية قادرة على معرفة من يخدم الدين ومن يستغل الدين • اذ لا تجد الرجعية العربية المتحالفة مع الاستعمار من خط دفاعي ســوى تزييف الدين • وستكشف الجماهير العربية هذا التزييف واستخدام الدين لوضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ • ان الشعوب العربية قادرة على اسقاط الحلف الاسلامى المزعوم كما أسقطت حلف بغداد(١٥٦) • وأن الثورة المصرية على اســتعداد لعقد مؤتمر اسلامى لعلماء الدين • والحقيقة أن حجج ناصر ضعيفة اسلاميا اذ لا يوجد فرق بين رجال الدين ورجال السياسة فى الاسلام • فرجال الدين هم أهل الحل والعقد الذين بيدهم بيعة الحاكم أو عزله . ورجال السياســة هم أئمة المسلمين • كما أن الاسلام لا يفرق بين الدين والسياسة • كما يريد ناصر أن يجعل رجال الدين يتكلمون فى الدين ، ورجــال السياسة يناقشون السياسة ، وهناك موضوعات واحدة تجتمع فيهــا شئون الدين والدنيا • واذا كان ناصر يريد تسييس الدين ، ويرى أن الدين ثورة اجتماعية ونظاما اشتراكيا فانه من الصعب قصر الدين على العبادات والتعاون الاخــوى بين الدول الاسلامية وابعاده عن السياسة ومعاركها • واذا كان ناصر قد وصف رجال الدين من قبل بالتخلف والرشوة وتبعيــة الحكام فكيف يرجى من هؤلاء أى نفــع

---

(١٥٥) خطاب ١٩٦٦/٧/٢٣ ص ٣٠ ، ص ١٠ — ١٣ ، التنديد بالحلف الاسلامى فى توصيات مؤتمر المبعوثين ١٩٦٦/٨/١١ •

(١٥٦) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ جـ ٥ ص ٥١٣ — ٥١٤ •

أو خير للمسلمين ؟ يبدو أن مقارنة الحلف الاسلامى بالمجمع المسكونى المسيحى يجعل تصور ناصر للاسلام تصورا تقليديا مسيحيا خالصا .

والعجيب أن تدافع اسرائيل عن الحلف الاسلامى . فتذكر فى اذاعتها أن عبد الناصر وقف ضد الحلف الاسلامى لانه يهدد زعامته فى المنطقة . وهذه شهادة من العدو بأن الحلف الذى تدافع عنه اسرائيل يعبر عن أحقاد الصهيونية(١٥٧) . وقد قيل أن الحلف الاسلامى هدفه هو تكتيل المسلمين ضد اسرائيل . والحقيقة أن الحلف من صنع الاستعمار والرجعية واسرائيل ، ممثلا فى السعودية والاردن وايران . يستطيع الحلف أن يخدم قضية فلسطين فى شىء واحد فقط هو منع امداد اسرائيل بالبترول الذى يأتى من احدى دول الحلف ، ايران الى ايلات . الحلف حلف استعمارى . ومعنى هذا أنه مع الصهيونية لان الصهيونية هى الحليف السياسى للاستعمار . ويعلم العالم العربى ذلك . وهو معبأ ضد عملاء الاستعمار وحلفاء الصهيونية والطابور الخامس . وقد قامت أمانة الدعوة والفكر بعدة محاضرات وندوات عن الحلف الاسلامى مبينا مخاطره وأهدافه(١٥٨) .

ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح الملك فيصل من أخلص الزعماء للقضية العربية والعالم الاسلامى ورمزا للاخوة الاسلامية والتضامن العربى

---

(١٥٧) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ جـ ٥ ص ٥٣١ .

(١٥٨) خطاب فى مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية ١٩٦٧/٥/٢٢ جـ ٦ ص ١٤٣ ، الاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوى الثالث ص ٧٥ .

والاخاء الاسلامى . فقد تغير الموقف وأصبح النظام السياسى فى مصر مواليا للنظام السعودى . فظهرت الاخوة فى الله(١٥٩) !

(جـ) المرحلة الثالثة : العودة الى الايمان (١٩٦٧ — ١٩٨١) .

كانت المعركة الاخيرة التى ظهر فيها الدين كسلاح دفاعى هى معركة الايمان والعودة اليه التى ظهرت بوضوح بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى الآن وكأن الثلاث سنوات الاخيرة فى حكم ناصر كانت مؤشرا للحكم الحالى . صحيح ان الميثاق قد ذكر ضمانات خمسة للعمل الثورى : ارادة التغيير ، والطليعة الثورية ، والوعى العميق ، والفكر المفتوح ، والضمان الخامس هو ايمان لا يتزعزع بالله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانســان فى كل زمان ومكان ، ولكن تحول هــذا الضمان الخامس بعد الهزيمة أولا وبعد وفاة عبد الناصر ثانيا الى الضمان الوحيد . وتظهر أيضــا عبارة فى خاتمة « الميثاق » ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه . ولكن يبدو أن هــذه العبارة الاخيرة هى التى أصبحت فيما بعد فى المرحلة الثالثة والاخيرة الميثاق كله . ثم تمتد المرحلة حتى الآن (١٦٠) . ولبس سببها التربية الدينية العميقة للرئيس المؤمن بل عجز النظام السياسى عن أن يحل القضايا الاساسية ، القضية الوطنية والقضية الاجتماعية ، ومحاولة البحث عن مقومات للنصر فيما لا يختلف عليــه اثنان . وردا على سؤال بخصوص اجــادة

---

(١٥٩) فى وفاة الملك فيصل س ٥ ص ١٣٧ .

(١٦٠) الميثاق ص ١٠ ، ص ١٢٤ ، تحرص مصلحة الاستعلامات على وضع التاريخ الهجرى قبل التاريخ الميلادى فى طبع خطب السادات وأحاديثه.

الخطابة والارتجال رد الرئيس بأنه قد تخرج فى مدرسة القرآن الكريم وبمبادرة رجل دين يتصـــدر مجلس القرية بعلمه وقوته . ليس السبب فى ذلــك تربية الرئيس المؤمن بقــدر ما هو النظام السياسى القائم فى هــذا العهد . لم تحدث معــارك فعلية مثل الاسلام والاشتراكية او الحلف الاسلامى بل كلها مزايدات فى الايمان . وكثير منهـــا فى مناسبات رسمية وفى عبارات قصيرة أو شعارات دون بنـــاء داخلى . وكلما عجز النظام عن حل القضية الوطنية أو الاجتماعية فانه يلجأ الى هذه الشعارات لكسب نصر سريع فى ميدان يسهل فيــه الانتصار أمام جماهير موالية عاطفيا وأمية حضاريا . فتحويل المعركة من الخارج الى الداخل عجز عن مواجهة الخارج كى يسهل الانتصار فيها . وكلها تدور فى الامور النظرية الاعتقادية التى لا ينتج عنها فعل أو نظــام باستثناء بعض الاجراءات الشكلية كالتشبث بالشعائر الدينية والدعاوى النظرية عن تطبيق أحكام الشريعة . وبعد ١٩٧٠ يسود موضوعان اثنان الفتنة الطائفية والايمان وهما من موضوعات الضعف والدفاع وليســا من موضوعات القوة والهجوم مثل الاشتراكية والتحرر كما كان الحال فى بداية الثورة .

١ — رد فعل على الهزيمة .

(أ) تهمة الكفر والالحاد :

وقد بدأت بوادر هذه الردة عن القيم الثورية الاولى فى عنفوان الثورة وشبابها بالسؤال عن مدى حرية العقيدة الدينية وهل تشمــل الردة عن الاسلام ، وما هى الوسائل العلمية لبنـــاء الجيل الصاعد على أسس دينية وأخلاقية ، وهل ستمنع الشعوذة الاتجار بالدين وتبرير

خطة دعاة الالحاد والكفر ؟ وهى أسئلة توحى بالردة ، وذلــك ان التساؤل عن الاعتقاد الداخلى تفتيش فى ضمائر الناس ، وطرح موضوع الردة حكم على ايمان النـــاس ، وتأسيس المجتمع على أساس أخلاقى دينى ردة عن بناء المجتمع على القيم الثورية الاولى ، وتكفير دعاة الكفر الالحاد هو بداية للقضاء على الطليعة الثورية فى كل مجتمع •

وكانت الاجابة على هــذه التساؤلات مؤشرا على بداية الرده وذلك ان حرية الفكر لا تتمشى مع الاثارة الجنسية ، والا منعت الجرائد والمجلات • وانه لابد من تربية الابنـــاء ، وأن تكون الصحافة متقدمة ومتطورة • هنـــاك قيود على حرية الفكر تأتى من تصور متخلف للاخلاق وهـــو التصور الجنسى المثير لها • وبالرغم من تأكيد الدســـاتير على حرية الاديان ، وهى من المبادىء الاساسية الا أن موضوع الردة مازال مطروحا دون أن يتم التوفيق بينه وبين المبدأ • وقـــد نص الميثاق صراحة فى عبارتين على حرية العقيدة الدينية ؛ الاولى : « كذلك فان هذه القيم لابد وأن تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحـــر • ان حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة » • والثانية « ان الاقناع الحر هـــو القاعدة الصلبة للايمان والايمان بغير الحرية هو التعصب والتعصب هو الحاجز الذى يعوق كل فكر جديد »(١٦١) •ومع ذلك فلم تكن لهاتين العبارتين أى مضمون • وانتهى بهما الحال الى قانون الردة والحكم على المواطنين بالايمان أو الالحاد • فى حين أن المادة ٣٤ من الدستور تنص على أن حرية الاعتقاد مكفولة ، وتحمى الدولة حرمة

---

(١٦١) مشروع الميثاق ص ٨٨ •

القيام بشعائر الاديان والعقائد طبقا للعادات المرعية على ألا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافى الآداب(١٦٢) •

والوعى الدينى يمنع الشعوذة والاتجار بالدين والالحاد والكفر وكأن هناك طريقا واحدا مرسوما وما سواه انحراف وضلال • ومهمة رجال الدين فى ذلك ليس فقط الخطابة فى المساجد بل الخروج الى القرى والدعوة فى المدن وارجاع الخراف الضالة(١٦٣) • فعلى رجال الدين والوعاظ والمشايخ مسئولية كبيرة فى الخروج من المساجد والنزول الى الاحياء • وان مهمة رجال الدين ، وهم يأخذون أجرا على ذلك ، هى الوعظ بالطريق السليم الجاد وليس بالهزل لاستجلاب الضحك • فى أول الثورة طلب البعض أشياء كثيرة وقال « من لم يزع بالقرآن يزع بالسلطان » ولابد من عمل كذا وكذا ويستحيل ذلك لان فيه تضييق على الحريات التى تعود عليها الناس فى هذا البلد • لو صدر قانون بمنع المينى جيب فذلك معناه ان البوليس له الحق فى أن يتعرض لكل سيدة فى الطريق ، وهذا شعور يؤذى كل انسان • كل عائلة عليها أن تصدر هذا القانون ، كل رب أسرة وكيف يصدر قرار بفصل كل طالبة تدخل الجامعة بمينى جيب(١٦٤) • وقد أثير هذا الموضوع من قبل فى رفض طلب الهضيبى بمنع المينى جيب فى أول

---

(١٦٢) الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤/٣/٢٥ ص ١٤ •

(١٦٣) كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/٢/١٣ ج ٦ ص ٥٨٢ •

(١٦٤) بيانات وتعليقات بجلسات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى شرح الميثاق الجلسة الثالثة ١٩٦٢/٥/٢٦ ج ٤ ص ٧٢ — ٧٣ •

الثورة . فكيف تقام تنمية اجتماعية ويترك الدين للمسئولية الفردية الخالصة ولا يكون المجتمع مسئولا عنه فى شىء ؟ وهذا يدل على ان الدين كان سلوكا فرديا خالصا لا شأن له بسلوك الجماعة الا فى لحظات الدفاع عن النظام الاشتراكى ضد هجوم النظم الرجعية . ولولا هذا الهجوم والدفاع لما ظهر البعد الاجتماعى للدين .

ثم يظهر التأكيد على تمسك هذا الشعب بالدين كرد فعل على هجوم سوريا على النظام فى مصر ومدافعة النظام عن نفسه بانه نظام متدين يرفض الحاد النظام السورى ويرفض لا أخلاقية حزب البعث . فالشعب فى مصر شعب متدين متمسك بالدين ، وهو شعب طيب يجمع بينهم شىء واحد وهو الدين(١٦٥) . تقول اذاعة دمشق ان كتاب « فلسفة الثورة » ليس به عقيدة لانه مبنى على الافكار الدينية العفنة . وشعب مصر يفخر بأنه يتمسك بالدين ، المسلم والمسيحى على حد سواء لان الدين يمثل الطريق الصحيح والطريق السليم ، الشعب والقادة كلاهما يتمسك بالدين منذ اليوم الاول للثورة وهذا سر نجاح الثورة ، التمسك بالدين ، والعودة الى الدين . الامة العربية كلها متمسكة بالدين ، وطوال تاريخها تمسكت بالدين ، ودافعت عنه ، ولم تمكن أى خارج عن الدين عن أن يكون صاحب سلطة فيها ، الشعب السورى متمسك بالدين . واذا ما خرج القادة عن طريق الدين تكتل الشعب حتى يزيحهم عن أماكنهم ويفرض ارادته

---

(١٦٥) خطاب الريس فى مؤتمر الاتحاد العالم للعمال بحلوان ٣/٣/١٩٦٨ .

ومشـــيئته ويجبر القادة على العــودة الى الدين • الافكار المبنيــة على الدين هى التى تعبر عن ارادة الشعب ، وهى التى تنمو وتترعرع • لقد قابلت الثورة أزمات عدة ولكنها استطاعت التغلب عليها لسبب أساسى ، سبب أخلاقى ، سبب دينى • وقــد سارت الجامعات فى طريق العمل وفى طريق الاخــلاق المبنية على الدين وعلى التمسك بالدين • لابد من التمسك بقيم الدين والاعتصام بها مثل التمسك بالتكافؤ فى التضحيات وبالنقاء الثورى وبالطهارة الثورية • الدين بخير فى هذا البلد ، والامة كلها تقــوم بتدعيمه • الايمان فى الجيش كله وفى كل واحد ، يملأ النفوس(١٦٦)•

ان الافكار الملحدة هى الافكار العفنة ، ولا يمكن بأى حال أن يتجاوب شعب يتمسك بالدين مــع قادة ملحدين يتهمون الافكار الدينية بأنها أفكار عفنة • ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح الالحاد التهمة الاساســية ضــد الخصوم السياسيين فهذا الشعب المؤمن والذى يكون الايمان فيه جزءا من كيان وتكوين الشعب ولن يســمح لاية قوة مهما كانت أن تزلزل هــذا الايمان أو أن تسلك طرقا ملتوية لمحــاولة تضليل الاجيال القادمة كما حدث فى بلاد أخرى • وظلت لعبة الايمان والالحاد لعبة النظم السياسية عندما تكون فى مأزق مع خصومها • فالقذافى الذى كان يرى أن الشيوعيين جماعة ملحدين لا يصلون فان اليسار فى مصر مسموح به • حتى اذا ما أصبح اليسار يهدد النظام ترفع

---

(١٦٦) خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ١٩٦٣/٧/٢٨ جـ ٤ ص ٤١٣ — ٤١٥ ، كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/١٣ جـ ٦ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، فى أبطال الجيش الثانى مارس ١٩٧٦ ص ١٢ ، ص ١٤ .

دعوات الالحاد من جديد • فاذا ما أراد النظـام الدفاع عن ناصر دفاعا عن شرعيته فانه يدافع عن ناصر ضد اتهامه بالالحاد • واذا ما أراد النظام التالى على لسان أحد الكتاب أن يشـوه عبد الناصر فانه ينتهى الى أنه رجل ملحد فى بلد لا تحب الالحاد(١٦٧) • وقد فرضت الاشتراكية الديمقراطية قول الرئيس « لا مكان للملحد فى دور الصحف ووسـائل الاعلام » لان الاشتراكية الديمقراطية ليست فلسـفة الحادية تنكر الاديان وتجحد دورها فى توجيه البشرية لان التدين جزء من تكويننا الثقافى فى كل العصور • فهى فلسفة تدعم الدين والتدين فى النفوس كما رسمته الكتب السماوية(١٦٨) • تصـبح كل معارضة سياسية لاسباب اجتماعية خالصة كما حدث فى ١٨/١٩ يناير متهمة بالالحاد ، وتلحق بمراكز القوى وبانقلاب مايو ١٩٧١ وازاحة اليسار الناصرى أى الماركسى الملحد •

الايمان أقوى عاطفة فى الانسان ، والعاطفة أغلى شىء فيه • وهى ما يستطيع الانسـان أن يضحى بنفسه فى سبيله • والايمان هو ايمان بالاجل وبالكتاب ، ولن يتوفى الله أحدا لم يأت أجله • ومن ثم وجب الفداء والتضحية وبذل الجهد • الايمان اذن هـو الطريق الى النصر • وذلك لان الارادة وحدها هى القـادرة على تغيير الموقف

---

(١٦٧) الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١٥ ، فى الاتحـاد الاشتراكى العربى ، مارس ١٩٧٦ ص ٧٩ ، حديث الى جريدة السياسة الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ ص ٣٠ ، فى الجلسة الخامسة لمجلس الشـعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٤٤ .

(١٦٨) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٤ ، ١٢٦ .

وتحويل الهزيمة الى انتصار . لابد أن يتعمق هذا الايمـــان فى قلب الجنود . لابد أن يؤمن كل جندى بالدين والمبادىء وبالقيم . وهـــذا دور التوجيه المعنوى لتعميق هذه المعانى ، وجعل عامل الايمان بالله أساس توعية الجندى . هذا الايمان القوى يمنع من الشك والتردد فى المعركة ، ويزيد الانسان صلابة وقوة ، قوة المبادىء وصـــلابة الايمان . ولابد أن يؤمن الجندى بعد ايمانه بالله بقضـــية بلاده وتحرير الارض المحتلة . لذلك يقترن الايمان بالله باستمرار بالارادة والثقة بالنفس وبالتدريب وبالجهد وبالعلم . وعلى هذا النحو تستطيع القوات المسلحة فى الوقت المناسب تحويل الهزيمة الى انتصـــار . الايمان بالله وقوة العقيدة يذهبان بالخوف ، ويجعلانه شيئا وقتيـــا لحظيا . لابد من توجيه الجندى توجيها سليما فعليه رســالة كبيرة نحو ربه ونحو وطنه . لابد من بث روح الايمان فيه . فبدون الايمان وبدون العقيدة لا يستطيع الانسان أن يحارب ولا يرى سببا لموته . يموت الانسان لانه مؤمن بشىء ويبذل نفسه من أجله . والشعب هنـــا يؤمن بالله وبوطنه وبحريته وبحق أمته العربية فى الحرية . يموت الانسان من أجل المثل الاعلى الذى أعطاه الله ومن أجل البلاد والارض والامة العربية . تحمل القوات المسلحة المسئولية الكبرى . يثق كل جندى بنفسه وبوطنه . بهذا الايمان وهذه الثقة لن يخذل الله الشعب فى معركته من أجل تحرير البلاد والدفـــاع عن الشرف واثبات الذات . وكل جندى فى القوات المسلحة مستعد للتضحية فى سبيل الله والعروبة والوطن . ان العمل الانسانى قادر بحقيقة الايمان

والصبر والجهد المستمر وبالامل فى نصر الله(١٦٩) • وكان شعار القوات المسلحة النصر أو الشهادة •

وفى النظام التالى فى السبعينات نادرا ما يقرن الايمان بالعمل • بل ويقترن الايمان بالصبر ، فبالصبر والايمان بالله وبالنفس يمكن تحقيق الهدف وتحويل الهزيمة الى نصر • ومع أن الصبر هو صبر المؤمن القوى وليس المؤمن الضعيف الا أن ظهور القيمة نفسها يجعل الصبر غير مشروط • كما يدل الواقع الاجتماعى والسياسى أيضا على أنه تبرير للعجز عن الحركة وحل القضية الوطنية أساسا • الصبر صبر المؤمن وهو الصمت ، صمت الواثق حتى تأتى الساعة وقد لا تكون بعيدة باذن الله ، الصبر والصمت فى عزم واصرار • ومع أن الصبر يكون مقرونا بالجد الا أن الغالب على هذا النوع من القيم هو السلب مثل سماحة النفس والرحمة التى تسود الوفاء بالمودة اليقظة • فالامة صابرة مؤمنة ، صبرها من ايمانها ، وايمانها يزيد صبرها • ويتم الاستشهاد ببعض آيات الصبر مثل : « وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » • وقد كانت الدعوة للصبر فى بداية الثورة مجرد دعوة عامة بدعوة المواطنين الى الصبر

---

(١٦٩) كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ١٦٣ ، كلمة فى القوات الفلسطينية والجزائرية فى أحد المواقع الامامية على خط النار ١٩٦٨/٣/١١ ج ٦ ص ٣٥٥ ص ٢٥٨ ، خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة فى احدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٤/٢٥ ج ٦ ص ٤٥٠ ، كلمة فى القوات المرابطة فى أحد المواقع الامامية على خط النار ١٩٦٨/٣/١٠ ج ٦ ص ٣٤٨ ، خطاب الرئيس فى عيد العمال بحلوان ١٩٦٩/٥/١ ج ٧ ص ١٢٧ •

كى يتحقق الاتحاد من أجل القضاء على الماضى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تعلمون »(١٧٠) • ولكن قد تخفى هذه القيم السلبية نزعة فاشية وميلا الى البطش والعدوانية فاذا قيل « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » فان ذلك تواضع فى الظاهر وبطش فى الباطن بالرغم من القول بأن الرحمة هى أساس الدين •

(ب) الدين والايمان :

والدين هو المرشد الصحيح لكل انسان ولكل شخص لانه يعطى الانسان القدرة على التفريق بين الحلال وبين الحرام • وكان الشعب أيضا يشعر بهذا الشعور مثل قادة الثورة وهم من هذا الشعب• الدين يحدد عمل كل انسان يعمل الحلال ولا يعمل الحرام • الدين هو الذى يضع المقاييس السليمة ، ما يقره الدين يعمل وما لا يقره لا يعمل • الدين هو الميزان ، وعدم التمسك بالدين ضياع للميزان واستحالة للتفرقة بين الحلال والحرام بأى حال من الاحوال • الدين هو الذى يهدى الى القيم السليمة والى القيم الحقيقية • واضح هنا وجهة النظر التقليدية فى الحلال والحرام وهى انهما ينبعان من الدين ولا يستطيع العقل أن يستقل بادراكهما •

وفى الستينات أيضا كان تصور القيادة السياسية للتدين أى

---

(١٧٠) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧٢/٤/٢٥ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ورقة أكتوبر ص ٥ ، خطاب أمام مجلس الشعب ١٩٧١/٥/٢٠ س ١ ص ٣٣٥ ، للمؤتمر الاسلامى فى لوجومى ١٩٧٥/٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ ، فى أبطال الجيش الثالث مارس ١٩٧٦ س ١٣ ، فى السويس ١٩٥٣/١١/٣ جـ ١ ص ٦٢ ، حديث الى جريدة السياسة الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ س ٥ ص ٢٧ •

الدين فى لحظة تاريخية معينة يظهر السلوك الدينى وكأنه نابع من الفطرة البشرية ، والفطرة بها الخير والشرير وبها الصالح والطامع وبها الصحيح والفاسد منـــذ الخليقة حتى الآن • وبالتالى تكـــون المسئولية فردية • فأولياء الامور والعائلات هى المســئولة أولا ثم المجتمع ثانيا • فمنذ قام المجتمع حتى اليوم فيه الصالح والفاسد ، منذ قامت الخليقة من عهد آدم وقصة هابيل هناك الفاسد والصالح . والواجب هو العمل على تقويم الفاسد وتدعيم الصالح • لا يوجد اذن أساس اجتماعى للســـلوك الدينى ، بل هو سلوك فطرى ، الصـــالح صالح بالطبع والفاسد فاسد بالطبع ، وهى النظرة المحافظة التى تود الحفاظ على الوضع القائم وتجد الشرور الاجتماعية ضرورة لا مفر منها تعبر عن طبيعة البشر ، أو كما يقول المسيحيون عن الخطيئة الاولى معصية آدم وقتل هابيل لقابيل(١٧١) • وقد كان التمييز بين النافع وغير النافع من أوائل دعوات الثورة ضد التشكيك والاثارة والهمس الجبان المتوارى للنيل من الثورة •

والايمان ليس صفة فى الشعب وحده بل أيضا صفة للقادة اذا مات زعيم خرج زعيم غيره بالعشرات يؤمنون بالله • فمن يحمل أمانة الايمان فانه يستطيع أن يغير مجرى التاريخ (١٧٢) •

---

(١٧١) كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/١٣ ، ج ٦ ص ٥٨٢ — ٥٧٣ .

(١٧٢) خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٤ ، فى عيد العمال ١٩٧٢/٥/١ س ٢ ص ١٩٨ ، بيان الى الامة بمناسبة مرور عام على اعلان دولة الاتحاد ومرور ثلاثة اعدام على الثورة الليبيـــة ١٩٧٢/٩/١ س ٢ ص ٣٥١ ، خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٣ — ٤١٤ .

(جـ) القدرية والتسليم :

وقد بلغت الردة الدينية لدرجة القدرية والايمان بقدر الله فى الهزائم العسكرية • فلو نظرنا الى التاريخ القديم والحديث لطالعتنا صفحته بنماذج عديدة لما يمكن أن تتردى اليه أحوال الامم عندما تصيبها الهزيمة العسكرية وذلك قدر لا تتفرد به الثورة المصرية وحدها وانما هو قدر جرى قبلها على أمم أكبر منها وأقوى وما حدث لكثير غيرها لم يحدث لها • وردا على سؤال عن الموهبة غير العادية التى يتمتع بها الرئيس فى تحويل الهزائم الى انتصارات وفى تخطى المآزق يجيب الرئيس بأنه يؤمن بالله وبقضائه وقدره • وتغيير الواقع يحتاج من العمل والصبر والطاقة التى لا يملكها غير المؤمنين بقضاء الله والواثقين فى عدالته • يقبل الرئيس مشيئة الله وما هو فيه من امتحان وآلام ، ويثق بمشيئة العدل الالهى ويؤمن ايمانا لا يتزعزع بأنه سيكون يد هذه المشيئة فى العدل الالهى حينما تجىء اللحظة المناسبة ويرد بيقين الصادقين « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » • ان الاقوياء القادرين على حمل أمانة مشيئة العدل الالهى هم المجاهدون الصابرون الذين يتحملوا مسئولياتهم بلا خوف ولا جزع ودون تردد أو وهن • ويظهر نفس التسليم أيضا فى بيان ٣٠ مارس « ولتعمل ارادة الحق فوق كل ارادة لانها جزء من ارادة الله » • لقد توفى عبد الناصر بقضاء الله وقدره ، ولا يمكن رد مشيئة الله • ترتفع الامة بالايمان وتهبط بدونه • كانت الامة فى ذروة الايمان وبالتالى فى ذروة الارتفاع الى مستوى أقدارها ، وما شاءت ارادة الله أن تمتحن

بها عزمها فمــا وهنت ولا ترددت(١٧٣) • فالايمــان يعنى التسليم بالقضاء والقدر وقبول المصائب والهزائم كامتحان واختبار من الله للمؤمنين • وكل ارادة من ارادة الله وتعلو ارادة الله على كل ارادة لانها جزء من ارادة الله • وكل هزيمة أو نصر بارادة الله • النصر من عند الله والاعتماد والتوكل عليه والعهد لله • وتســديد الخطى من الله • والله وحده هو الذى يعلم وان العمل ليس أمام الناس بل أمام الرب والشــعب هو الشاهد • تقبل الامة على امتحان يريد اللــه به أن يختبر شجاعتها بعــد أن اختبر ثباتها • ويتم الاستشهاد بآيات توصى بنفس المعنى مثل : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنــا » أو « وكتبت عليهم الذلة والمسكنة » وأيضــا « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » • أرواح الشهداء الذين سقطوا فى ميدان المعركة حسابهم على الله • ان ارادة الشعب وارادة الامة هى ارادة الله(١٧٤) •

---

(١٧٣) كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/١٣ جـ ٦ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، حديث مع س • ل • سولزبرجر رئيس تحرير النيويورك تايمز ١٩٦٩/٢/٢٦ نشر فى ٦٩/٣/٢ ثم فى الاهرام فى ١٩٦٩/٣/٣ جـ ٧ ص ٧٠ — ٧١ ، خطاب فى افتتاح الدورة الخاصة لمجلس الامة ٦٧/١١/٢٣ جـ ٦ ص ٢٧ ، خطاب فى افتتاح مجلس الامــة الجديد ١٩٦٩/١/٢٠ جـ ٧ ، خطاب فى جلسة العمل الاولى للجنة العاملين للمواطنين من أجل المعركة ٧٠/٤/١١ جـ ٧ ص ٣٣٧ ، بيان ٣٠ مارس ص ٣١ ، بيان الى الامة ٧٠/٩/٢٨ ، بيان الى الامة ٧٠/١٠/٧ ، خطاب فى افتتاح الدورة الخاصة للمؤتمر القومى العام ٧٠/١١/١٣ س ١ ص ٤٩ •

(١٧٤) حديث للامة يشرح فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ جـ ٦ ص ٣٨٠ ، فى الذكرى الثالثة لجلاء آخر جندى امريكى عن ليبيا ٧٣/٦/١١

=

وقد ظهر البعد الرأسى فى الدين واختفى البعد الافقى . وأصبحت المسئولية أمام الله . والعمل لله . فيخشى القادة ويخلصون ضمائرهم أمام الله وأمام التاريخ . المسئولية أمام الله أولا وأمام الشعب ثانيا ، أمام الله أولا وأمام الضمائر ثانيا . واستمداد القوة من الشعب بعد الله وارادة الشعب هو صوت الله . والثقة فى النفس بعد الثقة فى الله حتى يكون الله هاديا للمسيرة . وانها منحة كبرى من السماء أن يفيض الله لشعب أب عائلة واحدة . فالاعتماد على الله ثم على الناس ووجود الناس بجانب القادة بفضل عون الله وما منحه الناس من روح الخلق والابداع وما أعطاهم من ارادة الصبر والتصميم . والمسئولية أمام الله وأمام الشعب وأمام الضمير . وارادة الشعوب من ارادة الله . الثقة بالله والعمل من أجل نصر الله . وجند الله هم الغالبون ، والتضرع الى الله من أجل أن يهب القوة حتى يحقق النصر الذى يصبو الشعب اليه . « اننا الامناء والمؤمنون ، اننا الحق والحقيقة ، اننا النار والنور » ! الصراحة أمام الله وأمام النفس ، والله هو الذى يحقق آمال الوطن ويسدد خطاه

=

س ٣ ص ١٩٤ ، أمام المؤتمر السابع لدول عدم الانحياز فى الجزائر ٩/٦/ ٧٣ س ٣ ص ٢٩٦ ، خطاب فى افتتاح الدورة الخامسة للمؤتمر القومى العام ٧٠/١١/١٢ س ١ ص ٥١ ، فى مجلس الشعب ٧٥/٣/١٩ س ٥ ص ١٤٨ ، لرئيس تحرير السياسة الكويتية ٧٥/٤/١٢ س ٥ ص ١٨ ، فى علماء الازهر ٧١/٥/١٦ س ١ ص ٣٠٣ ، بمناسبة وفاة فيصل ٣/٢٥/ ٧٥ ، فى الذكرى الثالثة لوفاة الزعيم عبد الناصر ١٩٧٣/٩/٢٨ س ٣ ص ٣٢٣ .

ويهيىء من الامر الرشد ، والبداية على بركة الله فى شهر القرآن ، شهر التضحية والمبدأ والنضال(١٧٥) •

الله مع الشعب بتوفيقه ومع الامة بعونه وتأييده ونصره ، والدعاء هو أن يوفق الله كل من يتحمل المسئولية فى أى موقع فى التعبير عن أمل الشعب وأن يمكنه من تحقيق أهدافه ، وهو القوى الحكيم القادر ، توفيقه وهداه نصر مؤزر ، ونعتمد عليه جميعا • والمسؤولية أمـام الله وأمام الضمائر وأمام الشعوب • والنصر من عند الله عزيزا كريما شريفا غالبا ، وينصر الله من ينصره والله قـوى عزيز ، والعهـد للناس ولله • والله هو الذى منى بالنصر فى حرب أكتوبر • وارتفع صوت الجنود الله اكبر • والله هو الذى يمنح القوة والعزم بالحق والله هـو الـواهب لكل شىء على هـذه الارض • السـماح من الله ، والتوفيق من الله ، والهداية سواء السـبيل من الله ، والاتجاه فى خشوع الى الله • والثقة بالله وبأصالة هـذا الشعب ، والتبليغ لله والشهادة أمامه • ومع أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضـة الا أن

---

(١٧٥) بيان الى الامة ١٩٧٣/٣/٢٦ س ٣ ص ٧٥ ، بيان الى الامة ١٩٧١/٥/١٤ س ١ ص ١٧٣ ، فى ضباط الشرطة ١٩٧١/٥/١٧ س ١ ص ٣٠٩ ، بيان الى الامة ١٩٧١/٨/٣٠ س ١ ص ٤٢٥ ، بيان الى الامة ١٩٧١/٩/١٦ س ١ ص ٤٦٠ ، فى الذكرى الاولى لجمـال عبد الناصر ١٩٧١/٩/٢٨ س ١ ص ٤٨١ — ٤٨٢ ، حديث الى الامة ١٩٧٢/١/١٣ س ٢ ص ٢٢ ، فى عيد العمال ١٩٧٢/٥/١ س ٢ ص ١٩٠ ، أمام مجلس الشعب بمناسبة ذكرى ٧٢/٥/١٥ س ٢ ص ٢٤١ الى المحاربين المصابين بمركز التأهيل بجمعية المحاربين القدامى ٧٢/٥/١٤ س ٢ ص ٢٦١ ، فى جامعة الاسكندرية ١٩٧٢/٧/٢٧ س ٢ ص ٣٢٨ ، فى عيد العلم اكتوبر ١٩٧٢ س ٢ ص ٣٨٦ ، فى افتتاح الدورة العادية الثانية لمجلس الشعب ١٩٧٢/١٠/١٥ س ٢ ص ٤٠١ .

التوجه الكلى الى الله . الثقة بالله ، والرعاية للامة والمباركة لنضالها وتوفيق الشعب وتحقيق آماله والنصر من الله . الدعاء لله والسجود لله . ولن تمنع الحصون الاعداء من الله ، ورحمة من فى الارض يتبعها رحمة من السماء . والعلم لله ، والعبادة لله ، والعصمة لله يفعل الله ما يشاء(١٧٦) .

ويستعمل كثير من الآيات سواء فى داخل الخطاب أو فى آخره توحى أيضا بهذا التسليم المطلق بارادة الله ، وأن الامر بيده تعبيرا عن ايمان البسطاء ، وسيرا فى التقاليد الاشعرية عند رجال الدين مثل « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » . أو مثل « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » . أو الدعاء الى الله وطلب الرحمة والهداية مثل «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا

---

(١٧٦) فى عيد العمال ١٩٧١/٥/١ س ١ ص ٢٣٥ ، فى افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى س ٢ ص ٣٣٢ ، خطاب تكليف الى د. حجازى بمناسبة الوزارة الجديدة ١٩٧٤/٩/٢٥ س ٤ ص ٥٩٩ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٧٧/٩/٢٨ ص ١١ — ١٥ ، فى الذكرى الرابعة لوفاة ناصر ١٩٧٤/٩/٢٨ س ٤ ص ٦١٨ ، الى طلاب أفريقيا ٧٤/١١/١٢ س ٤ ص ٧٢٨ ، الى طلاب المدارس الثانوية والفنية ١٩٧٤/١٢/١٢ س ٤ ص ٧٤٨ ، خطاب أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دور الانعقاد الخاص س ٣ ص ١١٨ ، فى افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى س ٢ ص ٣٣٥ ، الى مجلس الثورة الليبى ١٩٧٤/٥/٧ س ٤ ص ٣١٥ — ص ٣٢٥ ، فى الجيش الثالث ١٩٧٤/٦/٤ س ٤ ص ٣٦٧ ، فى الذكر ٢٢ للثورة ١٩٧٤/٧/٢٣ س ٤ ص ٤٩٧ — ٥٢٨ ، الى رئيس واعضاء مجلس الثورة الليبى ١٩٧٤/٧/٣١ س ٤ ص ٥٤٣ ، فى الاتحاد الاشتراكى العربى مارس ٧٦ ص ٦٨ ، خطاب أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دورة الانعقاد الخاص س ٢ ص ٨٩

رشدا » • بل ترد أيضا كل آيات النصر التى تجعل النصر من عند الله مثل « وما النصر الا من عند الله » • كما أن آيات النصر التى تجعل الانسان طرفا فى الحصول عليه قد ارتكزت على الطرف الذى يجعل الله الوسيلة للحصول عليـه مثل « ولينصرن اللـه من ينصره » أو « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » أو « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » • وأحيانا تأتى الآية كلها طويلة حتى تطفى الجـو الدينى العام على الخطبة السياسية مثل « يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا تعسـا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم • أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » • الله هو الذى يجزى وليجزى الله الصادقين بصدقهم ، والله هـو الرامى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »(١٧٧) •

---

(١٧٧) القوات الجوية مارس ١٩٧٦ ، خطاب فى الذكرى الثانيـة لوفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، أمام المؤتمر المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب ١٩٧٣/٣/٢٦ س ٣ ص ١٠١ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور ١٩٧٤/٦/٢٣ س ٤ ص ٤٣٤ ، فى مجلس الشعب بمناسبة الذكرى الاولى ١٤ مايو ، ١٥ مايو ١٩٧٢ ، الى الشباب العربى من أجل اتحاد الشباب ١٩٧٤/١٠/٢٢ ، فى الجلسـة الختامية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ٧١/٤/١٧ س ٢ ص ٣٣٢ ، خطاب فى ختام الدورة الخامسة للمؤتمر القومى العام ٧٠/١١/١٣ ، فى افتتـاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٩٧٣/١٠/١٦ ، رسالة الى مؤتمر الاتحادات المهنية ١٩٧٣/٥/٢ س ٣ ص ١٤٤ ، بيان عن اعلان مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧١/٧/٢٣ س ١ ص ٣٨٥ ، فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشعب ١٩٧٤/١٠/٢٣ الضباط والجنود .

وبتحليل فواتح الخطب السياسية وخواتيمها بعد ١٩٧٠ نجد أيضا نفس العبارات التى توحى باسناد كل شىء الى الله ، مثل : الله الموفق ، وفقكم الله . الحمد لله ، بمشيئة الله ، بعون الله ، وتوفيقه ومشيئته ، بارادة الله ، باختيار الله ، تكريم الله ، سؤل الله ، رجاء الله ، رعاية الله ، نصر الله ، رضى الله ، هدى الله ، الحمد لله وباذن الله ... الخ . ويفتتح الخطاب باسم الله وينتهى بآية قرآنية . فى حين أنه لم يكن يغلب على الخطب السياسية فى ١٩٥٢ — ١٩٧٠ أية فواتح أو خواتيم دينية كما حدث بعد ١٩٧٠ . كانت البداية دعوة الى المواطنين « أيها الاخوة المواطنون » دون ذكر باسم الله أو باسم الله الرحمن الرحيم الا فيما ندر . ولم يكن هناك اكثار وتركيز على اسناد كل شىء لله مثل : الحمد لله ، وان شاء الله ، وعون الله . وكان الختام دائما السلام عليكم والدعوة بالتوفيق دون الاستشهاد بآية قرآنية(١٧٨) .

والعجيب أن آيات أخرى تدعو الى العمل وتحمل الامانة تظهر أيضا ولكن أيضا جانب العمل الانسانى يختفى أمام التوفيق الالهى . فمثلا ترد آية «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» حوالى سبع مرات من أجل رؤية الله لعمل المؤمنين أكثر من الدعوة للعمل . كما أن آية الامانة التى رضى الانسان أن يحملها ترد ليس كدعوة للعمل بقدر ما هى دليل على الايمان وهى « أنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

(١٧٨) خطب عبد الناصر جـ ١ ص ١٣٦ ص ٥٠٥ ، ص ٥٣٣ ، ص ٥٤٦ ، جـ ٢ ص ٧٥ ، ص ٤٧١ ، ص ٥٠٣ .

الانسان » • والدعوة للعلم والقراءة وهو الجانب المعرفى فى الرسالة أيضا يتحول الى مصدر المعرفة وهو الخالق أكثر من المعرفة وهو العلم مثل « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » • وقد كانت الدعوة الى العمل ظاهرة فى أول الثورة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »(١٧٩) •

وقد بدأ العود الى الايمان منذ الهزيمة فى الستينات • فسبب تقبل الهزيمة كقضاء من الله هو ايمان الشعب وصلابته وسلامة خطه فى النضال وثقته فى مبادئه وفى الله • وقد كان موقف جماهير الشعب فى ٩ ، ١٠ يونيو هو التعبير الحى عن هـذا الايمان بالنفس وبخط النضال وبالمبادىء وبالله • « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » • رسالة الايمان فوق كل شىء ، وهو جزء من التقاليد المتينـة عبر آلاف السنين • لو أراد البشر كلهم أن يصيبوا أى أحد بشىء لا يريده له الله ما أصابوه أبدا • هـذه هى رسالة الايمان فى الدين • اللـه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك عمن يشاء ، ويعز من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير • فالايمان قوة ، قـوة

---

(١٧٩) فى افتتاح الدورة العادية لمجلس الشعب ١٩٧٢/١٠/١٥ س ٢ ص ٤٠١ ، بيان الى الامة ١٩٧٤/٤/٢٩ س ٤ ص ٢٧٦ ، فى الذكرى ٢٢ لثورة يوليو جامعة الاسكندرية ١٩٧٤/٧/٢٧ ، فى عيد العلم ١٠/٦/ ١٩٧٤ ، بيان الى الامة ١٩٧٥/٤/١٤ س ٥ ص ٢٠٠ ، الى مجلس الشعب ١٩٧٥/٥/١٤ ، فى علماء الازهر ١٩٧١/٥/١٦ س ١ ص ٣٠٣ خطـاب لتحديد أهداف الوزارة الجديدة ١٩٧٤/٩/٢٦ س ٤ ص ٦٠٤ ، فى عيد العلم ١٠/١/ ١٩٧٣ س ٣ ص ٣٢٩ ، رسالة الى بعثات الشباب المصرى فى الخارج ١٩٥٤/٢/١٩ جـ ١ ص ٩٨ •

الفرد ، قوة الايمان بالرسالة وبالعقيدة وبالمبدأ ، قــوة الفرد وقوة المجتمع • ومع ذلك فقوة الايمان نابعة من ذات العقيدة وليس من مضمونها المادى الاجتماعى(١٨٠) •

(د) لقيم الروحيــة :

ليس هناك تناقض بين القيم الفكرية أو الروحية والقيم المادية • والتناقض بينهما مفتعل من الذين يريدون تغليب العنصر المادى على كل شىء ومن الذين يريدون الهاء الناس عن الحقوق التى تكفلها لهم الحيــاة • وقد جمع القرآن وما جاء فيه من تفصــيلات مادية عن الحياة والتنظيم والاقتصاد والعمل بين الناحيتين الفكرية والمادية • ومن بين أهداف كل الثورات التقدمية هــو كيف يمكن تحقق الوحدة والتناسق بين القيم الروحية التى تعتز بها الشــعوب وبين أدوات الانتاج المادية والتى لابد لها من السيطرة عليها لتحقق عملية التغيير الضرورية الواجبه فى المجتمع • وقد ظهر موضوع القيم الروحية من قبل فى احدى عبارات الميثاق وهى : « ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » • كما يظهر الموضوع من جديد فى بيان ٣٠ مارس ضمن المهام الرئيسية للمرحلة القادمة العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام

---

(١٨٠) خاطب فى افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة ١٩٦٧/١١/٢٣ جـ ٦ ص ٢٧٠ ، فى عيد العمال ١٩٧١/٥/١ س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، خطاب أمام مجلس الشعب ١٩٧١/٥/٢٠ س ١ ص ٣٢٤ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧٢/٤/١٥ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ .

بالشباب واتاحة الفرصــة أمامه للتجربة • لا يمكن أن تطغى القــوة المادية على شعب أعزل من سلطان الروح • ان موضوع « الاســلام والعصر الحديث » وهــو موضوع المؤتمر الاسلامى بداكار يكشف عن عبقرية الاسلام وآثاره • فقــد دعى الاسلام الى العلم والعمل وحث على التفكير والتدبير منذ خمسة عشر قرنا كما يتضح من مئات الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وجهــود العلماء المسلمين الاولين فى فروع العلم والمعرفة والثقافة والابتكار حتى أنه من الحق أن للعلماء المسلمين الفضل على نهضة أوربا وانتشالها من ظلمات العصــور • لابد من التمسك بالقيم الروحية فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لان تلك القيم من الســمات الاصيلة لحضارتنا ولان المجتمعــات التى تجاهلتها تعرف الشــقاء النفسى وسط الوفرة المادية(١٨١) • ويبرز موضوع القيم الروحيــة كدفاع عن الذات ضد النقيض وهى القيم المادية المقرونة فى ذهن الناس بالالحاد المقرون أيضا بالماركسية والشيوعية • ففى بيان ٣٠ مارس

---

(١٨١) كلمة فى موقع مشترك للقوات المصرية والسودانية بالجبهة ١٩٦٨/٣/١٠ ج ٦ ص ٣٥١ ، خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٣ ، كلمة فى حفل العشاء الذى أقيم تكريما للرئيس السنغالى ليوبولد سيدار سنجور بمناسبة زيارته للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ١ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، بيان ٣٠ مارس ص ٢٥ ، خطاب فى عيد العمال لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٥/١ ج ٦ ص ٥١٣ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى بداكار ١٢/٧/ ١٩٧٢ س ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ ، حديث الى الامة يشرح فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ، ٣٠ مارس ١٩٦٨ ج ٦ ص ٣٧٧ .

توحى احدى نقاطه بالعمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب واتاحة الفرصة أمامه للتجربة •

ويستمر نفس الموضوع ابتداء من ١٩٧١ والحث على التمسك بالقيم الروحية والاخلاقية فى مواجهة الاستمتاع المادى الذى تعرفه مجتمعات الاستهلاك الغنية • وقد كثرت كتابات المنظرين فى أهمية القيم الروحية وأصبحت مزادا علنيا يتبارى فيه كل المتطلعين الى السلطة والساعين وراء المناصب • فالاشتراكية الديمقراطية تهدف الى اعادة بناء الانسان المصرى على أسس سليمة قوامها القيم والروح والوعى وفى ضوء منجزات العصر الذى نعيشه • بل ان أول معلم من معالم الاشتراكية الديمقراطية هو التأكيد على القيم الروحية المستمدة من الاديان السماوية ودون انحراف بها عن مضمونها الحقيقى • وتزايد جامعة الاسكندرية بالتأكيد على ارتباط الانسان المصرى بالقيم الخلقية المستمدة من العقيدة الدينية والروحية وعلى رأسها الطيبة والصبر(١٨٢) • ويوضع نفس السؤال بطريقة أخرى وهى : كيف تستطيع الشعوب أن تنطلق الى آفاق التكنولوجيا الحديثة وفى نفس الوقت لا تدوس على التراث المجيد وهو ما أصبح فيما بعد فى العهد الحالى موضوع العلم والايمان • لهذا يجب الانفتاح

---

(١٨٢) فى عيد العمال ١٩٧٥/٥/١ س ص ٢٤٣ ، ورقة اكتوبر ص ٦٢ ، د. سليمان محمد الطماوى : الديمقراطية والدستور الجديد رابعا : دور القيم الروحية فى المجتمع الجديد ص ٨١ — ٨٣ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية . خطاب أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية فى ١٩٧٧/٥/٢٦ ص ١٠ — ١١ ، ص ١٩ ، فى افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ٧٥/٧/٢٢ س ٥ ص ٤١ — ٤٢ .

على التجارب الانسانية المعاصرة والعلوم الحديثة والتمسك من جهة أخرى بالقيم الروحيــة والمعنوية ، والاخذ بأسباب التقدم المــادى والاعتصــام فى نفس الوقت بالقيم التى تحمى من أمراض المجتمعات المادية الخالية من الروح • ان من علامات البناء الديمقراطى السليم التأكيد على القيم الدينية (بالاضافة الى تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع والسلام الاجتماعى ، والوحدة العربية)(١٨٣) •

٢ ــ الهوس الدينى •

ثم تحولت القيم الروحية فى السبعينات الى نوع من الهوس الدينى شيئا فشيئا ، وانقلبت من قيم خاجية الى قيم داخلية • كمــا ظهرت قيم الطمأنينة الداخلية والشكر لله والتى تجعل ايمان القــائد السياسى أقرب الى الايمان الصوفى منه الى الايمان العلمى • وكان الخيط من الستينات بعد الهزيمة • فقد ظهــرت المعرفة الصــوفية الاشتراكية التى يقذفها الله فى القلب ، واســتقبال الانسان لهــذا الضوء عقلا وقلبا • وقد تحدث بيان ٣٠ مارس من قبل عن النصر العزيز من الله وأن أهم ما حبا الله مصر من نعم لهو شعبها(١٨٤) •

---

(١٨٣) كلمة فى الجلسة الافتتاحية للندوة الدولية عن الفية القاهرة ٦٩/٣/٢٩ ج ٧ ص ٩٧ •

(١٨٤) الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ٧ ، ص ١١ ، فى اللقاء بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ١٩٧٢/٩/١٤ س ٢ ص ٣٥٩ — ٣٦٢ ، خطاب الرئيس فى عيد العمال بحلوان ١٩٦٩/٥/١ ج ٧ ص ١٢٧ ، خطاب فى افتتاح دورة الانعاقد العادى الثانى لمجلس الامة ١٩٦٩/١/٦ ج ٧ ص ٢٠٠ ، بيان ٣٠ مارس ص ١٢ •

واستمر فى السبعينات . فالله هو الوهاب . وتكثر الدعـوات الصوفية مثل « رب اجعل النصر حليفهم والهمنا يا رب الحكمة كما نؤدى لك الامانة عزة لارضنا ، وانتصارا لحقنا وأنت رب العزة ، ورب الحق القاهر فوق عبادك » . كما ينتهى بالدعوات المباركة مثل « بارك الله فى ثورتكم وفى قادتكم ، بارك الله فى سودانكم عزيزا منيعـا قويا شامخا » . أو بالدعاء الدينى مثل « والله سبحانه وتعالى اسأل أن يجعل من هـذا الاتحاد بلدا آمنا مطمئنا وأن يلهمنا الحكمة والرشاد انه نعم المولى ونعم النصير » . وسيكون الوطن عائلة واحدة وبأمر الله وبارادة الله وبنصر الله وبعون الله . والنصر من عنـد الله . وتكثر الدعوات الصـوفية فى المناسبات الدينية أو فى مناسبات الوفاء مثل « ولننتصر بالشهادة والبطولة معـا أطهر الارض وأغلى المقدسات . فأضئ عقولنا يا رب ونحن نتمسـك بحقنا بكل ماضينا من عزة وصلابة » . « ربنا أنك تعلم ما تخفى وتعلن وما يخفى عليك يا رب شىء فى الارض ولا فى السماء فاهدنا يا رب سبيلنا ووفقنـا وانصرنا انك نعم المولى ونعم النصير » . « رب علمت فقدرت ذلـك والقهر وبيدك الخلق والامر فكن معنا يا رب بالقرب » . « ربنـا كن لنا عونا وهدى ، ربنا وبارك لنا فى شـعبنا وفى أمتنا ، ربنـا انك وعدت ووعدك الحق » . « رب طويت من عمرى صـفحات ونشرت اليوم صفحة فاجعل صفحتى هـذه أدعى للخير وأخلى من الشر وزينها بالحق وبرئها من الباطل واجعل فاتحتها وخاتمتها الاخلاص لك والعمل لوجهك » . كل هـذا اليقين الصوفى من أجل تغطيـة دينية لموقف سياسى متزعزع ولنظـام سياسى هش . كما قد تظهر الدعوات فى صورة آيات قرآنية تشـير الى سلامة القلب واطمئنان النفس مثل

« يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى » • فالشعب مؤمن له قيمه ، يؤمن بالوفاء وبكل القيم التى أرادها لهـذا الكون • له ايمانه وما ورثه من رسالات السماء • لقد تم الصـــمود فى السويس بسلاح الايمان • لقد هدم العدو المساجد والكنائس ولكنـــه لم يهدم روح البناء • لم يهـــدم عمق الايمان وصـــدق العقيدة وصلابة الجهاد • لقد تحول ذلك كله الى هوس دينى بحجة الفتنة الطائفية التى أصبحت ذريعة للقتل والتكفير وأحكام الردة والاضطهاد لكل فكر أو معارضة(١٨٥) •

(أ) قيم الايمـــان :

وبقرن الايمـــان بالامل والاصالة والصلابة والامانة قبـــل أن يستقر فى النهاية على شعار العلم والايمان • يقرن الايمان بالامل النفسى دون دلالة معينـــة أو نظرية مجردة • بل مجرد تحـــول من

---

(١٨٥) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف١٥ /١٩٧٢/٤ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ورقة أكتوبر ص ٤٣ ، بيان للامة ١٩٧١/٣/٧ س ١ ص ١٩٨ ، خطاب الى الشعب السودانى الشقيق ١٩٧١/٣/٢٨ س ١ ص ٢٠٤ ، بيان اعلان مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية ١٧/٤/١٩٧١ س ١ ص ٢٢٥ ، فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العـــربى ١٩٧١/٧/٢٣ س ١ ص ٤١٦ ص ٤٢٢ ، خطاب فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ٧٣/١٠/١٦ س ٣ ص ٣٤٥ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٨٢ ، بيان الى الامة ١٩٧٠/٩/٢٨ ، فى جامعة الاسكندرية ١٩٧٣/٧/٢٦ س ٣ ص ٢٨٨ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بأسيوط ١٩٧١/١/١١ س ١ ص ١٣٣ — ١٣٤ •

الخارج الى الداخل ، ومن المجتمع الى الفرد . وحدث نفس الانقلاب فى مفهوم الجهاد ، من جهاد الاعداء الى جهاد النفس .

ويعتمد على الحجج الزمنية فى الدعوة الى الجهاد بمعناه العام الذى لا يعنى فقط الجهاد فى سبيل الله بالقتال بل يعنى الجهاد فى سبيل العلم وخدمة المجتمع . فالجهاد أعظم عبادة لقول الرسول « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع » . وطلب العلم جهاد لقول الرسول « الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » . فالايمان لا يتناقض مع العمل أو البحث أو العلم . فقد وضع الله طلب العلم فى مستوى الجهاد فى سبيل الله وجعله قرينا للايمان بقوله « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . ويقرن بالايمان الاصالة ، فالايمان هو اتجاه الله ، والاصالة اتجاه نحو التراث الحضارى . فأهم صفات هذا الشعب تمسكه بالايمان واعتزازه بالاصالة والايمان نقى خالص برىء من التعصب والمتطهر من الشوائب التى علقت بجوهره فى عصور الاضمحلال البعيد بما ينسب اليه زورا من روح التواكل التى لا تعرف المسئولية والتعلق بالخرافات ونفى دور ارادة الانسان والمجتمع فى أن يواجه أمور حياته المستمرة مستعينا بما أودعه الله فيه من عقل ميزه به على سائر المخلوقات . ولكن شتان ما بين الكلام المعسول والواقع المر ، فقد ازدادت الاضطرابات الطائفية ، كما عمت الروح الاتكالية ، وسادت الخرافة أكثر فأكثر ، وقلت نسبة التفكير العقلانى .

والايمان هو الامانة التى يحملها كل الناس نحو الخالق ، فقد أوصى الله فى كل الاديان بالايمان ، اذ يحتاج الناس فى أشد الاوقات

الى شحن نفوسهم بالايمان ، وعندما يرفض الشعب الهزيمة فانــه يعتمد على الايمان • الايمان اذن سلاح سرى رهيب • ونادرا ما يظهر مضمون الايمان مثل الايمــان بالهدف وبالارض • وغالبا ما يكــون ايمانا دينيا خالصا ، ايمانا بالله وبنصره وقوته وتأييده ، الايمــان هى المسئولية التى أرادها الله أن يحملها للشعب والتى أشفقت منها السماوات والارض والجبــال وحملها الانســان • لقد جاء محمد بالايمان ، وهو أقوى سلاح ليجعل من الامة أمة الايمان • والايمان يعطى القوة(١٨٦) •

أما الاصالة فانها لا تمنع من التجديد ، فقد كان للمجددين فى تاريخ الامــة شأن رفيع • وللامة حق فى التصرف فى أمور الدنيــا • وظروف العصر ليست بأقل من حق الاسلاف العظام الذين جــددوا وابتكروا وتعرفوا فى أمور دنياهم وظروف عصرهم • والتجــديد لا يعنى بالضرورة قطع الجذور عن التراث القومى والحضــارى والروحى للشعب ولا يعنى ذلــك أية رغبة فى التمييز أو الاستعلاء واكن المناطق ذات التراث الحضارى العميق ، طبقا لاستقراء التاريخ لا يمكن بحكم الطبيعة أن تتطمس هويتها تحت أى ضغط • ان الانطلاق من هــذه الجــذور يحمى التنــوع فى الحضارات والشخصيات ويثرى العالم بتعدده ويغنى بتجاربه • بل ان احياء التراث الايرانى القديم عودة الى الاصاله فى حين أن هــذه الاحياء يقوم على أساس عرقى قومى

---

(١٨٦) ورقة أكتوبر ص ٥٩ ، وأيضا فى المؤتمر العاشر للطــلاب بجامعة الاسكندرية ١٩٧٤/٤/٣ س ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ .

ضـــد الشعور الاسلامى العام وضد العرب بوجه خاص(١٨٧) .

ثم يظهر ثالوث آخر يقرن فيه الصلابة بالايمان والاصـــالة ، فيصبح الصلابة والاصالة والايمان . فرسالة محمد رسالة الصلابة فى الحق والتصـــدى للباطل . وابعاد الشخصية المصرية الاصـــالة والصلابة والايمان . فالايمان لا حدود له ، ايمان بالله وبهذه الارض وبكل من عليها ، ايمان بكل القيم التى أرادها الله لصـــلاح هذا الكون، ايمان بالذات وبالنفس عبر آلاف السنين . وابن البلد أو ابن الشارع هـو الذى تتحقق فيه هذه الصفات الثلاث : الاصالة والصـــلابة والايمان(١٨٨) .

(ب) العلم والايمان :

أصبح شعار العلم والايمان شعارا لدولة المؤسسات ابتداء من مايو ١٩٧١ فتذكر ورقة أكتوبر التى تعتبر بديلا عن « الميثاق » شعار

---

(١٨٧) ورقة اكتوبر ص ٦٠ ، وايضـــا فى المؤتمر العاشر للطلاب بجامعة الاسكدرية ١٩٧٤/٤/٣ س ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى استقبال شاه ايران ١٩٧٥/١/٨ س ٥ ص ١٩ .

(١٨٨) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى الذكرى الثانية لوفاة الزعيم جمـــال عبد الناصر ١٩٧٢/٩/٢٨ س ٢ ص ٣٧٢ ، بمناسبة عيد الثورة ١٩٧٣/٧/٢٣ س ٣ ص ٢٤٤ ، الى الشعب المصرى والامة العربية فى افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ٧٥/١٠/١٨ س ٥ ص ١٨ — ١٩ ، خطاب فى مؤتمر البحوث الاسلامية ٧١/٤/٤ س ١ ص ٢١١ — ٢١٣ ، فى عيد العمال ٧١/٥/١ س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبـــوى الشريف ٧١/٥/٦ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى وفد المحامين ٧١/٥/١٤ س ١ ص ٢٩٩ .

رياض وبحث موضوع الدستور • كما حدث اجتماع شعبى آخر فى دار سلطان باشا شهده كبار العلماء والنواب ومعه العرابيون وقاضى القضاة الشيخ عبد الرحمن نافذ والشيخ عبد الهادى الابيارى أمام المعية من أجل الاتفاق على رفض اللائحة والاصرار على رجـــوع عرابى ناظرا للجهادية • وقد مثل الجميع وحدة الامة بطبقاتها المختلفة • واطمأن السلطان على أثر زيارة نظامى باشـــا لشيخ الجامع الازهر ونقيب الاشراف وبعض كبار العلماء وثقاتهم على الجيش وولائـــه للامـــة وللسلطان بالرغم من غياب عرابى فى رأس الوادى • وكان عرابى يتصور الامة أسرة واحدة تربطها روابط الابوة والبنوة والاخوة والقرابة • ويقول فى مذكراته الى محامية « كنت محبوبا عند جميع الشعب المصرى، محبا لخير العموم ، موثوقا بأمانتى وشرفى ، وانه ليس لى غاية شخصية كما يزعم المبطلون بل غايتى الوحيدة هى تحرير بلادى ورفاهية أهلها وتمتعهم بخيرها فى ظل حكومة شورية عادلة تعطى الحقوق لاربابها بدون فرق بين الاهلين والاجنبيين حتى يكون جميع سكان مصر كالواحد بدون فرق بين تعدد المذاهب والاعتقادات اذ الـــكل انســـان تجمعنا جامعـــة الانســـانية » •

وبالتالى تجلت الوحدة الوطنية فى مصر بوجه خاص بين طوائفهـــا الثلاث ، وكان زعماؤها يوقعـــون على المطالب الوطنية ويحضرون اجتماعات ممثلى الامة • فقد وقع شيخ الازهر والبطريك والحاخام على العريضة الموجهة الى الخديوى بالاعتراض على اللائحة التى تعلن افلاس مصر • كما ذهب المفتى الاكبر الشيخ العباسى وشديد بطرس أحد كبار نواب الاقباط مع عرابى لعرض الوزارة على شريف بعـــد استقالة رياض • كما قام الى الخديوى وفد من رؤساء الاديان : علماء

بعد ١٩٧٠ ان العلم هو السلاح الذى لا يستطيع أحد بغيره أن يدخل العصر وأن يبنى مجتمع الاخـاء والعدل ، ويعنى الايمان أنه مصدر الطاقة الهائلة التى يمتلكها هـذا الشعب الاصيل كما أنه مصدر الهداية له على طريقه الملىء بالصعاب والتحديات • وهو الايمان بالله وكتبه ورسله ، الايمان الذى يقيم الحق والعـدل ، الايمان الذى يرفع ألوية الحب والاطمئنان لا ألوية الحقد والتزمت والبغضاء • من الواجب اذن تربية الاجيال الشابة على الايمان وعلى قيمته الحقيقة والحذر من استغلال هذا الايمان أو الانحراف به الذى يدمر جوهره،ويطمس نوره، ويشـوه جماله وجلاله • هذه المحاولة الصبيانية ، محاولة الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية مثل لما يمكن أن تنتهى اليه عمليات الانحراف عن جوهر الدين وعلاقته بالحياة • وهذه هى المسئولية الملقاة على رجال الدين وأجهزة التربية والاعـلام الدينى ووسائل التثقيف العام وهى تباشر دورها فى تعريف الاجيال بدينها واضاءة حياتها بقيمـه الانسانية الرفيعة • ولابد من بناء الانســان الجديد فى اطار الاصالة المصرية وعلى أساس من العلم والايمان • ولابد من بنـاء المجتمع العربى المتقدم بالعلم والايمان • بل ان الشعار يتحول الى أسـلوب للتهنئة • ففى ذكرى المولد النبوى الشريف يقول الرئيس كل عـام وأنتم فى أسمى درجات من العلم والايمان !(١٨٩) •

---

(١٨٩) ورقة أكتوبر ص ٦٢ ، ص ٦٤ ، خطاب أمام مجلس الشعب ٧١/٥/٢٠ س ١ ص ٣٣٥ فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى ٧١/٧/٢٣ س ١ ص ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٤٤٣ ، فى جامعة الاسكندرية ٧٢/٧/٢٧ س ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، فى لقاء بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ٧٢/٩/١٤ س ٢ ص ٣٥٩ — ٣٦٢ ، فى عيد العلم ٧٣/١٠/١ س ٣ ص ٣٢٨ ، الى المبعوثين الحرب ٧٤/٤/٢٦ س ٤ ص ١٩٠ ، الى رئيس تحرير جريدة الحوادث اللبنانية =

وتقوم التنمية العقلية على أساس العلم والايمـــان • فالوطن يحتاج الى أصالة والى كل القدرات على الفكر والعمل المدمج بالايمان واليقين • الهـــدوء فى أعماق النفس يعطيـــه الايمان وحده واليقين يعطيه العلم • ويطالب بتحقيق الشـــعار من عل ، كتوجيه من السلطة التى تطالب بالعلم والايمان • فقـــد أعلن النظام منذ بدايتـــه بأن الدولة دولة العلم والايمان • وقد أصبح ذلك أيضا شعار الاشتراكية الديمقراطية • ويبدو أن شـــعار العلم والايمـــان يرتكز على طرف الايمان أكثر مما يرتكز على طرف العلم • اذ كثيرا ما يذكر الشعار ثم يركز الشرح على الايمـــان • فالايمان شرط العلم • وان أحدث ما فى العلم من تكنولوجيا ولكن بدون الايمان لن يفيد شـــيئا • وفى نفس الوقت وعلى نقيض شعار العلم والايمان نادرا ما تتم الاشـــارة الى المضمون المادى للايمان مثل القوة والاستعداد والسلاح • والقوة تدل على ان الشهادة لا تكفى بل لابد من أحدث أنواع السلاح • والايمان بالله دائما ونادرا ما يكون بالارض والتراث والتاريخ(١٩٠) •

=
٧٤/٤/٢٥ س ٤ ص ٢٤٦ ، حديث مع الصحفية اليوغوسلافية العالمية واريا نكوفتش ٧٣/٥/٢٧ س ٣ ص ١٨٢ ، فى السويس ١٩٧٤/١٠/٢٤ س ٤ ص ٧٠٤ — ٧٠٥ ، الى الندوة الافريقية والآسيوية ١٩٧٥/٣/٨ ص ٩٦ ، المؤتمر الاسلامى فى لاجوس ١٩٧٥/٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(١٩٠) فى الاجتماع الدولى فى القاهرة فى ذكرى باندونج ٧٥/٣/١٣ س ٥ ص ١٩١ ، فى الاتحاد الاشتراكى العربى مارس ١٩٧٦ ص ٦٨ ، فى عيد العمال ١٩٧٥/٥/١ س ٥ ص ٢٤٣ ، بيان الى الامة ١٩٧٥/٤/١٤ س ٥ ، لقاء مع القيادات الدينية ١٩٧٧/٢/٨ ص ١٣ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٧٧/٩/٢٨ الى الشعب العربى والامة العربية فى
=

كما يقترب الايمان بالمعجزات • فقد ظهـرت المعجزات التى يعطيها الله للشعب المؤمن • لقد أرسل الله علامات فى السنوات الثلاث الماضية • بارك فى المحاصيل كمـا لم يحدث منذ ثلاثين سنة • وبدأ البترول يتفجر وهى كلها علامات تشـير الى أن الله مع الشعب ! وردا على سؤال خاص بوقوف جيل الشـباب عند رؤية جديدة وهل كان مخاض الرؤية الالم العظيم بعد ١٩٦٧ أم الايمان بعد ١٠ رمضان أجاب الرئيس : كلاهما • فبدون الايمان ما كان بالامكان ما تم انجازه• فالايمان فعل السحر ونداء المعركة الله أكبر فعلت السحر فى ٦ أكتوبر • ويعطى لحرب أكتوبر الاسم الهجرى العاشر من رمضان للتأكيد على الحرب الدينية ، وتكثر المعجزات بعد حرب أكتوبر فيعبر الرسـول مع الجنود فى القناة والعبور نفسه معجزة(١٩١) •

وقد تم استعمال الدين ضـد المعارضة الدستورية أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية حتى يتم تفريغ الدين من مضمونه وابقائه مجرد صورة أو عاطفة • فتظهر مقولة « المقدس » التى تتحول الى « تابو » فى عقول الناس • فالقضاء حرم مقدس • وفى نفس الوقت

=

افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ٧٥/١٠/١٨ س ٥ ص ١٨ — ١٩ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة المنوفية ص ١٠٠ ، لقاء مع القيادات الدينية ١٩٧٧/٢/٨ ص ١٣ ؛ فى عيد العمال ١٩٧١/٥/١ س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

(١٩١) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، الى مدير جريدة عكاظ السعودية ١٩٧٤/٩/٦ ص ٥٨٠ — ٥٨١ .

بتم التدخل فى القضاء من أجل القضاء على استقلاله(١٩٢) •

(جـ) الدين ضـــد المعارضة :

ويستعمل موضوع الشورى بعد ١٩٧٠ لمهاجمة دكتاتورية الطبقه ومن أجل الدعوة الى الحب ، ولتشويه المعارضة السياسية • وبالرغم من أن ظهور الجماعات الدينية المتطرفة واستعمالها العنف ســواء فى حادث الكلية الفنية العسكرية أو فى مقتل الشـــيخ الذهبى ظهور طبيعى فى هذا الجو المشحون بالعاطفة الدينية ، وبالنداء الى العــودة الى الايمان فان الســلطة السياسية قد وقفت فى وجهها لانها نازعتهـا السلطة وحاولت الانقلاب عليها أو لانها شككت فيها وفى قدرتهـا على الاحتواء • وردا على سؤال عن سبب تعدد ظهور التنظيمات الدينية السرية وعن احتمال وجود محركين من الخارج أو تعاطف مع مسئولين سابقين فى الداخل أجاب الرئيس بأنه نشأت ظاهرة الهيبيز بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن بسبب عمق التدين ظهرت الموجة هنا فى شكل الشـــعوذة الدينية وهو ليس التدين • بالاضافة الى وجود محركين من الخارج • فالذى قام بعمليـــة الفنية العسكرية هو صالح سرية من الخارج • وينحو بعض الائمة هذا المنحى • وهــذا يدفع بعض الشباب للتطرف أحيانا • ولكنها أمور يمكن تداركها بفهم الدين الفهم الصحيح • فالتعصب الدينى رد فعل على التســيب الغربى مضافا اليه العميل الخارجى • وبالتالى فمرده الى الخارج مرتين ، مرة فى نشأته ومرة فى تنفيذه • لقد سيطر عملاء الالحاد والمادية على

---

(١٩٢) خطاب فى لقائه مع رجال القضاء ١٩٧١/١/١٢ س ١ ص ١٤١ •

أجهزة الاعلام فحدث رد فعل صادق ومخلص ومتحمس الى العودة الى رحاب الدين فى الجوامع ! كان ذلك أمرا طبيعيا كرد فعل مضاعف للسيطرة السابقة لدعوة المادية والالحاد . فأراد الاعداء استثمار هذه الظاهرة بل تحول فجأة دعاة المادية والالحاد الى متطرفين فى الدعوة الى الايمان . ان أحداث ١٨ / ١٩ يناير وما وقع من جماعة دينية اتخذت من الدين سبيلا الى محاولة فرض نظام معين أو فرض آراء أو أفكار معينة على هذا الشعب والاعتداء على عالم جليل من علماء الاسلام ستقابل بمنتهى القمع والشدة . فالنظام يعارض الفكرة بالسيف ولا يعارض الرأى بالرأى . فدعاة المادية والالحاد الذين قاموا بحوادث ١٨ / ١٩ يناير وجماعة التكفير والهجرة يغذيان بعضهما البعض ، الثانية رد فعل على الاولى ، فاليمين المتعصب واليسار الملحد يلتقيان . لقد وضحت أحداث ١٨ / ١٩ يناير والاحداث الاخيرة التى أريد بها استغلال الدين لفرض رأى بالقوة على المجتمع ، ان أية محاولة من هذا النوع لا تعود الا الى الاجرام ، فهو عمل غير مشروع تتصدى له المؤسسات والشعب بكل الحسم والعزم . كلاهما أعداء الحرية . فالارهاب الفكرى الماركسى والشعوذة الدينية كلاهما مرفوض من الشعب ورفض استغلال أحداث يناير الفوضوية ورفض كل من ادعى لنفسه حق تكفير الناس وتوسل الى ذلك بالقتل والغى والاجرام . ان أبواب التعبير مفتوحة ولكن القتل والارهاب مرفوض . ليس الدين تعصبا وحقدا واستغلالا من أجل الاغتيالات وحكم الارهاب . وكأن الموضوع القديم فى صراع الثورة مع الاخوان فى أول الثورة فى ١٩٥٤ قد عاد من جديد هذه المرة فى نهايتها مع الجناح الدينى فى الاخوان . فقد كان شكرى مصطفى عضوا فى جماعة الاخوان ثم فصل منها . وقامت الاشتراكية الديمقراطية

على لســـان جامعة طنطا بالتنظير لذلك أيضـــا بأن التراث الدينى هو العنصر الثابت الحضارى اللازم • ثم جاءت الايديولوجيات الاجنبية برمتها فى هذه البيئة ولن يكتب لها النجاح ، وزادت فى ظاهرة الانفصام، وفتحت أبواب التعصب الدينى الذى نشهده فى الشباب والذى يذكرنا بفرقة الخوارج المسلمين(١٩٣) •

وقد انتشرت بعد ١٩٧٠ حمى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية وكثرت المباريات فيها سواء بين الاتجاهات الدينية والاحزاب السياسية فى الداخل أو بين مصر والانظمـــة العربية الاخرى فى الخارج • ويهاجم النظـــام الليبى النظام فى مصر لان ليبيا أخذت نشيد الله أكبر • ولم تأخذ مصر بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى ليبيـــا لا لان مصر ضد الاســـلام ولكن لان ليبيا أصدرت بعض قوانين الشريعة • ويدافع النظام فى مصر عن نفسه بأن الدستور المصرى ينص على أن الشريعة الاسلامية مصدر أساسى للتشريع وأنه ليس هناك خلاف على مبدأ الاخذ بالشريعة الاسلامية ولكن القضـــية عبر أربعة عشر قرنا من تاريخ الاسلام كانت هى اجتهادات المفسرين للشريعة فى كل عصر ، وكان من علامات عصـــور الاضمحلال رضوخ هذه التفسيرات لمفاهيم أصحاب السلطة السياسية •

---

(١٩٣) فى الذكر الثانية لوفاة الزعيم جمال عبد الناصر ١٩٧٢/٩/٢٨ س ٢ ص ٣٧٩ ، حديث لجريدة الانوار اللبنانية ٧٥/٦/٢٢ س ٥ ص ٢٥٥، بمناسبة الذكر السابعة لوفاة ناصر ١٩٧٧/٩/٢٨ ص ١١ — ١٥ ، الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١٢/٩ ص ١٤ ، بمناسبة العيد الفضى للثـــورة ١٩٧٧/٧/٢٣ ص ٣٣ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٧٧/٩/٢٨ ص ١١ — ١٥ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، ر ى جامعة طنطا ص ١٠٢ •

وفى أغلب الاحيان بعد ١٩٧٠ تبدأ الخطب السياسية بعبـــارة « باسم الله » أو « بسم الله الرحمن الرحيم » أو « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وصاحب الذكر الامين »(١٩٤) فى المناسبات الدينية . وغالبا ما تنتهى الخطابة السياسية بعد ١٩٧٠ بآيات قرآنية مميزة على رأسها « ربنا لا تزغ قلوبنا اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » . وهى تشـــير من الناحية النفسية الى قلق وعدم اطمئنان ونقص فى الثقة فى المواقف السياسيه ، ثم تغطية ذلك بطلب الهداية والرحمة ، أمـــام النفس وأمام الآخرين ، وايحاء للناس بأن هناك طريق الصواب وهو طريق الســـلطة ، وطـــريق للخطـــأ وهى طـــرق المعارضـــة ، وان طريق الحكومة بتوفيق وهداية من الله . ثم تتلوها آية « ربنـــا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين »(١٩٥) .

---

(١٩٤) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧٢/٤/٢٥ س ٢ ص ١٧٣ ١٧٦ .

(١٩٥) ذكرت فى عشرة خطب سياسية : بيان فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة ٧٠/١١/١٩ س ١ ص ٦٢ ، خطاب الى مجلس الشـــعب ٧١/٥/٢٠ س ١ ص ٣١٣ (فى أول الخطاب) ، فى لقائه بأعضاء لجنة المائة المكلفة بالاشراف على انتخابات الاتحاد الاشتراكى ٧١/٦/٢ س ١ ص ٥٠١ ، فى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ٧٢/٧/٢٣ س ٢ ص ٣٢٨ ، فى تكريم أبطال حرب أكتوبر ٧٤/٢/١٩ س ٤ ص ٣٩ ، فى الذكرى ٢٢ لثورة ٢٣ يوليو ٧٤/٧/٢٣ ، فى افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧٥/٧/٢٢ ، فى عيد العمال ٧٦/٥/١ ، بمناسبة اعادة انتخاب رئيس الجمهورية ٧٦/٥/١٩ ، امام مجلس الشعب ٧٧/١١/١٦ ص ٣٤ .

حوالى سبع مرات وهى تدل أيضا على نفس الموقف النفسى الذى يعبر عن وضع سياسى قلق ، خاطىء ، ولكن الله يغفر الخطأ ، والخطأ ليس اثما بل نسيان ، والخطأ يعنى العمل فوق الطاقة ، كما يعنى خطأ السابقين وليس اللاحقين ، كما لا يتطلب حسابا من الناس بل مغفرة من الله(١٩٦) •

خاتمـــة :

ويمكن القول أن استخدام ناصر للدين فى المعارك السياسية خضع لقانون الفعل ورد الفعل • ففى المرحلة من ١٩٥٢ — ١٩٥٤ برزت القيم الثورية كمضمون للدين مثل التحرر ، الثورة ، القضاء على الاستعمار ، التضحية ، الجهاد ، العمل ••• الخ • ولكن فى المرحلة التالية ١٩٥٤ — ١٩٥٦ ظهرت قيم أخرى للرد على الثورة المضادة مثل الحب ، التسامح ، التعاون ، الالفة ، الرحمة ، الايمان • فالقيم الثورية الاولى قيم ايجابية فى حين أن القيم الثانية للدفاع عن الذات قيم سلبية • القيم الاولى هجومية والثانية دفاعية ، الاولى تقدمية والثانية تراجعية • ثم ظهرت القيم الثورية من جديد فى ١٩٥٨ بقيام الوحدة بين مصر وسوريا • وأعيد تاريخ العرب

---

(١٩٦) بيان أمام مجلس الامة ٧٠/١٠/٧ س ١ ص ١٢ ، بيان امام مجلس الامة ص ١٦٩ ، حديث فى الاجتماع المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب ٧٥/٩/٤ ، الى الشعب العربى والامة العربية فى افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ٧٥/١٠/١٨ ، فى الذكرى السابعة لناصر ٧٧/٩/٢٨ ، لعمال النقل البحرى يوليو ١٩٧٧ ص ٢٢ ، خطاب فى مجلس الشعب ١٩٧٨/١/٢١ ص ٤٩ •

الماضى الى الاذهان ووحدتهم فى مواجهة الصليبيين والتتار • ولكن فى ١٩٦١ بعـد الانفصال بدأ الهجوم على الاتحاد السورى ، والدفاع عن قيم الدين والايمان والدفاع عن الوحدة الوطنية ضـد مخاطر النعرة الطائفية • ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ • وبرزت قيم ثورية جديدة عن العدالة الاجتماعية والمسـاواة وتكافؤ الفرص • ولكن فى ١٩٦٥ عندما بدأت الرجعية العربية بتطويق النظام الاشتراكى فى مصر بالحلف الاسلامى ظهرت قيم للدفاع هجوما على الحلف وألاعيب الاستعمار • وبعـد هزيمة ١٩٦٧ ظهر رد الفعـل السلبى فى العودة الى الايمان حتى الآن ، وأصـبح الدين سلاحا مشهرا ضـد الناصريين والماركسيين بوجه خاص وضد كل المعارضة السياسية بوجه عام • كان استخدام الدين تابعا لمعارك النظـام السياسية ولم يكن بادئا بأية معركة •

ويمكن ملاحظة أمرين : الاول المعارك السياسية التى لم يكن الدين طرفا فيها ، والثانى كيفية استخدام الدين فى المعارك السياسيه •

(أ) الدين والمعركة ضد اسرائيل :

لم تستعمل القيادة السياسية الدين فى المعركة ضد اسرائيل ، وهى معركة العرب الاولى • وذلك لان اسرائيل لم تكن تمثل تهـديدا مباشرا للنظام المصرى كمـا يفعل الاخوان المسلمون أو الرجعيـة السعودية اليمنية أو الرجعية السـورية بعد الانفصال • كان الدين اذن يستخدم للدفاع عن الذات ولمواجهة أعداء النظام • توجد بعض اشارات عابرة رسمية عن تهديد اسرائيل لشعوب أخرى تقع بين النيل

والفرات حيث تدعى ملكها الموعود ولكن كاشارة عابرة لا أثر لها(١٩٧) • وقد يرجع السبب فى ذلك الى أن اسرائيل ليست مسألة دينيــة بل تأخذ الدين كوسيلة لتبرير وضــع سياسى • ولكن كان يمكن ، والحال كذلك ، استخدام الاسلام أيضا بنفس المنهج كوســيلة للدفاع عن شعب فلسطين • وقد يكون السبب فى المحافل العالمية وكره العرب اللجوء الى الجهاد الدينى حتى لا يوصفوا بالتعصب • ولكن اسرائيل فى حقيقة الامر لا ترى حرجا فى استخدام التوراة كأساس شرعى لاقامة الدولة ولا تتحرج أن تذكر هــذه الحجج أيضا فى المحــافل الدولية • وقد يكــون السبب ، وهو الارجح ، عدم جدية النظم العربية كلها بلا استثناء فى محاربة اسرائيل تخوفا منهــا أو حرصا على كراسى الحكم أو تخليا عن القضية كلها باعتبارها لا تمس مباشرة كل نظام عربى •

وفى مناقشات الرئيس مع أعضاء المؤتمر القــومى طالب محمد أنور عبد اللطيف وكيل وزارة الخزانة فى محافظة الاسكندرية اعتبار المعركة بين العرب واسرائيل معركة دينية وذلك لانها كذلك بالفعــل عند الشعوب العربية الاســلامية • وبذلك يكــون الدافع الرئيسى لدخولها ضــد الصهيونية هو القتال فى سبيل الله وليس فقط تحــرير الارض خاصة وأن العدو المغتصب يعتبرها معركة دينيــة ، ويعبىء لهــا جميع اليهود فى مختلف أنحاء العالم بكامل قدراتهم وامكانياتهم •

---

(١٩٧) خطاب فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر نصرة الشعوب العربيــة بالقاهرة ١٩٦٩/١/٢٥ جـ ٧ ص ٤٠ ، أنظر أيضا فلسطين الامانة الغالية النشرة التوجيهية (٨) الازهر مجمع البحوث الاسلامية الادارة العامة للوعظ والارشاد ، المكتب الفنى ، ١٩٦٩ •

الثورية والذى ارتبطت باسمه الثورة فى أذهان الناس • ثم اصطدمت بمجموع المثقفين فى مارس ١٩٥٤ وبجميــع طوائفهم الذين وفضــوا التضحية بالحرية وبالدستور فى سبيل النظام العسكرى بالرغم ممــا أصدره من قوانين ثورية مثل قانون الاصلاح الزراعى ، وتحويل مصر من ملكية الى جمهورية • كما اصطدمت بعد الهزيمة بالجماهير التى ثارت على أحكام الطيران ، هذه الجماهير التى كانت تعانى من مرارة الهزيمة واهمال القادة • وكان من الطبيعى بعد اختفاء القيادة الثورية فى مصر أن تصطدم الثورة المضادة بالجماهير الشعبية فى ثورة ١٨ / ١٩ يناير ١٩٧٧ التى عبرت من خلالها عن رفض المجتمع الطبقى ، وطالبت بحق الفقراء فى أموال الاغنياء ، ورفضت مظاهر الزور والبهتان فى أجهزة الاعلام • وبالرغم من الــولاء العاطفى للجماهير كلهــا للزعــامة الثــورية المثــلة فى ناصر الا أن الحشــد التلقــائى دون حزب أو تنظيــم يــكون عصبا لــه سرعــان مــا ينتهــى بانتهــاء الزعامة الثورية التى كانت الضمان الوحيد لوجوده • صحيح أن الزعامة الثورية أدركت بعد الهزيمة خطورة الموقف وضرورة اقامة تنظيم طليعى يكون عصب الجماهير ومحركها ولكن بعد فوات الاوان • اذ اختفت القيادة الثورية وحلت محلهــا الثورة المضادة التى اعتبرت هذا التنظيم مركزا من مراكز القوى وقضت عليها ، وأصبح ولاء الجماهير الظاهرى للسلطة تحكمه أجهزة الاعلام التى استطاعت تزييف الوعــى القومى وتغييبه تماما لدرجة الخيانة القومية فى وعى كل مواطن دون أن يشعر بها ، واحساسه بالقضية الوطنية على أنها لقمة العيش ، وبالاستقلال الوطنى للبلاد على أنه منحة عشرة أيام ، وبالكرامة الوطنية على أنها زيادة فى الدخول وحرية الكسب ، وكأن الوطنية تباع وتشترى فى سوق العمالة • لاحل للثورات العربية الآن الا بنهضة الشارع العربى كمــا

ولكن الرئيس أيضا لا يرد(١٩٨) • وردا على سؤال عن احتمال قبول اسرائيل عودة أعداد كبيرة من العرب الى أراضيهم وهى الدولة التى أنشأت نفسها أساسا على أنها دولة يهودية يسودها اليهود يجيب الرئيس بأن ذلك ممكن • فقد عاش اليهود والعرب مسيحيين ومسلمين منذ آلاف السنين • عاش اليهود فى مصر ومازالوا يعيشون وعلى الرغم من الدعاية فى الخارج ضد مصر فان اليهود يعيشون فى سلام • لقد طلب البعض منهم مغادرة البلاد فتمت الموافقة على طلبهم ولكنهم عادوا ورفضوا المغادرة وآثروا البقاء • لقد قبض على حوالى ٨٠ يهوديا بعد الحرب ثم افرج عنهم ولكن قبض أيضا على مسلمين ومسيحيين لدواعى الامن فى البلاد • واسرائيل تعتقل حاليا أكثر من سبعة آلاف عربى من الاراضى المحتلة وغزة • ان الجالية اليهودية فى مصر حوالى خمسة آلاف وتعيش كما كانت تعيش فى سلام منذ آلاف السنين • ويدل على ذلك أيضا جمع العرب واليهود معا تحت ظل الشعوب السامية وبالتالى فالتشابه بينهما أكثر من الخلاف • فاليهود ساميون مثل العرب ، وموسى مولود فى مصر ، فكيف يكون العرب معادون للسامية وهم ساميون • ينظر شعب مصر الى اليهود فى مصر على أنهم مصريون • كما يشعر اليهود فى الدول العربية أن الانسب لهم البقاء فى الدول العربية التى عاش أباؤهم وأجدادهم فيها آلاف السنين دون تفرقة على أن يهاجروا الى دول أخرى(١٩٩) •

---

(١٩٨) مناقشات دور الانعقاد الاول للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ١٤ — ١٩٦٨/٩/١٨ ص ٥١٣ — ٥١٤ ، كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/٢٣ ج ٦ ص ٥٢٤ — ٥٢٥ •

(١٩٩) حديث الى كليفتون دانيال مدير تحرير نيويورك تايمز فى ١٩٦٩/٤/٢٩ ج ٧ ص ١١١ — ١١٢ ، حديث مع س • ل سولز برجر رئيس تحرير نيويورك تايمز ١٩٦٩/٢/٢٦ ج ٧ ص ٦٦ — ٦٧ •

ويظهر الاسلام فى مواجهة اسرائيل، ومن أجل نصرة شعب فلسطين مرة واحدة فى كلمة لاعضاء مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة فى اجتماع لنصرة العروبة والاسلام والحق . فقد حث القرآن على التجمع والاتحاد وعلى التضامن فى سبيل رد البغى والعدوان . وان هذا الاجتماع بمثابة خطوة من خطوات التضامن ، فالعدو ليس اسرائيل وحدها بل من وراء اسرائيل الذى يتمثل فى الاستعمار العالمى . يقوم المسلمون بجهد أقل مما تقوم به اسرائيل بالنسبه الى جمع الاموال . وعلى الامة العربية والشعوب الاسلامية واجب كبير وهو تعبئة الرأى العام فى البلاد الاسلامية وفى جميع أنحاء العالم ، وتعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودى الصهيونى لان اسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحى حينما احتلت أرض فلسطين ولكنها طردت المسلمين والمسيحيين . وهناك أكثر من مليون لاجىء فلسطينى بينهم المسلم والمسيحى . لابد من عمل المسلمين ، كل فى وطنه ، من أجل مناصرة القضية . ففى كل بلد لجنة يهودية أو لجنة صهيونية تعمل بكل الوسائل وتجمع الاموال . والمال القليل فى البداية يكون كثيرا فى النهاية . وبهذا يمكن مساعدة الشعب الفلسطينى ومواجهة اسرائيل والمساعدات التى تأخذها . وسيعز الله العروبة والاسلام ويمكن المسلمين من تخليص الاراضى المحتلة واسترداد حقوق شعب فلسطين . فالشعوب المسلمة شعوب مؤيدة للحرية ، لا فرق فى ذلك بين دين ودين . ويظهر الاسلام أحيانا متفرقة فى مواجهة اسرائيل ، فتحرير الارض واسترداد الحق حتمية مقدسة ، وجزء من الايمان الكلى ابتداء من الايمان بالكرامة والشرف وارتفاعا الى الايمان بالله وبمشيئته . وكما تذكر القدس ويذكر المسجد الاقصى أمام ضم اسرائيل للقدس ويندد بحرق المسجد الاقصى وتوقف حرب الاستنزاف فى العطلة الدينية يومين أو ثلاثة ولكن يظل الدين خارج

المواجهة الشاملة(٢٠٠) •

وفى اجتماع لمؤتمر البحوث الاسلامية أعلن قراراته ، وحث على مناهضة الصهيونية ستار الاستعمار الجديد ، وبين أن التخلف عن هذا الجهاد عصيان واثم كبير • وبعد ١٩٧٠ تستمر الدعوة فى التعايش السلمى بين المسلمين والمسيحيين من ناحية واليهود من ناحية أخرى من مركز الضعف وليس من مركز القوة ومع الاعتراف باسرائيل كدولة صهيونية • فالتاريخ يشهد بأن اليهود قد عاشوا تحت سقف واحد مع الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين • ويظهر التاريخ مما لا يدع مجالا للشك أن اليهود عاشوا قرونا طويلة فى ظل الحكم العربى دون أى تفرقة أو تمييز سواء فى الشرق الاوسط أو أفريقيا أو أوربا • لقد شهدت مصر مسيرة المسيح ، واحترمت المبادىء التى كافح من أجلها • وستظل تستقبل بالترحاب هؤلاء الذين يتبعون تعاليمه ويقيمون بما دعا اليه احلالا للسلام فى ربوع أرض المسيح(٢٠١) •

ويبرز موضوع القدس خاصة بعد حرق المسجد الاقصى ، فالقدس أولى القبلتين ليست ملكا لفرد بل ملكا للجميع • وتساوى القدس

---

(٢٠٠) خطاب فى افتتاح دورة الانعقاد العادية لمجلس الامة ١١/٦/١٩٦٩ ج ٧ ص ١٩٩ ، ملخص لحديث الرئيس فى الجلسة الخاصة للهيئة البرلمانة لمجلس الامة ١٩٧٠/٣/٢٤ ج ٧ ص ٣٢٦ ، حديث مع جيمس روستون رئيس تحرير نيويورك تايمز ١٩٧٠/٢/١٣ ج ٧ ص ٢٩٦ ، الاهرام فى ١٩٦٤/٤/٦ .

(٢٠١) كلمة فى أعضاء مؤتمر البحوث الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٠/٣/٥ ج ٧ ص ٣١٨ ، حفل العشاء الذى أقيم للرئيس نيكسون فى قصر القبة ١٩٧٤/٦/١٢ س ٤ ص ٤٠٨ ، الى مؤتمر كنائس الشرق الاوسط وافريقيا ١٩٦٤/٦/١٩ ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

عقل الثورة وفكرها . فالدولة تحتاج الى فكر وقوانين كما تحتاج الثورة الى وجدان وفورة . هناك محاولات الحسن بنى صدر لاقامة اقتصاد « توحيدى » ، وكتابات على شريعتى ، ومؤلفات بازر كان وطالقانى ولكنها مازالت لا تكون فكر الثورة . ويعطى الائمة ، وعلى رأسهم الخمينى ، الفقة الجعفرى التقليدى الذى يشمل أحكام العبادات والمعاملات مع التركيز على أهمية الاجتهاد دون التقليد ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى بعض المسائل المستحدثة مثل البنوك والفوائد وأشكال البيوع المحرمة ومقاومة الاستعمار والصهيونية كما يفعل الامام الخمينى فى « تحرير الوسيلة » وفى ملخصه « من هنا المنطلق » . ولكن الفقة وحده ليس فكرا ، فالقانون يقوم على الفكر ولايمكن تطبيقه آليا دون نظرية فى القانون أى دون أساس نظرى ووضعى له . والقانون فى نهاية الامر تعبير عن وضع سياسى واقتصادى وليس مجرد تطبيق الشريعة تحت أى ظروف ودون اعتبار لتكوين المجتمع وللمرحلة التاريخية التى يمر بها .

وبالاضافة الى ضرورة وجود الفكر كحلقة متوسطة بين وجدان الشعب وارادة القيادة لابد من وجود المؤسسات : المجلس النيابى ، القضاء ، الجيش ، الشرطة ، الصحافة . وأن الثورة بعد انتصارها لايمكنها أن تمارس سلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية فى آن واحد الا كمرحلة انتقال قبل بناء الدولة . ولكن اذا استمرت هذه المرحلة طويلا فانه يخشى على الثورة من قيادتها وارادتها الثورية ، كما يخشى على الثورة من الشعب وفصائله المسلحة . فيحدث تنازع فى السلطات بين القيادة والشعب نظرا لوجود سلطتين : سلطة القمة وسلطة القاعدة ، ودون أن يحكمها قانون أو تعبر عنهما مؤسسة

على الجزء العربى من القدس • فالقدس مدينة مفتوحة ملتقى الاديان الثلاث • ولن يكون هنـــاك أحد فى العالم العربى أو الاسلامى يقبل سيادة اسرائيل على الجزء العربى من القدس • لقد طالب المسيحيون عندما سلمت القدس الى عمر بن الخطاب أن تبقى القدس عربية • فعندما وصل عمر الى القدس سلمه البطريرك صفرونيوس مفاتيحها • وهو تقليد متبع ، وطلب منه ألا يقيم أى يهودى فى المدينـــة • هذه واقعة تاريخية تؤكد ضرورة السيادة العربية على الجزء العربى من القدس • ثم بعد ذلك يمكن حدوث التقاء بين الجزء العربى والجزء اليهودى فى القدس(٢٠٢) •

ويظهر موضوع السلام لاول مـــرة فى ١٩٦٩ بالتأكيد على أن الحرب ليست للحرب كما هو مذكور فى القرآن « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم »• فالعرب ليســـوا طلاب حرب بل طلاب سلام قائم على العـــدل لان السلام لابد وأن يقوم على العدل • لا يريد العرب الا حقوقهم التى كانت لهم دائما على مر الســـنين • وهم يعملون من أجل الســـلام ويجنحون له كما طلب الله ذلك فى القرآن • ولكن فى نفس الوقت يستعدون للقتال لتحرير الاراضى وهى أيضا من الوصايا التى أوصى

---

(٢٠٢) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧٢/٤/١٥ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ، خطاب فى ١٩٧٢/٧/٢٣ س ٢ ص ٣٢٨ ، الى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور ١٩٧٤/٦/٢٣ س ٤ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ، حديث الى سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية س ٤ ص ١٠٦ ، استقبال شاه ايران ١٩٧٥/١/٨ س ٥ ص ١٩ ، حديث للتليفزيون الامريكى سى بى أس فى برنامج واجه الامة ١٩٧٧/١١/٢٨ •

الله بها فى القرآن • تهدف المبادرة الى بناء السلام على الارض ، على كل أرض الله • والدعوة للسلام ليست التماسا للامان خوف الهزيمة بل أداء للرسالة القومية ولتعاليم الدين وكل الاديان • وقد تمت رحلة السـلام فى يوم العيد الاسلامى الكبير عيد الاضحى المبارك والفداء حين أسلم ابراهيم جد العرب واليهود وحين أمر الله وتوجه اليه بكل جوارحه لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده بدافع من ايمانه الراسخ الذى لا يتزعزع بمثل عليا تغطى مغزى عميقا • ولا يعنى الرئيس ابن ابراهيم هل هـو اسحق كما تقول التوراة أو اسماعيل كما يقول القرآن حتى يتحاشى الخلاف الدينى وهو يمهد للوفاق السياسى ويقدم رسالة السلام من شعب لا يعرف التعصب والذى يعيش أبنـاؤه مسلمين ومسـيحيين ويهود بروح المودة والحب والتسامح • ويستشهد بآيات السلام فى العهد القديم مثل قول سليمان الحكيم « الغش فى قلب الذين يفكرون فى الشر أما المبشرون بالسلام فلهم فرح » • ويقول داود فى المزامير « اليك يا رب أصرخ ، اسمع صوت تضرعى اذا استغثت بك ، وارفع يدى الى محراب قدسك • لا تجذبنى مع الاشرار ومـع فعلة الاثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم • أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم • أطلب السلامة وأسعى وراءها » • وكذلك قول زكريا « لقمة يابسة ومعها سلامة خير من مبيت ملىء بالذبائح مـع الخصام »(٢٠٣) •

---

(٢٠٣) خطاب أمام مجلس الشـعب ١٩٧٧/١١/٢٦ ص ٨ ، الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ٤١ — ٥٩ ، خطاب الرئيس فى الجلسة الختامية للدورة الثانية للمؤتمر القومى ١٩٦٩/٣/٣٠ جـ ٧ ص ١٠٤ ، كلمة فى أعضاء مؤتمر البحوث الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٠/٣/٥ جـ ٧ ص ٣١٨ .

وبالرغم من هجوم الانظمة العربية المعروفة باسم جبهة الرفض لمبادرة السلام فان الاسلام لم يستخدم من أى من الجانبين لتبرير موقفهما كما كان الحال فى معركة الاسلام والاشتراكية • مع أن اتهام النظـام العربى بالعمالة والخيانة والاستسلام والتصفية يحتاج الى دفاع بجميع أنواع الاسلحة المتاحة وعلى رأسها الدين • فلمواجهة الخصوم تستعمل نفس أسلحة الخصوم • ولما لم يستعمل الخصـم سلاح الدين كما استعملته الرجعية العربية فى الهجوم على النظام الاشتراكى فى مصر فان النظـام فى مصر لم يستعمله أيضا • فالدفاع عن النظام باسم الدين لا يحدث الا بعد الهجوم على النظام باسم الدين • وليس فى معركة الانظمة أولويه على الاطلاق • ومع ذلك هناك حالات قليلة يتم فيها الاستشهاد بآيات السلام وكره القتال مثل : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ، وابراز ايمان الاسلام برسالات السماء كلها « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٢٠٤) •

ومنذ الستينات ، وردا على سؤال عن معنى الامة العربية هل هو المشـاركة فى اللغة أم فى الثقافة أم فى التاريخ أم فى الدين أم فى الجنس وعن معنى العربى أجاب الرئيس بأن الامة العربية تكونت على مر عصور طويلة ولم تتكون فجأة وأن القومية العربية فكرة قبل الثورة • فقد كانت الامة العربية دولة واحدة فى أزمان غابرة وتوحدت

---

(٢٠٤) فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٦/١٠/١٩٧٣، فى الكنيست ٢٠/١١/١٩٧٧ •

نتيجة لظروف كثيرة • يشـــعر كل أبناء الامة العربيـــة بأنهم عرب من العراق الى المغرب • وهذا طبيعى فقد جمعتهم الحضارة والثقافة والمحن والازمات • وهنا تتحدد القومية العربية باستثناء عامل الدين • ثم ردا على سؤال عن امكانية أن يكون المرء عربيا مسيحيا أو يهوديا وليس بالضرورة مسلما أجاب الرئيس بأن الاديان الثلاثة قامت فى المنطقة العربية • فقد ولد موسى فى مصر وعيسى فى فلسطين ومحمد فى الجزيرة العربية • وهو ما يؤكده الميثاق أيضا فى عبارة « ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان • وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليهـــا رسالات السماء » • ولم يوجد فى يوم من الايام أى فرق بين العربى المسلم والعربى المسيحى والعربى اليهودى • فقد عاش المســـلمون والمسيحيون واليهود جنبا الى جنب فى هذه المنطقة من العالم قرونا طويلة دون أية خلافات حتى أتت الخلافات الاخيرة بين اليهود من جانب وبين المسلمين والمسيحيين من جانب آخر فى فلسطين بســـبب انشاء وطن قومى لاسرائيل • وردا على سؤال عما اذا كانت فلسطين أرضا عربية وما مصير اليهود الذين يسكنون فى هذه المنطقة وقد أقاموا دولة عبرية أجاب الرئيس بأن فلسطين كانت دائما أرضا عربية منـــذ قرون عدة ، وكان يسكنها المسلمون والمسيحيون واليهود • ثم بدأت المشاكل بعد الحرب العالمية الاولى حينما صمم اليهـــود على اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين • وتأزمت المشكلة فى ١٩٤٨ • بعد الحرب العالمية الاولى كانت نسبة اليهود ٨٪ زادت بعد الحرب العالمية الثانية الى حوالى ٣٠٪ • وعندما بدأت الحرب سنة ١٩٤٨ بعد التقسيم وبعد أن حاولت اسرائيل أن تستولى على الدولة الفسطينية طرد العـــرب سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين من أرضهم • والمطلوب الآن تطبيق قرارات الامم المتحدة وعودة العرب الى بلادهم حتى يعيشوا جنبا الى جنب مع اليهود وأن يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود كما كانوا

فى الماضى . وقد قال الزعماء الفلسطينيون انهم على استعداد لان يعيشوا فى فلسطين مع الاسرائيليين كما هم اليوم أى أن يعيش المسلمون والمسيحيون مع اليهود ولكن الاسرائيليين يصرون على التخلص من الفلسطينيين وعلى أن يقيموا دولتهم على أساس اليهودية ، وينظرون الى اليهودية لا كعقيدة فحسب بل كقومية . ولو حدث أن أقام المسلمون دولة على الاسلام والمسيحيون دولة على المسيحية والبوذيون دولة على البوذية فسوف تنشأ فى كل مكان أعمال تنم عن التعصب(٢٠٥) . فالملاحظ أن تناول الدين واسرائيل لم ينشأ الا بناء على حديث وسؤال من الآخر ولم يكن أساسيا من وضع الذهن .

وبالرغم من عدم استناد القومية العربية فى الثورة الى الدين صراحة الا أن المنظرين رغبة فى المزايدة ، تحدثوا عن الاصل الدينى لمفهوم الوحدة العربية خاصة فى فترة الاصلاح الدينى وبوجه أخص عند الكواكبى وابتداء الانتقلال عن الامبراطورية العثمانية . ويصبح الدين مباشرة أو من خلال اللغة العربية عاملا من عوامل الوحدة الروحية فى القومية العربية . فالاسلام ركن فى القومية العربية ، وله دور حضارى . بل ان الاسلام هو خالق الامة العربية(٢٠٦) .

---

(٢٠٥) حديث الى مسيو تسوفيل المعلق السياسى للتليفزيون الفرنسى ٦٩/٤/٢٩ جـ ٧ ص ١٢١ — ١٢٢ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، حديث الى وليم توهى ورولاند ايفانز مدير تحرير لوس انجلوس تايمز لشئون الشرق الاوسط ١٩٧٠/٢/٣ جـ ٧ ص ٢٩٥ ، استبعاد محاولة تأسيس الوحدة على الدين الاسلامى ، أنظر د. يحيى هويدى الفلسفة والميثاق ص ٨٠ — ٨١ .

(٢٠٦) د. صوفى ابو طالب : دراسات فى القومية العربية جـ ١ الدولة القومية ص ٦ جـ ٢ أسس القومية العربية ص ٣٧ — ٥٣ جـ ٢ الحركة القومية العربية ص ٧ — ١٥ .

ولم يستخدم ناصر الدين من أجل معركة ١٩٥٦ • وخطابه المشهور فى الازهر « سنقاتل ••• سنقاتل » لم يشر الى الدين فى شىء مما يدل على أن المعارك الوطنية الواضحة لم تكن بحاجة الى أدلة وبراهين ولم يكن فيها هجوم من الخصوم أو دفاع من الانصار • وهذا يدل على أن الدين لم يكن عاملا مقصودا للتنمية بل كانت تفرضـــه الظروف والاوضاع السياسية •

ولم يستخدم الدين فى المعارك الداخلية من أجل تذويب الفوارق بين الطبقات • وقـــد كانت هناك فئات معارضة للاصــــلاح الزراعى وللتأميم ولقرارات يوليو الاشتراكية والتى من أجلها تم تشكيل لجنة تصفية الاقطاع • ولو كان ناصر يريد استخدام الدين كوسيلة لتثبيت دعائم النظام الاشتراكى لفعل ذلــك وهو بصدد البناء الاشتراكى داخل مصر • ولكنه استعمله فقط ردا على هجوم الانظمة الرجعية العربية من الخارج على نظامه • وبالتالى يصبح الموضوع استخدام الدين دفاعا عن النظام السياسى وليس استخدام الدين من أجل البناء الاشتراكى الداخلى للبلاد • ويتضـــح ذلك فى سؤال الشيخ عاشور المشهور عن شد الحزام على البطون ، ولماذا يتم الشد على الشعب الفقير دون القادة الاشتراكيين المترفين ؟ ويتجاهل الرئيس السؤال ويرد على السؤال الثانى عن الاثارة الجنسية والمينى جيب والتربية الدينية • بل ان السؤال الاول يحذف كلية من الجلسة الثانية الطارئة للمؤتمر القومى العام(٢٠٧) •

---

(٢٠٧) كلمات الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٣/١٢/١٣ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ •

وفى السبعينات لم يستعمل الاســـلام لخدمة سياسة الانفتاح الاقتصادى وذلك لعدم الحاجة اليه • وذلك أن الانفتاح يعبر عن رغبة الطبقات الحاكمة فى الاثراء السريع ورغبة الطبقات الشعبية فى الغذاء • هذا بالاضافة الى أنه لم تنشأ مقاومة لسياسة الانفتاح فى الداخل أو فى الخارج تستعمل سلاح الدين للهجوم عليه حتى يمكن استعمال نفس السلاح فى الرد •

كما لم يدخل الاسلام كعامل رابط بين شعوب آسيا وأفريقيا ، وكدافع للحركة الاسيوية الافريقية • لم يذكر الاســـلام الا مـــع باكستان ، ولم يذكر مع الهند أو أندونيسيا أو ماليزيا(٢٠٨) • كما لم يدخل الاســـلام فى السياسة الخارجية الرسمية المعلنة مثل سياسة عدم الانحياز وسياسة الحياد الايجابى مع أنه يمكن فعل ذلك بسهولة لما عرف عن الاســـلام من أنه « لا شرقية ولا غربية » لو شاءت القيادة السياسية وأعطت اشارة البدأ لرجال الدين ومنظريها السياسيين •

(ب) الدين ومعارك التنمية :

لم يستخدم الدين كعامل للتنمية بل استخدم كوسيلة للدفاع عن النظام الاجتماعى وتغيراته الثورية ضـــد الهجوم عليـــه بنفس السلاح من النظم الرجعية المجاورة • فهو ســـلاح مفروض على القيادة السياسية ، للدفاع عن تغير حدث بالفعل ولتجريد المعسكر المعارض من أمضى ســـلاح معه وهـــو سلاح الدين أمام الجماهير ، واعادة تصويبه اليه • وبالتالى فان حجة استخدام الرجعية لسلاح الدين

---

(٢٠٨) خطاب أمام ملك ماليزيا لم يذكر فيه الاسلام جـ ٥ ص ٢٥٨ — ٢٦٠ •

حجة واهية لان ناصر يستخدم الدين فى مقابل ذلك لخدمة التقدم • فالوسيلة واحدة وهو الدين • والغاية مختلفة ، التقدم ضد الرجعية ، وكأن الموضوع أصبح مشكلة تفسير وتأويل للنظام الاجتماعى ومصلحته • لم يكن الدين عاملا من عوامل التنمية بمعنى أنه لم يكن البادىء بالتغير الاجتماعى • كانت الثورة هى البادئة ثم يأتى الدين كمبرر لقرارات الثورة وكسلاح فى معاركها اذا ما بدأ الهجوم عليها • كان الدين مثله مثل الفن والفكر والثقافة وكل نشاطات الذهن الانسانى فى تاريخ الثورة المصرية • يستعمل الدين كسلاح للدفاع حسب الظروف بصرف النظر عن التناقضات فى المواقف • فسلاح الالحاد الذى تشهره الرجعية العربية فى وجه النظام الاشتراكى الثورى فى مصر هو نفس السلاح الذى تشهره مصر فى وجه النظام البعثى فى سوريا بعد الانفصال وتحول سوريا ابتداء من ١٩٦٤ الى نظام أكثر جذرية ، وتأكيد الثورة المصرية على قيم الايمان •

وفى نفس الوقت الذى تنقد فيه الثورة المصرية استخدام الدين لاغراض سياسية كما تفعل الرجعية العربية تقوم الثورة المصرية أيضا باستخدام الدين لاغراض سياسية اما للدفاع عن نفسها ضد الرجعية العربية أو البعثية السورية • ففى الستينات تستعمل الثورة المصرية القومية العربية من أجل تحقيق الوحدة العربية وتفسر الحروب الصليبية على أنها حرب ضد القومية العربية دون استخدام الاسلام، فى حين أنها فى حرب اليمن تستخدم الاسلام من أجل التأكيد على الوحدة بين الشعبين • فمع سوريا تظهر العلمانية ومع اليمن يظهر الاتجاه الاسلامى • وفى السبعينات تهاجم القيادة السياسية جماعة التكفير والهجرة وأنها نصبت نفسها حكما على ايمان الناس ثم تقوم هى نفسها بذلك فى اتهام المعارضة بالالحاد والشيوعية والحكم عليها

بانكار رسالات السماء • وبالرغم من رفض الدخول فى قلوب الناس والتفتيش فى الضمائر والهجوم على التكفير والهجرة والاستشهاد بآية « لا اكراه فى الدين » الا أن ما يفعله النظام بالهجوم على الخصوم السياسيين واتهامهم بالالحاد وقوع فى تناقض(٢٠٩) •

وفى السبعينات أيضا يصل الامر بالسلطة السياسية الى حد النفاق وذلك بنفيها استخدام الدين لاغراض سياسية وهى لا تفعل الا هذا ضد خصومها السياسيين • بل أن السلطة ترى أن من علامات عصور الاضمحلال رضوخ التفسيرات الدينية لمفاهيم أصحاب السلطة السياسية لان السلطة فى نفس الوقت تأخذ الدين كعامل فى الخداع الاستراتيجى • فقد كانت تعطى السلطة للصحف أمرا لكى تنشر فى أجزاء متفرقة من الصحف ، آيات قرآنية أو شيئا انفعاليا لتحميس الناس • أعطت السلطة للصحف أمرا باخراج آيات القتال كلها من القرآن من أجل تسخين الجبهة • ولما كان كل طرف يستخدم الدين لصالح نظامه السياسى والاجتماعى فان صراع التغير هو فى حقيقة الامر صراع اجتماعى سياسى • ولا يحسم الصراع صحة تفسير عن غيره بل حجم قوة كل طرف من الاطراف المتصارعة • فاختلاف وجهات النظر بين التفسيرات هو فى الحقيقة صراع الانظمة السياسية المختلفة أو للقوى الاجتماعية داخل النظام الواحد فى صورة بناء فوقى وهو الدين • وبالرغم من الخطابة السياسية التى تستعمل الدين وفقا للظروف فانه يتم الاستشهاد بآية « وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » • وبالتالى لم تتجاوز الخطابة ، ولم

---

(٢٠٩) الى المؤتمر الاسلامى فى الهند ١٩٧٥/٤/١٩ •

تحدث أى أثر . وبالرغم من معرفة بتر النصوص ولويها كما هو الحال فى « ولا تقربوا الصلاة » الا أنه تم انتقاء الآيات التى تؤيد الموقف السياسى وترك غيرها (٢١٠) .

وبصرف النظر عن تطبيق أية نظرية فى علم الاجتماع الدينى لمعرفة الصلة بين الدين والسياسة فى الثورة المصرية سواء دوركايم أو ماكس فيبر أو غيرهم من منظرى علم الاجتماع الدينى الا أن الخطاب السياسى للقادة لم يتجاوز الامر أكثر من الوعظ الدينى السياسى لنظام يريد الابقاء على نفسه فيلجأ الى الجماهير بأسلوب ديماجوجى . لذلك ظلت الجماهير فى محافظتها وتهاوت الزعامات وظل سلاح الدين باقيا فى يد كل سلطة تشهره ضد خصومها فى الداخل والخارج . لم يتحول الدين الى تصور للعالم ولم يصبح تراث الشعب الدينى أيديولوجية سياسية يعبر عن ثقافته الوطنية . وكما كان كل نقد اجتماعى لابد وأن يبدأ بنقد الدين . وكانت المعارضة هى القائمة بمهمة النقد سيظل الدين فى أيدى السلطة القائمة ما لم يتم تجريدها من السلاح باعادة تفسير الدين وهو تراث الشعب والمخزون النفسى عند الجماهير دفاعا عن مصالح الاغلبية .

---

(٢١٠) الى مجلس الثورة الليبى ١٩٧٤/٥/٧ ص ٣١٣ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ص ٤٢ — ٤٣ ، حديث الى سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية /٧٥/٣/١٩/ ص ١٠٥ س ٥ ، فى الجامع الازهر مبناسبة عيد الثورة الثانى ١٩٥٤/٧/٢٢ جـ ١ ص ١٧٣ ، لضباط وجنود القوات الجوية ١٩٧٥/٤/١٩ .

أثر العامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر

أولا : مقـــدمة :

أكد بعض الباحثين الوطنيين بصورة قاطعة ، وهم بصدد تحليل التطور الاجتماعى فى مصر منذ ١٩٥٢ ، أن الاشتراكية التى كانت أهم معالم هذه التجربة فى الستينات كانت استمرارا لحركة الاصـــلاح الدينى التى بدأت فى القرن الماضى وتطبيقا لها(١) • وبالتالى فان مفاهيم المســـاواة والعدالة الاجتماعية مفاهيم دينية ، وأن الاشتراكية فى الستينات كانت اشتراكية اسلامية • وطبقا لهذا الرأى لعب العـــامل الدينى دورا حاسما فى تشكيل سياسات توزيع الدخل القومى فى مصر • والحقيقة أن هذا حكم متسرع يعوزه الدليل القاطع والبرهان المادى • كما أيد بعض الباحثين الغربيين هذا الرأى بنـــاء على بعض الاحكام

كتب هذا البحث مرات عدة باللغة الانجليزية سنة ١٩٧٩ فى اطار عمل مشترك لمشروع « توزيع الدخل القومى فى مصر » . وبعد صياغات عديدة له لتخفيف الحدة بناء على طلب اعضاء الفريق المصرى كتبت هذه الصياغة العربية بعد أن حذفت من الطبعة الانجليزية . وينشر النص الانجليزى الآن فى Islam, Religion, Ideology and Development (تحت الطبع) الانجلو المصرية ١٩٨٩ .

(١) Anouar Abd-el Malek : Idéolgie et Renaissance Nationale, Egypte Moderne, Anthropos, Paris, 1969.

الدينية والحضـارية المسبقة(٢) • منها أن الاسلام فى المجتمعـات الاسلامية مازال يقوم بدور كبير فى الحياة الاجتماعية والسياسية • فالمجتمعات الاسلامية ، على خلاف المجتمعات الاوربيـة ، مازالت تعيش عصر ما قبل العلمانية ، والعـامل الدينى الذى تم تحييده فى الغرب مازال فعالا ومؤثرا فى الشرق • والحقيقة أن هذا الحكم الصادر عن وعى أو عن لا وعى مجرد وهم • فالمسـيحية فى الغرب مازالت فعالة ومؤثرة ان لم تكن كفعل فعلى الاقل كرد فعل • وقـد تكون العلمانية فى العالم الاسلامى هـو المعنى الوحيد الحقيقى للاسلام • فالاسلام ذاته منذ البداية دين علمانى • وتأتى علمانيته من الداخل كوضع الهى وليس من الخارج كمكسب بالجهد الانسانى •

ويقوم هذا البحث على افتراض مقابل وهو أن مفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية وما يتبعها من نظريات فى الاشتراكية مفـاهيم علمانية خالصة ، وأن الدين لم يستخدم الا كاجراء دفاعى بعد هجوم الرجعية العربية على الاشتراكية فى الستينات باستخدام الدين أولا • وقد بلغ هذا الجدل الذروة فى ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ • استخدم الدين اذن فى كلا المعسكرين فى العـالم العربى ، التقدمى والرجعى ، بنفس الطريقـة كوسيلة لتحقيق أهداف اجتماعية وسياسية متباينة • كما تم توجيه المؤسسات الدينية والعلمانية فى مصر من أجل اسـتخدام الاسـلام لتبرير العدالة الاجتماعية وبطريق مباشر كما كان الحال فى الستينات أو لتبرير اللامساواة الاجتماعية وبطريق غير مباشر كما هـو الحال فى السبعينات • كما استخدمت ثقافة الجماهير أيضا فى

---

(٢) M. Kerr : Islamic Reform, the political and legal Theories of Mohammed Abduh and Rashid Rida, Univeristy of California Press, Los Angelos, 1966.

لعبة السياسة لتدعيم القيم الايجابية مثل العمل والانتاج والنضال فى الستينات أو القيم السلبية مثل الصبر والتوكل والرضى فى السبعينات • وكانت ارادة التغيير فى كلتا الحالتين متمثلة فى القيادة السياسية تتبعها المؤسسات الدينية والعلمانية • ولم تتغير ثقافة الجماهير فى كلتا الحالتين ، وظلت على حالها كتيار تاريخى متصل تسوده المحافظة ، وقد كان هذا العمق التاريخى هو المسؤول عن التحول التدريجى من الاشتراكية الصريحة فى الستينات الى « الرأسمالية » الضمنية فى السبعينات • ويمكن تحليل أثر العامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر على مستويات ثلاث :

١ — القيادة السياسية •

٢ — المؤسسات الدينية والعلمانية •

٣ — ثقافة الجماهير •

وأفضل المناهج لدراسة هذا الموضوع هو المنهج «الفينومينولوجى» الذى يقوم بتحليل التجارب الحية المشتركة بين الباحث والمجتمع • وسيكون الاعتماد أساسا على المصادر الاولية التى تكشف عن هذه الخبرات ، وتتضمن مجموعة الخطب السياسية ، وتصريحات رجال الدين ، ونشرات الصحف ، وبرامج الاذاعة والتليفزيون ، وخطب المساجد ، ونماذج من الكتب الدعائية حول الاسلام والاشتراكية أو الاشتراكية فى الاسلام ، والامثال العامية ، والاغانى الشعبية ، ونماذج من الاعمال الروائية والمسرحية ومن القصص القصيرة والقصائد الشعرية ••• الخ • ويكشف تحليل هذه المصادر الاولى عن التجارب الاجتماعية المباشرة ، وتعبر عن المواقف السياسية الحية الفرد والمجتمع • كما يسمح هذا المنهج باعطاء صورة صادقة من

الداخل فى مواجهة الصور النمطية التى تروجها مدرسة « الاستشراق التاريخى » الذى لا يتجاوز المعلومات الخارجية و « الرد » الوضعى • اطارا نظريا مثل تحليل فيبر للقيادة «الكاريسمية» أو وصف دوركهايم للمؤسسات الدينيــة باعتبــارها أشــياء أو تشريح ماركس لثقافة الجماهير الا أن هذا البحث يقدم نموذجا من « علم الاجتماع الوطنى » لسائد عند الباحثين الوطنين فى أمريكا اللاتينية من أجل المحافظة على التجارب الحية بلحمها وعظمها ودون تحويلها الى صياغات ونظريات مجردة مستمدة من العلوم الاجتماعية الغربية من علم الاجتماع الدينى أو الانثروبولوجيا الحضارية أو اللاهوت السياسى • وان الرؤيــة الحدسية وايصالها مباشرة والتعبير عنها بصراحة وصــدق لاكثر قدرة على ادراك المعانى والايحاء بها والكشف عنها عنــد الآخرين الذين يشاركون فى نفس التجارب على استحياء من مجرد استنتاجات العلم وتغليفها داخل أطر مجردة أو نظريات مستمدة من العلوم الاجتماعية الغربية •

وتنقسم خطة هذا البحث الى خمسة أقسام : الاول ، المقدمة عن الموضوع والمنهج ومادة البحث • والثانى ، تحليل الخطب والتصريحات للقيــادة السياسية فى الســتينات والسبعينات(٣) • والثــالث ، دور

---

(٣) اعتمدنا على مجوعة الخطب الكاملة للرئيســين عبد الناصر والسادات التى نشرتها مصلحة الاستعلامات فى مصر . خمسة أجزاء لعبد الناصر ١٩٥٢ — ١٩٦٦ وجزءان آخران نشرهما الاهرام ويشار اليهمــا كالجزأين السادس والسابع ، ويسبق كل منهما حرف ن (ن ١ ، ن ٢ ، ن ٣ ... الخ) وخمسة أجزاء أخرى للسادات ١٩٧١ — ١٩٧٥ ، ويسبق كل منهما حرف س (س١ ، س٢ ، س٣ .. الخ) بالاضافة الى خطب متفرقة أخرى من ١٩٧٦ — ١٩٧٨ .

المؤسسات الدينية (الازهر ، وأئمة المساجد ، والجمعيات الدينية ... الخ) والعلمانية (الجامعات والاحزاب السياسية ، والجمعيات العلمية والثقافية ... الخ) فى تبرير قرارات السلطة السياسية ، والرابع ، الاستمرار التاريخى لثقافة الجماهير وسيادة المحافظة الدينية عليها من ١٩٥٢ — ١٩٧٧ . والخامس ، النتائج العامة للبحث .

ثانيا : القيادة السياسية واستخدام الدين كاجراء دفاعى فى الصراع على السلطة :

كانت القيادة السياسية فى الخمسينات والستينات تقوم على الزعامة « الكاريسمية » . وكانت مصدر معظم القرارات السياسية والاجتماعية (تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ . الوحدة المصرية السورية فى ١٩٥٨ ، قرارات يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ ، حرب يونيو ١٩٦٧)(٤). وقد سمح هذا النمط الاوتوقراطى للنظام السياسى فى مصر سواء فى الستينات أو فى السبعينات بهذا الدور الكبير للقيادة السياسية . ويبين تحليل الخطب والتصريحات السياسية للقيادة السياسية فى هاتين الفترتين بوضوح تام كيف تم استخدام الدين كاجراء دفاعى فى

---

(٤) طبقا للانماط المثالية عند ماكس ڤيبر يمثل ناصر زعيما « كاريسميا » والسادات زعيما « تقليديا » وتنطبق الدورة الثلاثية من الزعامة الكاريسمية الى الزعامة العقلية القانونية الى الزعامة التقليدية على تطور القيادة السياسية من الستينات الى السبعينات . فعندما تتحول « الكاريسميا » الى روتين وبيروقراطية تظهر الزعامة العقلية القانونية وتؤهل المجتمع الى قيادته التقليدية .

R. H. Dekmejian, Marx, Weber and the Egyptian Revolution, in Arab society in Transition, a Reeder, Ed. Saad Eddin Ibrahim; Nicholas S. Hopkins pp. 436 — 76, the American University in Cairo, Cairo, 1979.

الصراع على السلطة سواء بين النظم السياسية المتعارضة (مصر والسعودية) أو بين السلطة السياسية والمعارضة (مصر والمعارضة)(٥).

١ — الاسلام والمساواة الاجتماعية . استخدام الاسلام فى الستينات (١٩٥٢ — ١٩٧٠) .

يبين تطور فكر القيادة السياسية فى مصر فى هذه الفترة ثلاث مراحل يتميز كل منها بعدة مفاهيم وهى :

(أ) المساواة ، العدالة ، تكافؤ الفرص ، تذويب الفوارق بين الطبقات (١٩٥٢ — ١٩٥٦) :

كانت هذه المفاهيم الاربعة الاولية مفاهيم علمانية خالصة . ولم تكن هناك معالم واضحة بينها ، بل كان يمكن استبدال أحدها بالآخر . ومع ظهور مفهوم العدالة الاجتماعية كمفهوم رئيسى له معنيان : الاول سلبى والآخر ايجابى . فالعدالة الاجتماعية بمعناها السلبى ضد الظلم الاجتماعى والاستغلال والاحتكار والاقطاع والرأسمالية والفوارق بين الطبقات والانتهازية والعبودية والرجعية والاستعمار ؛ وهى تعريفات فضفاضة خطابية متضمنة من قبل فى المبادىء الثلاثة الاولى للثورة : القضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاحتكار . وهى بمعناها الايجابى

---

(٥) يلاحظ D. E. Smith أن نزعة الاسلام الى المساواة لم يكن لها أثر كبير على الادعاءات الخاصة بالمشاركة السياسية وأن أسلوب ناصر السياسى أقرب الى السلفية الاسلامية .

D. E. Smith : Religion and Political Development, P. 270, Little Brown and Company, Boston, 1970.

متضمنة فى المبدأ الرابع من المبادىء الستة : اقامة عدالة اجتماعية • وهى بهذين المعنيين هدف القيادة السياسية وأمل الشعب ، وهى الاساس الذى يقوم عليه توزيع الدخل • فلكل فرد حقه فى الثروة الوطنية • وهى تتطلب زيادة الانتاج والا كان توزيع الثروة القومية الحالية توزيعا للفقر • وترتبط العدالة الاجتماعية بالكفاية • فقد كان هدف القيادة السياسية هو قيام مجتمع الكفاية والعدل • والعدالة فى التوزيع هو المعنى الحقيقى للديمقراطية لان الحرية الاجتماعية شرط الحرية السياسية • كما أن العدالة الاجتماعية هى السبيل للمحافظة على الوحدة الوطنية وتأسيس الدولة الحديثة • وقد تم تحقيق العدالة الاجتماعية بعدة اجراءات منها : ايجاد التوازن بين القطاع العام والقطاع الخاص ، استخدام رأس المال لخدمة الاقتصاد الوطنى ، تشجيع الشركات المساهمة ، توسيع قاعدة التأمينات الاجتماعية ، التخطيط القائم على نظام الاولويات ، التأميم ، ملكية الشعب العامل لرأس المال الكبير ، قوانين العمال ، والنص على العدالة الاجتماعية فى بنود الدستور(٦) •

وتنبثق المفاهيم الثلاثة الاخرى : المساواة ، وتكافؤ الفرص ، وتذويب الفوارق بين الطبقات من مفهوم العدالة الاجتماعية كمفهوم رئيسى • فالمساواة وتكافؤ الفرص مفاهيم أخلاقية انسانية تتسم بنفس طابع العمومية وعدم التحديد • المساواة بمعناها العام تشير الى المساواة فى الخلق ، وهى المساواة الطبيعية ، كما تعنى أيضا

---

(٦) ن ٢ ص ٦٨ ص ٧٢ ص ٨١ — ٩٠ ص ٩٣ ص ١٤٥ ص ٢٢٦ ص ٢٣١ ص ٢٨٤ ص ٣٠٣ ص ٣١٠ ص ٣١٦ ص ٣١٨ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ص ٤٥٧ ص ٤٨٦ ص ٤٩٦ ص ٦٧٨ ص ٧٠٧ ص ٧٥١ — ٧٥٢ •

المساواة فى الحقوق والواجبات ، وفى الاخذ والعطاء ، وهى المساواة المدنية • كما تعنى القضـــاء على الفوارق بين الطبقات فى المجتمـــع الواحد ، والمساواة بين الدول النامية والدول المتقدمة على الصـــعيد الدولى • ويتحقق تكافؤ الفرص فى الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أى فى توزيع الثروة وفى التعليم وفى التمثيل السياسى • وان كانت الفوارق بين الطبقات موروثة من الماضى فانه يجب تذويبها فى الحاضر • أما الفـــوارق الفردية فهى طبيعية يجب الابقاء عليها • ويمكن القضاء على الاولى تدريجيا عن طريق تثبيت الاسعار ، ومقاومة التضخم ، ورفع مســـتوى معيشة الفلاحين والعمال ، وتشـــجيع الصناعة والتجارة الحرة ، واســـتغلال المواد الاولية ثم الاصـــلاح الزراعى أولا وقبل كل شىء(٧) • وقد كانت مهمة « هيئة التحرير » كتنظيم سياسى شعبى والعمل على تنفيذ هذه الاجراءات والاشراف عليهـــا •

ويبدو أن القيادة السياسية فى تعاملها مـــع هذه المفاهيم الاربعة الاولى لم تستخدم الدين لتدعيمها الا مرة واحدة بالاشـــارة الى أن الله خلق البشر جميعا متساوين • لم تكن هناك حاجة لمثل هذا التبرير الدينى لان الدافع الثورى كان كافيا وواضحا بذاته لاقناع الشعب • وكانت البراهين الاحصائية تغنى عن أية حجج نصية • كانت هـــذه المفاهيم الاربع علمانية خالصة • ولكن بالنســـبة للاسلام قد يكون العلمانى هـــو المعنى الوحيد للدينى •

---

(٧) ن ١ ص ٢ ص ٥ ص ١١ ص ٣٣ ص ٣٩ ص ٤٥ ص ٤٨ ص ٥٣ ص ٧٥ ص ٩٨ ص ١٠١ ص ١٦٣ ص ٢٣٨ ص ٢٨٠ ص ٢٩٨ ص ٣١٥ ٣٣١ ص ٣٥٤ ص ٣٥٢ ص ٣٦٦ ص ٤٤٦ ص ٤٥١ ص ٥٢٢ ص ٦٩٣ •

ومع ذلك ، ظهر الارتباط بين الاسلام والاشتراكية مبكرا أثناء الصراع على السلطة علنا بين القيادة السياسية والاخوان المسلمين فى ١٩٥٤ • فقـــد اتهمتهم القيادة السياسية بأنهم يرفعون شعارات دينية جوفاء فارغة من أى مضمون اجتماعى أو سياسى • أما الثورة فانهـــا هى التى تعطى هذه الشعارات الدينية مضامينها الاجتماعية • فاذا كان الاخوان المسلمون يعتبرون القرآن دستورهم فان الثورة هى التى حققت بنـــود هذا الدستور بخلعها الملك ، وجلاء قوات الاحتلال البريطانية ، والقضاء على الفساد والظلم الاجتماعى(٨) • والحقيقة أن الخلاف بين القيادة السياسية والاخـــوان المسلمين لم يكن على موضوع اعادة توزيع الدخل القومى والعدالة الاجتماعية ، فكلا الفريقين يناديان بذلك فى برامجهما المعلنة ولكن الخلاف كان مجرد صراع على السلطة(٩) •

(ب) الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (١٩٥٧ ـــ ١٩٦٠) :

بعد تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ، وبعد تمصير الشركات الاجنبية شعرت القيادة السياسية بحاجتها الى عقيدة تلائم تكوين « المؤسسة الاقتصادية » • فبدأت صياغة « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » • والارتباط بين المفاهيم الثلاثة التى تكون هذه العقيدة الجديدة ارتباط ضرورى • فبدون الاشتراكية أى تحرير الفـــرد من

---

(٨) ن ١ ص ٢٢٩ وفى نفس الوقت كتب ناصر مقدمة لاحد الكتب عن الاشتراكية مشيرا الى الاسلام كأحد منابع الاشتراكية .

(٩) دعا الاخوان المسلمون قبل الثورة وبعدها الى العدالة الاجتماعية. مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ، الطبعة الثانية ١٩٦١ (الطبعة الاولى ١٩٥٩) ، سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، الطبعة الثانية ، دار مصر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٥١ .

الاســتغلال لن تكون هنــاك ديمقراطية • وبدون الديمقراطيــة أى اشتراك الفرد فى توجيه شــؤون الحياة العامة لن تكون هنـــاك اشتراكية • ويعنى التعاون الاستقرار السياسى القائم على العدالة الاجتماعية ، والتكافل والحب • وقد تم تعريف الاشتراكية بأنهــا الكفاية وزيادة الانتاج عن طريق سيطرة الدولة على الملكية الخاصة والعامة • وقــد ظهر مفهوم التعاون فى مصطلحات القيادة السياسية منذ ١٩٥٣ • وكان يدل على معنى أخلاقى عام ، التعاون بين الاغنياء والفقراء ، والتعاون بين كل المواطنين لانقاذ البلاد •• الخ • كمــا ظهــر على نحو ملموس فى الزراعة والصناعة والتجــارة والتعليم والخدمات فى صــورة جمعيات تعاونية • فاذا كانت الاشتراكية هى الجانب الاقتصادى فى هــذه العقيدة وكان التعاون هــو جانبهــا الاجتماعى فان الديمقراطية تكون هى جانبها السياسى ، فالملكيــة التعاونية هى الطريق الى الديمقراطية • ولما سادت هذه العقيدة أثناء الوحدة مع سوريا فى الجمهورية العربية المتحــدة ، وعندما بلغت القومية العربية الذروة أصبحت أيضا الطريق الى الوحدة العربية • فقد شعرت القيادة السياسية فى ١٩٥٩ بضرورة صياغة أيديولوجية مماثلة لايديولوجية حزب البعث ، وقادرة على تحقيق أهداف القومية العربية : معاداة الاستعمار والصهيونية والاستغلال(١٠) •

---

(١٠) يقول ناصر « الديمقراطية معنى وشعار ، والاشتراكية حقيقة وأمل ، والتعاون واقع وهدف » ن ٤ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ وأيضا ن ١ ص ١٢١ ص ١٥٦ ص ٢١١ ض ٢٥٣ ص ٢٨٩ ص ٣٠٠ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ ص ٦٨١ ص ٦٨٤ ص ٧٥١ ص ٧٥٦ — ٧٥٧ ، ن ٧ ص ٨٦ — ٨٧ ص ٤٠٢ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ص ٢٥٩ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ص ٣١٣ — ٣١٦ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ص ٣٣٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ ص ٤١٢ ص ٤١٤ — =

هل كانت هناك عناصر دينية فى هذه العقيدة الجديدة ؟ أكدت القيادة السياسية باستمرار على أن العقيدة الجديدة تطور طبيعى للتجربة المصرية ، كما تعكس قوانينها حركة المجتمع المصرى • فالقيادة السياسية لا تضع نفسها فى اطار النظريات لتبحث عن حياتها بـل تضـع نفسها فى حياتها لتبحث عن النظريات • ومع ذلك فقد ظهر الاســلام فى هذه الفترة أثناء صراع القيادة السياسية المستمر منذ ١٩٥٤ مـع الاخوان المسلمين وأثناء الصراع الجديد ضـد قاسم فى العراق فى ١٩٥٩ • فالاســلام هـو التعاون على فعل الخير والنهى عن الشر على عكس الاخوان المسلمين الذين كانوا يمنعون الخــير ويتعاونون على فعل الشر • وعندما كتب ناصر فى ســجل الزوار فى اتحاد النقابات كلمة لتشــجيع التعاون مستشهدا بالآية القــرآنية « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعــدوان » كان يقصد الاخوان المسلمين • علاوة على ذلك أخذت القيادة السياسية القرآن كنموذج للتطبيق التدريجى للعقائد المنبثقة من حياة الشعوب • فالاشتراكية الديمقراطية التعاونية ليست كتابا يمكن تطبيقه بل مجرد مرحلة فى نظـام نتيجة للتجارب المشتركة والعمل فى المجتمع ، ملائمة لتطوره طبقا لمبدأ المحاولة والخطأ • لا يوجد كتاب يسمى « الاشتراكية

=

٤١٧ ص ٤٢٩ ص ٤٥٨ — ٤٥٩ ص ٥١٤ ص ٥١٩ ص ٥٣٦ ص ٥٤٤ — ٥٤٥ ص ٥٦٠ — ٥٦١ ص ٦٢٠ — ٦٢١ ص ٦٢٤ — ٦٢٥ ص ٦٤١ ص ٦٤٦ ص ٦٥٥ ص ٦٦٩ ص ٦٧٥ — ٦٧٩ ص ٦٨٠ ص ٧١٠ — ٧١١ ن ٨ ص ٤٤ ص ٥٦ ص ٦٤ — ٦٥ ص ٩٦ ص ١٤٩ ص ١٨٢ — ١٨٣ ص ٢٠٥ ص ٢١٣ ص ٢١٥ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ص ٣٤٩ ص ٣٥٤ ص ٤٨٥ — ٤٨٩ ص ٤٦٤ ص ٣٤٩ ص ٣٥٤ ص ٤٨٥ — ٤٨٩ ص ٤٦٤ ، ن ٤ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ص ٥١٤ — ٥١٧ ص ٥٤٢ ، ن ٥ ص ٦٧ ص ٦٩ ص ٣١١ ص ٣٥٧ •

الديمقراطية التعاونية » ، ولا يوجد انســان فى التاريخ قادر على تأليف مثل هــذا الكتاب فى أربع وعشرين ساعة • وقد أعطى الله المثل على ذلك • لقــد كان باستطاعة الله انزال القرآن فى ليلة واحدة ولكنه استغرق ثلاثة وعشرين عاما ليعطينا نموذجا تجريبيا نتبعه(١١) • كما لجأت القيادة السياسية الى الاسلام فى صراعها مع قاسم فى العراق فى ١٩٥٩(١٢) • فعندما بدت الماركسية كخطر قادم من العــراق ابان حكم قاسم اتهمته القيادة السياسية فى مصر بأنه ملحد شيوعى(١٣) •

---

(١١) ن ١ ص ١٢٧ ، ن ٧ ص ٦٣٠ — ٦٣٨ ص ٦٧٣ •

(١٢) قبل ذلك بثلاث سنوات فى ١٩٥٦ سأل مراسل جريدة «التمبو» ناصر عما اذا كان هناك تشابه فى المبادىء بين الدين الاسلامى الذى تقوم سياسات البلاد العربية عليه وبين الماركسية وعما اذا كان نقد الدين هو السبب فى ابتعاد العرب عن الماركسية . فأجاب بأن الاسلام هو دين غالبية العرب ، وضع المبادىء العامة للتعاون الانسانى ، وبالتالى فلم تكن هناك حاجة لمبادىء جديدة شيوعية او أخرى . هــذه الاشارة الى الاسلام كان سببها سؤال خارجى . فقد خشيت القوى الكبرى فى ذلك الوقت من انحياز مصر الى الشرق ، فأرادت بعض التأكيدات على أن النضال ضــد الاستعمار وأن تأميم قناة السويس أى النضال من أجل الاستقلال السياسى والاقتصادى لا يؤدى الى الانحياز الى المعسكر الاشتراكى ضد الغرب . فبعد انتصار مصر على الاعتداء الثلاثى فى ١٩٥٦ وبعد أن أصبحت نموذجا للعالم الثالث فى النضال من أجل الاستقلال ثارت شبهات فى ذهن الغرب حول ناصر تقوم على الخلط بين الاستقلال الوطنى والشيوعية . ن ١ ص ٦٣٦ •

(١٣) ستستعمل القيادة السياسية فى السبعينات هذه العناصر بعد ذلك ضد الناصريين والاشتراكيين وكل القوى التقدمية فى مصر بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ ، أنظر القسم الثانى من البحث .

وظهر الاسلام فى ذلك الوقت على أنه دين معاد للماركسية(١٤) •

(جـ) الاشتراكية العربية (١٩٦١ — ١٩٧٠) •

الاشتراكية العربيـــة هى الايديولوجية التى ورثت الاشتراكية الديمقراطية التعاونية • وقـــد أتت متأخرة فى الظهور لان القيـــادة السياسية كانت مشغولة فى ١٩٥٤ — ١٩٥٥ بتحقيق جلاء القـــوات البريطانية • وبعـــد الاعتداء الثلاثى فى ١٩٥٦ كانت « الاشـــتراكية الديمقراطية التعاونية » خطوة على طريق الاشتراكية • وقـــد ظهرت « الاشتراكية العربية » أخيرا بعد صدور قرارات يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ وصـــدور « الميثاق الوطنى » فى ١٩٦٢ • وقـــد أعتبرت القيادة السياسية قوانين يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ بمثابة تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ، الاولى ضـــد الرجعية والثانية ضـــد الاستعمار • والحقيقة أنه بعد الانفصال السورى أرادت القيـــادة السياسية فى مصر أن تقوى من قبضتها فى الداخل خشية أن تتحرك القوى الرجعية كما تحركت من قبل فى سوريا ، فأعلنت الاشتراكية كأيديولوجية للبلاد • وقد تمت صياغتها فى « الميثاق الوطنى » الذى تم الاتفاق عليـــه فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى عقد بعد

---

(١٤) وبعد ذلك بثلاث سنوات وفى خضم المعركة ضد الرجعيـــة العربية دفاعا عن تهمة الشيوعية ميز ناصر بشكل واضح بين الاشتراكية العربية والماركسية اللينينية . تمتاز الاشتراكية العربية بعدة صفات خاصة من بينها الايمان بالله على عكس الماركسية اللينينية . الاولى تعترف بالدين بينما تنكره الثانية . وبعد ذلك ستستخدم القيادة السياسية فى السبعينات نفس التفرقة للطعن فى خصومها السياسيين . انظر المؤتمر القومى للقوى الشعبية لشرح الميثاق ن ٥ ص ٨٢ ص ١٦٦ .

أشهر قليلة من الانفصال كبداية لاقامة نظام لقوى الشعب العامل المستفيدة الوحيدة من الاشتراكية(١٥) •

والاشتراكية قيمة روحية ، ولها عند القيادة السياسية معنى أخلاقى ، وضع حد لاستغلال الانسان لاخيه الانسان • وأحيانا تبدو وكأنها مفهوم سلبى مثل مفهوم العدالة الاجتماعية أى نهاية حكم الاقلية المستغلة لثروات البلاد والمتمثلة فى الاقطاع والرأسمالية والاحتكار • وأحيانا أخرى تبدو وكأنها مفهوم ايجابى أى اشتراك كل المواطنين فى الثروة القومية أو الكفاية والعدل أو تكوين مجتمع الرفاهية • كما تعنى القيادة السياسية بها التحول الاشتراكى أكثر مما تعنى الاشتراكية ، وتطلق على التجربة «مرحلة التحول الاشتراكى» • وقد ارتبطت الاشتراكية أخيرا بمفهوم الوحدة كى تصبح الشعار الجديد للقومية العربية •

وقد تم تطبيق الاشتراكية بعدة اجراءات مثل التأميم ، سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، تحديد الحد الاعلى للملكية الزراعية بمائة فدان للعائلة الواحدة ، اشتراك العمال والموظفين فى مجالس الادارة ، الضرائب التصاعدية التى تصل الى حد ٩٠٪ من الدخل الفردى • ويتم الاشراف على تطبيق هذه الاجراءات والسهر على تنفيذها بعدة طرق منها « الاتحاد الاشتراكى العربى » ، مجلس الشعب بنصف أعضائه من العمال والفلاحين ، التشريعات الاشتراكية فى قوانين الدولة والنص عليها فى الدستور ، واجب القوات المسلحة

---

(١٥) ن ٢ ص ٥٦٤ — ٥٦٥ ن ٢ ص ١٠٩ ص ١٤٩ ص ٢٩٥ ص ٣٩٩ •

لحماية التجربة الاشتراكية(١٦) •

والاشتراكية العربية على هذا النحو علمانية خالصة • وقد لجأت القيادة السياسية مرة واحدة الى العامل الدينى ، الايمان بالله كأحد خصائص الاشتراكية العربية التى تميزها عن الماركسية اللينينية • وبالرغم من اللجوء الى هذه التفرقة كاجراء دفاعى ضد اتهام الاشتراكية العربية بأنها ماركسية • ظهر العامل الدينى كعامل رئيسى عندما أصبحت القيادة السياسية موضوعا لهجوم الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية أثناء حكم الملك فيصل واليمن أثناء حكم الإمام يحيى • وقد ظهرت كل الافكار عن العدالة الاجتماعية

---

(١٦) حاول ناصر بعد ذلك فى مارس ١٩٦٧ اعطاء خطوط عامة لاجراءات الاشتراكية مثل ، عمل يؤدى الى الخدمات الاجتماعية ، منزل لكل أسرة ، زيادة الانتاج ، الثورة الادارية ، الثواب والعقاب لرؤساء مجالس الادارة طبقا لمكاسبهم وخسائرهم ، الارتباط بين المرتب والعمل ، احترام المال العام ، الدقة والانضباط فى العمل داخل الوحدات الانتاجية ، وظيفة التنظيم السياسى فى الاشراف والمراجعة ، التوحيد بين الفكر والعمل فى المجتمع الاشتراكى • ويبدو أن هذه الاجراءات كانت موجهة ضد « الطبقة الجديدة » التى بدأت فى الظهور خلال التجربة الاشتراكية والتى أصبحت بعد ثلاث أشهر مسؤولة عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ • ن ٢ ص ٥٦٤ — ٥٦٥ ص ٦٠٦ ، ن ٣ ص ٥٢ ص ٦١ ص ٥٤٤ — ٥٤٨ ص ٥٦٤ ص ٥٦٧ — ٥٦٧ ص ٥٨٤ ص ٦٠٤ ص ٦١٠ — ٦١١ ص ٦١٧ ، ن ٤ ص ٣٠٨ ص ٣٦٢ ، ن ٥ ص ١٠ — ١٤ ص ٣٣ ص ٤١ — ٤٧ ص ٦٢ — ٦٥ ص ٧٤ — ٨١ ص ٨٥ — ٩٧ ص ١٠٨ — ١١٠ ص ١١٧ ص ١٢١ ص ١٤٩ ص ١٦٦ ص ٢٠٧ ص ٢١٣ ص ٢١٥ ص ٢٢١ ص ٢٤٢ — ٢٤٧ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ص ٢٧٧ ص ٢٨١ ص ٢٩٥ ص ٣١١ — ٣٢٢ ص ٣٢٩ ص ٣٣٩ ص ٣٤٦ ص ٣٧٣ ص ٣٩٩ ص ٤٣٠ — ٤٣١ ص ٤٤٤ — ٤٤٧ ص ٤٥٣ — ٤٥٤ ص ٤٨٥ ص ٥١٥ — ٥١٧ ص ٥٤٢ — ٥٤٣ ص ٥٨٤ ص ٥٩٦ ، ن ٧ ص ١٨٥ ص ٤٣٨ •

والاشتراكية فى الاسلام فى هذا الاطار من الدفاع عن الذات لنفى تهمة وليس لتأسيس الاشتراكية على نحو وضعى •

وقد بدأ استخدام القيادة السياسية للاسلام للدفاع عن الاشتراكية ضد هجوم السعودية فى ١٩٦١ وبلغت الذروة فى ١٩٦٢ — ١٩٦٣! • وقد بدأت هجومها ضد الرجعية العربية بعد استخدام هذه الاسلام فى هجومها ضد الاشتراكية العربية • فارادت نزع السلاح من خصومها بل وأمضى سلاح ، وهو سلاح الدين(١٧) •

وقد استعملت القيادة السياسية جدلا مزدوجا : ايجابيا لاثبات أن الايسلام دين اشتراكى وسلبيا لنفى صفة الرجعية عن الاسلام • ويمكن تلخيص هذه الحجج على النحو الآتى :

١ — الاسلام دين اشتراكى • وقد كون الاسلام فى العصر الوسيط أول تجربة اشتراكية فى العالم • وكان النبى محمد على رأس أول دولة اشتراكية • وكان أول من أعطى الحجج لسياسات التأميم فى الحديث المشهور « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلا والنار »(١٨) • كما أعطى الرسول أكمل نموذج للسلوك الاشتراكى • عاش فقيرا

---

(١٧) الحقيقة أن الانظمة العربية الرجعية فى المملكة العربية السعودية وفى اليمن بدأت بهجومها ضد ناصر بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فى سبتمبر ١٩٦١ • فقد ظنت أن ذلك أفضل وقت للتخلص من ناصر ولتصفية تجربته الاشتراكية بعد اضعافه وطعنه فى الظهر .

(١٨) ويضاف « الملح » فى حديث آخر . وقد كانت هذه المقومات الثلاث فى ذلك الوقت المصادر الرئيسية للثروة والتى تتطابق اليوم الزراعة والصناعة والتعدين ... الخ . ن ٥ ص ٥٧١ ص ٤١٤ .

ومات فقيراً(١٩) • وبعد موت الرسول استمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية فى عهد أبى بكر وعمر • فقد أمم عمر أرض القطاع فى العراق ووزعها على الفلاحين المعدمين(٢٠) • قدمت القيادة السياسيه هذه الصورة المثالية للمجتمع الاسلامى كنموذج للمجتمع الشيوعى الاول كما فعل ماركس وانجلز نفس الشىء فى وصفهم للمسيحية البدائية •

٢ — الاسلام دين المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص • فالاسلام دين اشتراكى والدين والاشتراكية يعنيان المساواة بين البشر ، ورفع مستوى المعيشة ، وتذويب الفوارق بين الطبقات • وقد جعل الدين تكافؤ الفرص أساس الثواب والعقاب • يبدأ كل انسان حياته بأعماله وليس بوراثة الطبقة(٢١) • كما لا تسمح الاسلام بوجود مجتمع به أغنياء وفقراء • قبل الثورة كان هناك ٥٪ من السكان يحصلون على ٥٠٪ من الدخل القومى • وقد قامت الثورة لوضع حد لهذا التوزيع اللامتساوى للدخل وللقضاء على الطبقات الرأسمالية والاقطاعية • والثورة بهذا تطبق الاسلام لانها لم تسمح للاغنياء باستغلال الفقراء • وقد استعملت القيادة السياسية باستمرار هذا

---

(١٩) لم يمتلك الرسول شيئا . بل انه توفى مدينا ليهودى . شارك الآخرين فى قوته اليومى ، وأخذ حقوق الفقراء من الاغنياء . وقد وصفه الشاعر أحمد شوقى بحق فى قوله « والاشتراكيون أنت امامهم .. » .

(٢٠) ن ٢ ص ٦٢١ — ٦٢٢ ص ٤٦١ ص ٦٠٧ ، ن ٥ ص ٤١٤ ص ٤٩٤ ص ٥٣٣ ص ٥٦٣ .

(٢١) يرى Tawney أن الدعامتين الرئيسيتين للامساواة هما الثروة الموروثة والمدارس العامة .

Tawney : Equality, Unwin books, London, 1971.

الشعار « الاسلام شريعة العدل ، وشريعة العدل شريعة الله » للتوحيد بصراحة ووضوح بين الاسلام والعدالة . جوهر الاسلام هو العدل . وجوهر الشريعة أيضا هو العدل . فالعدل اذن أمر الهى ، وكل اجراء لتحقيق العدالة الاجتماعية يكون بمثابة شريعة الهية(٢٢) .

٣ — العدالة الاجتماعية علاقـة طبيعية والهية بين الأغنياء والفقراء(٢٣) . من يملكون عليهم اعطاء من لا يملكون . وقد دعت كل الاديان ، وليس الاسلام وحده ، الى العدالة الاجتماعية . وأقرت كلها ، وليس الاسـلام وحده ، مبدأ الزكاة أى مشاركة الانسان غيره فى أمواله بل حارب أبو بكر مانعى الزكاة . الزكاة حق الاسلام تهدف الى اقامة عدالة اجتماعية . ويمكن استعمال العنف ضـد الممتنعين عن الزكاة . وهى لا تزيد على ربع العشر من المال الذى يحول عليـه الحول دون استخدام . لا وجود للفقراء أو للمعدمين فى المجتمـع الاسلامى نظرا لوجود التكافل الاجتماعى . مقومات العدالة الاجتماعية اذن فى الاسلام . ولما كانت العدالة الاجتماعية تعنى الكفـاية فان الكفاية فى الاسلام لا تشير فقط الى الاسس المادية بل أيضا الروحيـة والدينية والاخلاقية(٢٤) . فالاشتراكية فى الاسلام أقرب ما تكـون الى التصور الاخلاقى منها الى المذهب الاقتصادى . هى جزء من تاريخ الشعب وتراثه الروحى .

---

(٢٢) ن ٣ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ ن ٥ ص ١٠٩ ص ١٦٧ ص ٢٠٦ ص ٢١٧ ص ٢٧١ ص ٣١٢ ص ٣٣٥ — ٣٣٦ ص ٤٩٤ .

(٢٣) وقد لاحظ D. E. Smith هذه الصلة بين التنزيه والعـدالة الاجتماعية بقوله « ان العدالة الاجتماعية منوطة بالله المنزه القادر » المصدر السابق ص ٢٢ . وفى موضوع الزكاة والربا أنظر ص ٢٢٧ .

(٢٤) ن ٣ ص ٤٦١ — ٤٦٢ ن ٥ ص ٩٢ ص ١٦٦ ص ٣١٢ ص ٣٥٦ .

٤ — تقوم الاخلاق الاسلامية على تقديس العمــل مثل الاخلاق الاشتراكية(٢٥) • لذلك حرم الاسلام الربا لانه ضد مبدأ العمل كمصدر وحيد للدخل • فالمال لا يولد المال من تلقاء ذاته دون توسط العمــل أى الجهد والعرق والانتاج • وقد تبنت الثورة نفس الاخلاق عندما ألغت الربا فى السلف الزراعية ، وأعطت سلفا أخرى للفلاحين بدون ربا(٢٦) •

٥ — وتبريرا للتحول الاشتراكى استعملت القيــادة السياسية بعض الملاحظات الاولى عن التدرج فى الشريعة الاسلامية • وأشهر مثل على ذلك هو التدرج فى تحريم الخمر • فقد بين القرآن أولا أن اثمهما أكبر من نفعهما • ثم حرمها بعد ذلك أثناء الصلاة فقط حتى لا يقف الانسان أمام ربه مخمورا • وبعد ذلك حرمها مطلقا فى صيغة النهى • أعطى القرآن اذن نموذجا للثورة التدريجية وبالتالى التطبيق التدريجى للاشتراكية(٢٧) •

٦ — والاسلام ضد الرجعية • ومع ذلك استغلت الرجعية العربية الدين لخداع الشعب • وكان الهدف الرئيسى من ذلك هو ابقــــاء الشعب على جهله ليسهل استغلال ثرواته • لقد فسرت الرجعية العربية الاسلام تفسيرا خاطئا وهى على علم بذلك من أجل استغلال ثروات الشعوب • وأرادت تغطية هــذا الاستغلال تحت ستار الدين • كدست

---

(٢٥) وقد رفضت القيادة السياسية بعد ذلك فى السبعينات هــذه الاخلاق فى « الاشتراكية الديمقراطية » .

(٢٦) ن ٥ ص ٢٦٧ ص ٤١٤ ، أنظر بحث د. أحمد حسن : سياسات الحكومة فى السلف الزراعية .

(٢٧) ن ٢ ص ٣٦ .

الاموال من دماء الشعوب ، ولم ينتج هـذا التكديس من العمل ، القيمة الاسلامية ، بل من الاستغلال الذى يحرمه الاسلام • وباسم الدفاع عن الدين كانت تدافع عن مصالحها الخاصة • وفى الاسلام ثروات المسلمين للمسلمين وليست للملوك(٢٨) •

٧ — هاجمت القيادة السياسية بعض القيم الدينية السلبية مثل الصبر • لقد دعت الرجعية العربية الفقراء الى الصبر ، والصبر فى حقيقة الامر ليس قيمة اسلامية اذا كان يعنى الخضوع والاستسلام وقبول الاستغلال(٢٩) • كما رفضت اعتبار المساواة الاجتماعية الحادا لان الايمان بالله يتطلب الايمان بالمساواة بين البشر أمام اله واحد • أن اللامساواة الاجتماعية هو الالحاد لانها تنفى المساواة بين البشر(٣٠) • كما دافعت القيادة السياسية عن نفسها ضد اتهامها بأنها استبدلت بالاسلام الاشتراكية وأنها جعلت نفسها نبيا لدين جديد(٣١) •

٨ — أرادت الرجعية العربية ترك حل مشكلة العدالة الاجتماعية الى الآخرة بمعونة الله ومشيئته وليس فى الدنيا عن طريق الاشتراكية•

---

(٢٨) ن ٤ ص ٣٣١ ، ن ٥ ص ٤١٩ ص ٤٩٤ .

(٢٩) اعتبرت القيادة السياسية بعد ذلك فى السبعينات الصبر كأحد الفضائل الاسلامية الكبرى واستخدمته كأحد العوامل المسكنة للجماهير .

(٣٠) ن ٥ ص ٦٦ ص ٥٤ ص ٥٤٤ .

(٣١) وصف ناصر نفسه بأنه مجرد زعيم يكشف عن الاعمال الدينية الكاذبة لامير المؤمنين الملك فيصل .

والحقيقة أنه لا يمكن ترك العدالة الاجتماعية لمشيئة الله(٣٢) • كما رفضت القيادة السياسية « اشتراكية الاحسان » التى تدافع عنهـا الرجعية العربية • فالاحسان لا يكفى لاقامة عدالة اجتماعية(٣٣) •

لم تستعمل القيادة السياسية النصوص الدينية لتدعيم هـذه الحجج بل لجأت الى البداهة العقلية والحسية والى حس الجماهير • فاستطاعت أن تكسب المعركة بسـهولة ويسر ضد الرجعية العربية • وكانت حججها تقوم على المضمون وليس على الشـكل ، وكان تفسيرها للاسلام ، بالرغم من ظهوره من خلال الجدل مع الخصوم ، تفسيرا واقعيا وليس تفسيرا صوريا(٣٤) •

٢ ـ الاسـلام واللامساواة الاجتماعية ، اسـتخدام الاسـلام فى السبعينات (١٩٧٠ ـ ١٩٧٧) :

كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ من الناحيـة العملية نهاية التجـربة

---

(٣٢) ويستمر ناصر : هل يجب على المسلمين الغاء وزارة العدل وترك القوى يسود الضعيف ؟ ولماذا توعد الجنة للفقراء فى الآخرة وليس فى هذه الدنيا ؟ يجب على الاغنياء أن يحصلوا على نصيبهم فى الجنة وأن يتركوا ثروتهم فى الدنيا للفقراء . ويلاحظ فيبر شيا مشابها وهو أن الطبقـات التجارية الغنية لا تؤمن بالجنة كعوض فى الآخرة كما تؤمن بها الطبقـات الدنيا الفقيرة .

O'Dea : the Sociology of Religion P. 58, Prentice - Hall, New Jersey, 1966.

(٣٣) ويستمر ناصر : المال مال الله اى مال الشعب . وللشعب الحق فى استرداد ثروته من البنوك السويسرية المودعة فى حسابات سرية واستثمارها داخل البلاد وليس خارجها .

(٣٤) ن ١ ص ٦٢١ ، ن ٥ ص ٢٧ ص ٢٧١ ، ن ٣ ص ٦٥٢ ص ٣١٢ ص ٣١٨ ص ٣٣١ .

الاشتراكية فى الستينات • فقد بدأ التراجع عن الخط الاشتراكى بعد ذلك • كانت خطب القيادة السياسية فى السنوات الثلاث الاخيرة قصيرة وفارغة من أى قرارات جديدة أو أى تحولات اشتراكية جديدة (باستثناء قانون الاصلاح الزراعى الثالث ٤ والغاء بعض البدلات والميزات لكبار الموظفين وضباط الجيش من أجل تصفية الطبقة الجديدة كما وضح فى بيان ٣٠ مارس) • وبالرغم من عزم القيادة السياسية على مراجعة « الميثاق الوطنى » فى ١٩٧٠ لاتخاذ اجراءات اشتراكية جذرية فيما يتعلق بقوانين الاصلاح الزراعى وتأميم تجارة الجملة وقطاع المقاولات بل وتكوين تنظيم طليعى يكون عصب الاتحاد الاشتراكى العربى للدفاع عن مصالح الجماهير ، فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة تغيرت القيادة السياسية بموت ناصر • ولم تحاول القيادة السياسية الجديدة تنفيذ هاتين الرغبتين • بل أنها على العكس من ذلك بدأت بالتراجع عن اشتراكية الستينات متهمة أنصارها بتفسير « الميثاق الوطنى » تفسيرا ماركسيا • فألغت الاتحاد الاشتراكى العربى ، وحلت التنظيم الطليعى باعتباره أحد مراكز القوى •

وظهرت مفاهيم وأيديولوجيات جديدة تكشف عن ذاتها تدريجيا وعلى مراحل • أولا ، التراجع عن اشتراكية الستينات من ١٩٧١ — ١٩٧٣ بالرغم من استعمال مفاهيمها وألفاظها بعد تفريغها من مضامينها الفعلية • وقد حدث هذا التراجع على المستويين الاقتصادى والسياسى • ثانيا ، بداية سياسة الانفتاح الاقتصادى بعد ١٩٧٣ أى بعد حرب أكتوبر مباشرة ، واصدار قانون الاستثمار الاجنبى • ثالثا ، الاعلان عن الاشتراكية الديمقراطية فى ١٩٧٥ كأيديولوجية جديدة للدولة

وكطريق للسلام بين مصر واسرائيل من خلال الاشتراكية الدولية(٣٥)

(أ) التراجع عن اشتراكية الستينات (١٩٧١ — ١٩٧٣) •

كان هدف هذه المرحلة الاولى الغاء الماضي واسدال الستار عليه • فقد بدأت الثورة بلسان القيادة السياسية الجديدة ، تكتب تاريخها وكأنها شارفت على النهاية • كما بدأت شعارات الثورة الاولى في الظهور مثل الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية • كما عادت عقيدة « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » الى الظهور • بل ان مبادىء الثورة الست قد عادت الى الحياة من جديد ، كما عادت الى الاذهان تواريخ الثورة الحاسمة مثل ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ وكأن الثورة بدأت تكتب تاريخها وهي على مشارف النهاية • واعتبرت القيادة السياسية الجديدة « الميثاق الوطني » ميثاقا ماركسيا كما اعتبرت أن الهدف من بيان ٣٠ مارس كان امتصاص غضب الشعب بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ • ووصفت الوثيقتين بأنهما مجرد وثيقتين تاريخيتين من الماضي ، كتابات أوحتها الظروف ، وليس لها صفة الاستمرار أو الدوام(٣٦) •

---

(٣٥) لمزيد من التفصيلات عن الاطار السياسي أنظر بحث د. على الدين هلال ، وأيضا بحث د. فؤاد عجمى (فى اطار هذا البحث المشترك) .

The Political Economy of Income Distribution in Egypt, edited by Gouda Abdel-Khalek and Rebert Tignor, Holms & Meier Publishers, Inc., New York, London, 1982.

(٣٦) س ١ ص ١١ ص ٢٤ ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ص ٣٥٨ ص ٣٨٧ ص ٤٠٣ ص ٤٦٤ ص ٤٧٢ — ٤٧٦ ص ٤٩١ ص ٥٠٦ ، س ٢ ص ٢٢٢ ص ٢٧٤ — ٢٨٦ ، س ٥ ص ١٤٨ — ١٤٩ ص ٦٠٩ — ٦١٠ ص ٨١٤ ص ٦٤٠ .

وقد بدأ التراجع السياسي بحل التنظيم الطليعي باعتباره تنظيما ماركسيا سريا مارس أبشع أنواع التعذيب والاضطهاد ضد أفراد الشعب . كما تم استبعاد أنصار القيادة السياسية السابقة من الاتحاد الاشتراكى العربى ومن أجهزة الاعلام ومن الجيش باعتبارهم مراكز قوى . وتم تشكيل منابر ثلاثة داخل الاتحاد الاشتراكى من أجل ممارسة الديمقراطية ، حجر العثرة فى النظام السابق ، وضد احتكار حرية الرأى . فاذا كان المبدأ السادس للثورة ، اقامة حياة ديمقراطية سليمة قد تعطل فى الستينات نظرا لمعارك النضال المتواصلة التى خاضتها الثورة وانشغالها بالبناء الداخلى فانه يعود الآن بفضل القيادة السياسية الجديدة على أسس ثلاثة : الوحدة الوطنية ، والسلام الاجتماعى ، وحتمية الحل الاشتراكى . كان الهدف من المبدأين الاولين استقرار المجتمع والغاء الفروق بين الطبقات . وكان الثالث مجرد أثر باق من آثار الستينات على مستوى الالفاظ والشعارات . وقد رفعت شعارات جديدة تهدف أيضا الى استقرار المجتمع والدفاع عن الوضع القائم مثل « تقنين الثورة » ، « الشرعية الدستورية » فى مقابل الشرعية الثورية ، « سيادة القانون » ، « دولة المؤسسات » ... الخ . كما تم الغاء تصنيف النظم العربية بين نظم تقدمية ونظم رجعية ، وسمى « الاتحاد الاشتراكى العربى » الاتحاد الاشتراكى فقط(٣٧) .

---

(٣٧) وقد تم تقنين هذا الاتجاه بعد ذلك فى كتيب صغير بعنوان « الاشتراكية الديموقراطية » فى الصفحات القليلة عن الوحدة العربية واكده « احتجاب» مصر بعد مبادرة السلام واتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع اسرائيل س ١ ص ٢٧٤ ص ٣٣٠ — ٣٣٤ ص ٣٤١ ص ٣٥١ — ٣٥٣ ص ٣٦٦ — ٣٦٧ ص ٣٨٥ ص ٣٩٧ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ص ٥٠٦ ص ٥٣٠ س ٢ ص ٨١ ص ١١١ ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ص ٣ س ٩١ .

وقد بدأ التراجع الاقتصادى عن الستينات باطلاق يد القطاع الخاص على حساب القطاع العام ، وبالرغبة فى تفتيت القطاع العام بدعوى خسائر الشركات ، وبوضع حد لتدخل الدولة كشريك فى الشركات الاجنبية والتنازل عن دورها فى المشاركة فى رأس المال الوطنى والاجنبى ، وبانهاء التخطيط ، وبتخفيض الدعم ، وبرفع الحماية عن الصناعة الوطنية ، وفتح الباب على مصراعيه للاستيراد ... الخ . وتحولت الاشتراكية الى مجرد رؤية أخلاقية غامضة ، ولم تعد نظاما اقتصاديا . وقد تم تطبيق تكافؤ الفرص فى الخدمات الاجتماعية وحدها مثل التعليم وليس فى توزيع الدخل القومى . لم تعد العدالة ذات مضمون اجتماعى بل أصبحت لفظا عاما مرتبطا بالسلام والحرية فى العلاقات الدولية . وأصبح التعريف المشهور للاشتراكية فى الستينات على أنها كفاية وعدل أقرب الى الكفاية منها الى العدل ، وتحولت الثورة الاشتراكية الى مجرد ثورة ادارية لم تتم(٣٨) .

(ب) سياسة الانفتاح (١٩٧٣) .

تمت صياغة هذا اللفظ الجديد « الانفتاح » لوصف النظام الجديد بعد التراجع عن اشتراكية الستينات التى كانت تقوم على سياسة الانغلاق(٣٩) . والانفتاح لدى القيادة السياسية الجديدة ضرورة عملية

---

(٣٨) س ١ ص ٥٨ ص ٣٥٨ ص ٥١٨ — ٥١٩ س ٥١٩ س ٢ ص ٢٦ ص ٤٤ ص ٦٣ ص ١١٢ ص ١٨٣ ص ٢٨٧ ص ٢٩٨ س ٣ ص ٣١٨ .

(٣٩) استعملت القيادة السياسية لاول مرة « الانفتاح » فى مايو ١٩٧٣ ردا على سؤال صحفى يوغوسلافى عما اذا كان الرئيس يمينا أم يسارا ، ضرب الرئيس المثل بسياسة تيتو الاقتصادية بعد معركته مع ستالين . وبعد ذلك بسنتين ضرب المثل بروسيا واستيرادها للتكنولوجيا الغربية . س ٢ ص ٣ س ٤ ص ١٦٨ س ٥ ص ١٩ — ٣٠ ص ٢٣٧ .

أكثر منه مفهوما نظريا ، يتحـول فيها حرمان الشـعب فى الستينات وسياسة الانغلاق الى اشباع فى النظام الجديد فى السبعينات • وتحتوى هذه السياسة الجديدة على عنصرين : عنصر عام وهـو التكنولوجيا الغربية التى يجب استيرادها وتعلمها ، وعنصر خاص وهى المـواد المحلية والثروات الطبيعية التى يجب استغلالها بمساعدة رأس المال الغربى • فالغرب عامل حقيقى لتقدم العالم ، وصورته فى ذهن القيادة السياسية الجديدة صورة الالكترونيات أى الصناعات الدقيقة الممثلة فى « الترنزستور » !

وقد تم تطبيق سياسة الانفتاح فى كل القطاعات : الاقتصاد الحر فى الزراعة والصـناعة والتجارة والسياحة والبنـوك والتنقيب عن البترول • كما تم انشاء مناطق ومدن حرة لهـذا الغرض • وهـذا يسمح ، طبقا للقيادة السياسية الجديدة ، باطلاق طاقات الشـعب الخلاقة ضـد البيروقراطية والروتين • وبالتالى تصبح مصر سوق النقـد الدولية • ولذلك كان لابد من توفير الاستقرار السـياسى والاجتماعى فى البلاد(٤٠) •

وبعد ثلاث سنوات ، نقدت القيادة السياسية ذاتها سياسـة الانفتاح • فقد حدث اثراء سريع نتيجة للدخول الطفيلية لقلة من الناس • كما زادت الاسعار بسبب سيولة المال فى أيدى الطبقـات المتوسطة فخلقت عدم توازن بين زيادة الاسعار وزيادة الدخـول

---

(٤٠) س ٢ ص ١٨٤ — ١٨٥ س ٣ ص ٣٢١ س ٥ ص ١٢٦ ص ٢٣٧ ، خطاب فى اللجنة المركزية مارس ١٩٧٦ ، خطاب الى الأمة فبراير ١٩٧٧ يوليو ١٩٧٧ .

بالنسبة للطبقات الدنيا • بل ان التفرقة التى تمت فيما بعد بين الانفتاح الاستهلاكى والانفتاح الانتاجى لم تمنع من ظهـور آثار الانفتاح على الطبقات الفقيرة • أصبحت المنتجات الوطنية بلا حماية مثل صناعة الادوية ، وصناعة الكاوتشوك ، وصناعة النسيج • وهـدد التضخم الاستقرار الاجتماعى • كما اتسعت الهوة بين الطبقات ، وعم الفساد ، ووصل الى الوزراء ونواب الوزراء ورؤساء الوزارات • وقد صاحب السياسة الجديدة اعجاب بأسلوب الحياة وبالثقافة الغربية ، رؤيـة فردية للعالم تقـوم على المنافسة والربح مع نسق تقليدى للقـيم لتقوية الترابط الاجتماعى(٤١) •

(جـ) الاشتراكية الديمقراطية (١٩٧٥) •

اذا كانت سياسة الانفتاح هى البديل عن التراجع عن اشتراكية الستينات فان الاشتراكية الديمقراطية هى البديل عن سياسة الستينات• لقد شـعر النظام الجديد بحاجته الى صياغة أيديولوجيته الخاصـة لاسباب ثلاثة : الاول ، معارضة نظام الستينات الذى تصفه القيادة السياسية الجديدة على أنه يمثل اشتراكية القهر أو اشتراكية السجون والتعذيب والمعتقلات • وبالتالى فلن يخطىء الشعب فى الاختيـار بين النظامين • والثانى ، الاعلان عن الايديولوجية رسميا فى يوليو ١٩٧٧ • وكانت المبادرة فى نوفمبر من نفس العام ، كوسيلة للتقارب مـع اسرائيل من خلال الاشـتراكية الدولية • والثـالث ، كانت

---

(٤١) س ١ ص ٥٤٨ ص ٥٧٧ — ٥٧٨ س ٥ ص ٨٢ — ٩٠ ص ١٢٦ ص ١٧١ — ١٧٣ ص ١٩٠ ص ١٩٢ — ٢٩٤ ص ٦٩٣ خطاب فى المؤتمر الوطنى للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧١/٧/١١ ص ٢٦ — ٢٨ •

الايديولوجية تعبيرا عن الطبقة المتوسطة المكونة من التجار ورجال الاعمال والوسطاء والمقاولون وتجار الجملة وكل « الاغنياء الجدد » • وكان الكل فى حاجة الى أيديولوجية لا تقل روعة وعظمة عن اشتراكية الستينات وحتى لا يعملوا فى فراغ نظرى ودون أى ستار عقائدى(٤٢)•

ولقد فسرت القيادة السياسية الجديدة الطابع التجريبى البرجماتى لاشتراكية الستينات لصالحها الخاص من أجل التحول كلية عن الاشتراكية • وقد حدث هذا التحول بناء على ذرائع ثلاث : الاولى ، امكانية تغيير الاشتراكية طبقا للظروف القومية والدولية المتغيرة • والثانية ، حق كل فئة اجتماعية فى التعبير عن ذاتها دون سيادة فئة اجتماعية على أخرى • والثالثة ، توجه كل الجهود نحو الانتاج وليس التوزيع لان ما يهم فى الايديولوجية الجديدة هو التعمير وليس التوزيع • وقد بقى عدد كبير من الاجراءات الاشتراكية الصورية بلا تنفيذ(٤٣) • ولم تكن هناك أيديولوجية متسقة ومتكاملة فى ذلك الوقت بل كانت ومازالت فى حيز التكوين • وكان الهدف من ورقة أكتوبر ١٩٧٤ تصفية اشتراكية الستينات • وكان الهدف من ورقة التطوير من نفس العام تصفية التنظيم السياسى فى الستينات • كانت مهمة القيادة السياسية الجديدة الصراع مع اليسار والذى تتهمه بالحاد والعمالة للاتحاد السوفيتى(٤٤) •

---

(٤٢) س ٥ ص ٨١ — ٩٠ ص ٦٥١ — ٦٥٣ .

(٤٣) وذلك مثل تطبيق قانون الكسب غير المشروع ، التقصى عن الدخول الفردية لموظفى الدولة ، تحديد الاسعار للمواد الرئيسية .. الخ .

(٤٤) س ١ ص ١٣٧ ص ٧١٦ س ١ ص ١٠٢ س ٣ ص ٢٢٢ س ٣ ص ٦١٤ ص ٥ ص ٧٨ ص ٨٢ — ٨٨ ص ١١٧ — ١١٨ ص ١٢٦ ص ٢٤١ =

وقد استخدمت القيادة السياسية الجديدة الدين كما استخدمته القيادة السياسية السابقة ولكن لتحقيق هدف مغاير وكعامل مساعد للتراجع عن الاشتراكية ، وكأحد مبررات اللامساواة الاجتماعية . فاذا كانت القيادة السياسية السابقة قد لجأت الى الدين لصد الهجمات الموجهة اليها من الخارج من الرجعية العربية فان القيادة السياسية الجديدة قد لجأت اليه أيضا ضد المعارضة السياسية الموجهة اليها من الداخل ، من الناصريين والماركسيين والاشتراكيين والديمقراطيين والوحدويين والثوار المسلمين وكل القوى التقدمية التى تود استمرار خط الستينات دون الارتداد عنه(٤٥) . واذا كانت الرجعية العربية هى التى بدأت بالهجوم على القيادة السياسية السابقة متخذة الدين كسلاح سياسى فان القيادة السياسية الجديدة هى التى بادرت بالهجوم على المعارضة السياسية مستعملة أيضا الدين كسلاح سياسى بالرغم من عدم لجوء المعارضة لهذا السلاح على الاطلاق ضد القيادة السياسية الجديدة(٤٦) .

وبناء على تحليل الخطب السياسية تستخدم القيادة السياسية

=

ص ٢٤٨ ص ٢٩٧ ص ٦٥٤ ، خطاب فى المؤتمر الوطنى للاتحاد الاشتراكى العربى ٢٢ / ٧ / ١٩٧١ ص ١١٧ — ١١٩ خطاب فى مجلس الشعب ١٣ / ١٠ / ١٩٧٥ ص ١٣ — ١٤ خطاب فى اللجنة المركزية ١٩٧٥/١١/٢٠ ص ٢ — ٨ ص ٣٦ — ٣٧ خطاب فى مجلس الشعب ١٩٧٦/٨/١٤ ص ٢٥ خطاب فى الذكرى السابعة لعبد الناصر ١٩٧٧/٩/٢٨ ص ٩ .

(٤٥) وقد اتحد الجميع فى « التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى » .

(٤٦) حدث الهجوم والهجوم المضاد خاصة بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ وتحديهم للنظام .

الدين بطريقتين : الاولى ، نشر القيم الدينية التقليدية مثل الايمـان والصبر والحب والاخاء ... الخ والتى ليس لها علاقة مباشرة بتوزيع الدخل مثل المساواة والعدالة الاجتماعية بل علاقة غير مباشرة كموجهات وبواعث لقبول الوضع القائم الذى يقوم على اللامساواة والظـلم الاجتماعى . والثانية ، الهجوم على الالحاد من أجل تشويه صـورة المعارضة السياسية أمام أعين الشعب وزعزعة ثقته به . ويمكن بيان كيفية استخدام القيادة السياسية الجديدة للدين بالنقـاط الاساسية الآتية :

١ ــ أخذ الموضوع المشهور فى الستينات «الاسلام والاشتراكية» منحى جديدا . فاشتراكية الستينات تتعارض تعارضا جذريا مع الاشتراكية « الحقيقية » . اذ يمكن ضمان حقوق الفقراء من الاغنياء دون حقد أو دون استعمال العنف عن طريق المحبة والاخاء ! ولقـد أعطت الشريعة الاسلامية رئيس الدولة الحق فى أخذ فضول أموال الاغنياء دون حقد أو حسد كما كان الحال فى اشتراكية الستينات(٤٧) . كان هدف القيادة السـياسية الجديدة هـو انتزاع دافع الصراع الاجتماعى من الدين واستعماله من أجل الترابط الاجتماعى دفاعا عن الوضـع القائم .

٢ ــ حاولت القيادة السياسية الجديدة أحيانا أن تجـد أسسا دينية للقرارات الاقتصادية فطالبت مثـلا باعادة النظـر فى قانون الضرائب من أجل تحقيق قدر أكبر من العدالة الاجتماعية بنـاء على

---

(٤٧) خطاب الى المواطنين فى الاسماعيلية ، مسجد الشفاء مارس ١٩٧٦ ص ١٨ .

نظرية الاستخلاف ! والحقيقة أنه لا توجد أية صلة بين موضوع اعادة النظــر فى قانون الضرائب وبين هذه النظرية المذكورة التى أصبحت غطاء يستعمله من يشاء لاضفاء الشرعية على مشروعه الاقتصــادى الاشتراكى أو الرأسمالى • بل ان السياسة الجديدة التى لا تشعر بأى حرج فى أن يكسب الانسان ما يشاء بشرط أن يدفع الضرائب على ما يكسب (أو أن يتهرب منها) لا ترتبط فى كثير أو فى قليل ، من قريب أو من بعيد ، بالاشتراكية أو بالاســلام بل تعبر عن توجه رأسمالى خالص واقتصاد حر تم الاعلان عنــه فى سياسة الانفتاح تحت شعار دينى من أجل أن يزداد الاقتناع بها على نحو عقائدى(٤٨) •

٣ ـ معظم القيم التى روجتها القيادة السياسية الجديدة مثل الايمان والصبر والقضاء والقدر والتوكل والعون الالهى والحب ذو طابع سلبى • القصد منها اعداد الجماهير للتسليم بأى قرار سياسى يأتى من أعلى • كما تكشف هذه القيم عن علاقة فردية خالصة بين الانسان والله ، وليس منها ما يعبر عن علاقة اجتماعية بين الانسان والانسان • فهى أقرب الى العبادات منها الى المعاملات • وهذا هو الطابع العام الغالب على كل الايديولوجيات المحافظة ذات الطــابع الصوفى الاخلاقى الباطنى الفردى • الهدف منها القضاء على الجوانب الاجتماعية فى الدين والابقاء على الجوانب الفردية • وبالتالى تتم التضحية بالعالم الخارجى (المجتمع) فى سبيل العالم الداخلى (الفرد)

---

(٤٨) أعطى Hudson أهمية خاصة على تصور كالفن للعلاقة بين الانسان والله ، والانسان كخليفة ، والله كمالك

R. Robertsom : The Sociological Interpretation of Religion, P. 174 Schocken, New York 1972.

وكأن الاخلاق الفردية هو الحل للمآسى الاجتماعية(٤٩) .

٤ — بالمقارنة باشتراكية الستينات التى كان شعارها « شريعة العدل شريعة الله » لم تذكر القيادة السياسية الجديدة « شريعة العدل» كما أصبحت «شريعة الله» صورية خالصة(٥٠) . فاذا أشارت مثلا الى الزكاة كاجراء اجتماعى فى الاسلام وكفرض لتحقيق التكافل الاجتماعى ولتنمية الريف فانها تعنى الفرض الدينى أكثر من الاجراء الاجتماعى، ومن ثم حدث هذا الفصل بين الدين والقضية الاجتماعية ، وأصبح كل منهما ميدانا قائما بذاته لا رابط بينهما الا الاحسان والصدقة وفعل الخير للناس(٥١) .

٥ — وقفت القيادة السياسية ضد أى محاولة لاستعمال الدين

---

(٤٩) اذا كانت دعوى فيبر فى « الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية » صحيحة تكون الاخلاق التى دعت لها القيادة السياسية فى السبعينات مشابهة للاخلاق عند كالفن : فالفداء ، والاختيار ، والزهد ، والتقوى قيم متشابهة فى كلتا الحالتين « ويبدو أن التقوى الخالصة مرتبطة بروح الرأسمالية وبنظرة انسانية عندما تجابه مشاكل العالم الاجتماعى » .

Glenski : the Religious factor P. 329, Doubleday, New York, 1971, R. H. Tawney : Religion and the Rise of Capitalism, Puritanism and society p. 165 — 75. N. A. L. New York, 1954; N. I. Kitch : Capitalism and Reformation p. 151 — 62, Barnes & Noble, New York, 1967; N. Weber : L'Ethique Protstante et L'esprit du Capitalism, Plm, Paris, 1964.

د. حسن حنفى : الدين والرأسمالية . قضايا معاصرة جـ ٢ فى فكرنا المعاصر ص ٢٧٣ — ٢٩٤ دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٥٠) صحيح أن هذا التفسير الباطنى للدين بدأ فى الستينات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ولكن على نحو مؤقت كما يحدث فى كل حضارة فى وقت الهزيمة ، داخليا أو خارجيا كالتصوف فى الاسلام «والمشيانية» فى اليهودية.

(٥١) س ٥ ص ٨٢ — ٨٣ .

لصالح قضية العدالة الاجتماعية كما يفعل الثوار المسلمون أو لاجل المعارضة السياسية كما يفعل الاخوان المسلمون • وتصورت الدين على أنه شعائر خالصة لا شأن لها بالسياسة • كما بقت معظم الافكار الاشتراكية على مستوى الالفاظ • فما أسهل المزايدة على شعارات الستينات • فللفقراء حق فى أموال الاغنياء طالما أن هـذا الحق لا يتجاوز مستوى الكلمات • أما الواقع فانه يتخذ مسـارا مخالفا فى سياسة الانفتاح والاقتصاد الحر • والحقيقة أن العدالة الاجتماعية فى الاسلام ليست فقط ايراد سلسلة من الحجج النصية عليها بـل ما يحدث فى الواقع بالفعل تطبيقا لتوجيهات هذه النصوص(٥٢) •

٦ ــ أصبح التمييز بين الاشتراكية (التى لم تعد توصف بأنها عربية أو علمية كمـا كان الحال فى الستينات بل أنهـا ديمقراطية) والماركسية أحد مرتكزات النظام السياسى الجديد • فالماركسية كما تراها القيادة السياسية الجديدة تنكر الدين بالرغم من الادعاء بأن هذا الموقف الماركسى الاول قد تغير فيما بعد • ولكن لم يصدر حتى الآن أى قرار رسمى فى هذا الموضوع لتأكيد هذا التبدل فى الموقف(٥٣) !

---

(٥٢) الدين لدور العبادة والسياسة للمؤسسات السياسية . والدين أيضا كما تراه القيادة السياسية فى السبعينات ميدانه الفلسفة والتأمل وليس الممارسة السياسية والاجتماعية . ارادت القيادة السياسية تفريغ الدين من فاعليته ونشاطه لقطع الطريق على المعارضة السياسية يمينـا ويسارا . ولذلك اعتبرت الخمينى عدوها الاول .

(٥٣) ترى القيادة السياسية فى السبعينات أن المعارضة السياسية واقعة تحت تأثير الماركسية الملحدة . وقد رفض الشعب مثل هذه الافكار السيئة الملحدة لانه شعب مؤمن . خطاب الى الامة ٢٣ / ٢ / ١٩٧٧ ص ١٠ خطاب فى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١٥ خطاب فى الاتحاد الاشتراكى العربى مارس ١٩٧٦ ص ٧٩ خطاب فى مجلس الشعب ١٩٧٦/٣/٤ ص ٤٤ .

وما أكثر الدراسات عن الماركسية والدين وكيف أن الدين يستخدم أحيانا « أفيونا للشعب » كما أنه يكون أحيانا « صرخة المضطهدين » طبقا للاوضاع الاجتماعية واستخدامات السلطتين الدينية والسياسية له لصالح الاقلية ضد الاغلبية أم لصالح الاغلبية ضد الاقلية .

٧ — ظهرت الاخلاقيات « الابوية » لتكشف عن الطابع الاوتوقراطى للنظام مثل احترام رب الاسرة ، وكبير العالة ، ورئيس الدولة ، وأستاذ الجامعة ، وامام المسجد ، والوزير المسؤول ، وخفير القرية ، وشرطى الطريق ... الخ . وكلهم يمثّلون الصورة الابوية التى على كل انسان احترامها وطاعتها(٥٤) . والخروج عليهم خروج على التقاليد، ونقدهم نيل من المؤسسات التى يمثلونها . ولذلك كانت « أخلاق القرية » أفضل من أخلاق المدينة ، وأخلاق الفلاح أقوم من أخلاق العامل ، والمطيع للسلطة أكثر صلاحية من المعارض لها .

٨ — أصبح العلم والايمان شعار للدولة الحديثة . والحقيقة أن العلم مفهوم غربى فى أذهان الناس ، ويفسح المجال للتكنولوجيا

---

(٥٤) ترى القيادة السياسية فى السبعينات أن افضل الافلام فيلم « وبالوالدين احسانا » حيث يعود فيه الابن تائبا الى الوالدين طالبا العفو والمغفرة لعصيانه . واسوأ فيلم أو جريدة أو حزب سياسى أو طلبة أو عمال أو نقابة صحفيين أو نقابة محاميين .. الخ هو الذى يقوم بعملية النقد الاجتماعى . كل ثورة ضد السلطة عيب . وعلى كل صحفى ونائب وطالب وكاتب وسياسى ... الخ أن يتبع القيم التقليدية مثل احترام السلطة وطاعتها والا خضع سلوكه لقانون العيب . وطالبت القيادة السياسية من مجلس الشعب اصدار « قانون العيب » وتكوين لجنة برلمانية للقيم لفرض سلوك النواب الذين ينتقدون أو يعارضون وكأن أخلاق الشعب هى أخلاق القبول وليست أخلاق الرفض .

الغربية • واستيراد التكنولوجيا يشـــابه استيراد البضائع الكماليـــة واستيراد أنماط الاستهلاك الغربى كما بدت فى سياسة الانفتاح • والايمان قيمة تقليدية تقبلها الجماهير على الاطلاق وتجعلها مطيعة طيعة ، مستعدة لقبول ما تعطيه لهـــا أية سلطة خارجية ، الغرب أو السلطة السياسية أو الارادة الالهية • ويستعمل الايمان هنا كباب خلفى يدخل منه التغريب (وما يتعلق به من رأســـمالية واستعمار) والتسلط • والحقيقة أن الايمان بهذا المفهوم التقليدى لا يســـاعد الشعب على النضال من أجل التغير الاجتماعى أو على الابداع من أجل خلق علومه الخاصة المرتبطة بقضاياه الوطنية(٥٥) •

وبينما استعملت القيادة السياسية فى الستينات حججا عقلية تعتمد على سلطة العقل وحده استعملت القيادة السياسية فى السبعينات حججا نصية تعتمد على سلطة الكتاب • كذلك ظهرت النصوص الدينية فى خطب القيادة السياسية الجديدة أكثر من ظهورها فى خطب القيادة السياسية السابقة • وكانت هـــذه النصوص تقوم بوظيفة التحليل الاجتماعى والاقتصادى فى الخطابة السياسية • وقد تم اســـتبعاد الاحصائيات حتى لا تعكس الصورة الفعلية لسوء توزيع الثروة • وبينما تتجه النصوص الدينية عادة نحو المشاعر الدينية تزييفا للوعى فان التحليل الاجتماعى السياسى القائم على المادة الاحصائية غالبا

---

(٥٥) لذلك سهل اتهام أى معارضة سياسية بنقص الايمان وبالالحاد وبالعمالة للاتحاد السوفيتى . والايمان هو قبول الارادة الالهية أى استحالة المعارضة . والحقيقة أن تصور القيادة السياسية فى الستينات لارادة التغيير قد يكون المضمون الحقيقى للايمان بلا نفاق .

ما يتجه الى العقل توعية للجماهير(٥٦) •

وعلى هذا فان استخدام القيادة السياسية للدين كاجراء دفاعى سواء للدفاع عن المساواة الاجتماعية ضد الرجعية العربية فى الستينات أو للدفاع عن اللامساواة الاجتماعية ضد المعارضة السياسية فى السبعينات كان فى حقيقة الامر دعاية سياسية فى أجهزة الاعلام لاقناع الجماهير بمشروعية قرارات السلطة السياسية أو بمشروعية وجودها ذاته وليس كعامل مؤثر تأثيرا مباشرا فى توزيع الدخل القومى •

ثالثا : المؤسسة الدينية واستخدام الدين لتبرير قرارات القيادة السياسية :

المؤسسات الدينية والعلمانية فى العالم العربى والاسلامى باستثناء ايران والدولة الشيعية ، جزء من الدولة • فالعلماء والكتاب والاساتذة والصحفيون والفنانون ••• الخ موظفون فى الدولة • لم تكن المؤسسات مستقلة بل كانت تتبع السلطة السياسية وتبرر قراراتها الاجتماعية والسياسية(٥٧) • وهذا اقرار بواقع تاريخى سياسى

---

(٥٦) اعتادت الخطب السياسية فى السبعينات، أن تنتهى بآيات قرآنية تفيد معانى التواضع واحتمال الخطأ ، وتسأل الله العون والهداية وتدرك معنى زوال الحياء وفناء الدنيا ... الخ تملقا للجماهير وطلبا لثقتها . والحقيقة أن مظاهر والفاظ التواضع هذه انما تكشف عن رغبة دفينة للسيطرة واحساس بالعظمة والغرور .

(٥٧) « ان اتجاه الاسرة الحاكمة أو الحاكم الفردى سواء كان سنيا أو خارجيا كان دائما وفى كل مكان عاملا محددا للعلاقة بين الدين والدولة فى الاسلام » .

J. Wach : Sociology of Religion P. 306, University of Chicago Press, Chicago, 1967.

اجتماعى وليس حكما على أصل الشرع الذى أعطى الاستقلال الكامل للسلطة القضائية وعدم جواز عزل قاضى القضاة بعد تعيينه •

وقد نفت القيادة السياسية فى الستينات والسبعينات على حد سواء علنا تدخلها فى شؤون رجال الدين • ومع ذلك لم يكن الامر كذلك بالفعل • ففى الستينات أصدر الازهر فتوى ضد قاسم فى العراق متهما اياه بالالحاد • كما أصدر فقهاء العراق فتوى مضادة ضد فقهاء مصر ! وسواء أصدر رجال الدين هنا أو هناك هذه الفتوى بناء على طلب السلطة السياسية أو بمبادرتهم الخاصة فالنتيجة واحدة وهى أنهم يسيرون فى ركاب السلطة السياسية ويعملون على تبرير قراراتها(٥٨) •

وقد استخدمت المؤسسات الدينية فى السنينات الدين من أجل الدفاع عن الاشتراكية(٥٩) • كما أدخلت المؤسسات العلمانية مثل

« فى العالم الاسلامى يأتى تهديد الاوضاع المستقلة للدين من الحكومة » « وتسود الحكومة الآن ... هذه المؤسسة ..

Smith : Op. Cit. P. 204.

الدينية (الازهر) . فهو فى الحقيقة آلة طبيعة فى يد الحكومة وعاجز عن أن يقوم بأى فعل مستقل كجماعة ضاغطة لها مصالحها الخاصة »

Smith : Op. Cit. P. 129 — 30.

(٥٨) وزير الاوقاف ، شيخ الازهر ، رئيس مجمع البحوث الاسلامية، السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى ، ائمة المساجد ، وزير الاعلام ، رئيس هيئة الاذاعة والتليفزيون ، رؤساء تحرير الصحف والصحفيون ، رؤساء الجامعات ورئيس الحزب الحاكم ، كل هؤلاء موظفين فى الدولة .

(٥٩) « وقد شعر مشايخ جامعة الازهر حديث بأن عليهم الاسراع باصدار فتاوى لبيان الشرعية الاسلامية لبعض سياسات ناصر الثورية »

D. E. Smith, Op. Cit. P. 43.

الجامعات والمؤسسات السياسية والجمعيات العلمية ومراكز الابحاث ... الخ الدين فى برامجها التعليمية ونشاطاتها الثقافية لاثبات الطابع التقدمى للاسلام وبيان الجوانب الاجتماعية فيه .

فقد أقر مجمع البحوث الاسلامية وضع حد أقصى للملكية فى الاسلام . وأعطى رئيس الدولة الحق فى التأميم عندما تصبح الملكية الفردية ضد المصالح العامة بناء على عدة مبررات منها : تحريم الاسلام الملكية المطلقة ، ومصادرته لاموال المعتوه والابله ولكل من يسىء استعمال الثروة ، وتحريم الاسلام ملكية الارض دون استغلالها، وتحريمه تجميع الملكيات الكبيرة فى أيدى القلة من الملاك وترك الاغلبية من الفلاحين المعدمين بلا أرض كأجراء زراعيين ، وتحريم الاسلام تكديس الاموال فى أيدى القلة تفاديا لمخاطر الاحتكار والاستغلال ، وضرورة رد الاموال المغتصبة لاصحابها الحقيقيين والا تجب على الدولة مصادرتها ، وحق السلطة السياسية فى فرض ضرائب على الاغنياء للصالح العام(٦٠) .

ونشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية مؤلفات كثيرة للدفاع عن اشتراكية الستينات على أسس اسلامية . كما نشر « الميثاق الوطنى » فى أحد أعداد سلسلة «دراسات وبحوث اسلامية » وكأنه

« وقد كانت هذه فتوى محمود شلتوت « الاشتراكية والاسلام » فقد ربط الازهر نفسه دائما بسياسات الحكومة القائمة . فالاشتراكية الاسلامية متطابقة مع الشريعة الاسلامية » .

K. H. Karpat : Political and social Thought in the contemporary Middle East, p. 129 — 32, Praeger, New York, 1968.

(٦٠) الاهرام ١٩٦٤/٣/١٠ ، ١٩٦٤/٤/٦ .

وثيقة اسلامية أصيلة • كما نشرت عدة كتيبات تأخذ شعارات اشتراكية الستينات عناوين لها مثل « نداء الميثاق الوطنى نداء الاسلام » ، « شريعة العدل شريعة الله » • كما صدرت دراسات أخرى تعرض الافكار الاسلامية حول المساواة ووسائل محاربة الجوع(٦١) • كما نشر المجلس كتبا اسلامية عن القومية العربية التى يظهر فيها الاسلام كدعامتها الاساسية(٦٢) •

ووزعت وزارة الاوقاف على كل خطباء المساجد خطب الجمعة وموضوعها الاشتراكية فى الاسلام ، ومفاهيم العدالة الاجتماعية والمساواة • ونشرت سلسلتان « مكتبة الامام » ، « زاد الخطيب » لاعطاء نماذج موحدة لخطب الجمعة حول الموضوعات الاجتماعية فى الاسلام مثل العدالة الاجتماعية والمساواة فى الاسلام ، وتقديس العمل فى الاسلام ، وحقوق العمال فى الاسلام ، والقيم الاجتماعية فى الاسلام ، وتحذير الاسلام من زيادة الاستهلاك •

وأنشأ الاتحاد الاشتراكى العربى مكتبا خاصا للشؤون الدينية للقيام بحملة دعائية حول موضوع الاسلام والاشتراكية وللهجوم على

---

(٦١) وهناك بعض المؤلفات الاخرى مثل : دراسات فى الاسلام ، الاسلام والنظم الاقتصادية ، الاشتراكية فى الاسلام والاشتراكية فى الغرب، الربا بين الاقتصاد والدين ، مجتمعنا الجديد والشريعة الاسلامية ، الفرد فى المجتمع الانسانى ، حدود الملكية الخاصة فى الاسلام ، الاسلام والتحرر من الجوع ، المناهج الاسلامية فى الاقتصاد والتوفير .

(٦٢) بعض هذه المؤلفات مثل القومية العربية فى الاطار الاسلامى والواقع العربى ، التكافل والتضامن الاجتماعى فى الاسلام ، فلسفة الحرية فى الاسلام ، أثر الشريعة الاسلامية فى الوحدة العربية ، الحرية عند العرب ، العمل فى « الميثاق » ، الاسلام نظام انسانى .

الرجعية العربية وكشف استخدامها للدين لاستغلال الجماهير العربية • وعقد المكتب اجتماعات دورية مع العلماء وأئمة المساجد ومفتشيها لاعطائهم توجيهات أيديولوجية لتبليغها الى المصلين • كما نظم المكتب عدة محاضرات وندوات حول الاسلام والاشتراكية • ونشرت المجلة الاسبوعية « الاشتراكى » التى كانت تصدر فى ذلك الوقت عدة مقالات عن الدين والاشتراكية والرد على التفسير الرجعى للاسلام • كما تضمنت الكتيبات التى يصدرها الاتحاد العربى الاشتراكى لتثقيف أعضاء منظمة الشباب فى دوراتهم التدريبية عدة فقرات حول الطابع التقدمى للاسلام مماثلة للفقرات التى وردت فى « الميثاق الوطنى » حول الدين والتقدم بوجه عام •

وقد انضمت المؤسسات العلمانية الى الحركة بل ونافست المؤسسات الدينية ذاتها • فقد أدخلت الجامعات مادة « الاشتراكية العربية » ضمن مقرراتها بعناوين مختلفة مثل « ثورة ٢٣ يوليو » ، « القومية العربية » ، « الاشتراكية العربية » ، « المقرر القومى » • وأصبحت وسيلة لتأليف كتب جامعية توزع بالآلاف ويكسب من ورائها الاساتذة آلافا أخرى • كما نافس أساتذة الجامعات رجال الدين ، وألفوا فى موضوع « الاسلام والماركسية »(٦٣) • عمل الاساتذة والعلماء معا لخدمة السلطة السياسية ، وتناسوا خلافاتهم القديمة حول التحديث والعلمانية • وقد نشرت معظم المجلات الشهرية التى تصدرها وزارة الثقافة ووزارة الاوقاف مقالات عدة فى أعداد خاصة

---

(٦٣) محمد عرفة (عضو هيئة كبار العلماء) الاسلام أو الشيوعية ؟.

عن «الاسلام والاشتراكية»(٦٤) • وقد تابع كل الكتاب القيادة السياسية فى الدفاع عن الاشتراكية والهجوم على خصومها • وصدرت عـدة كتب دعائية بعد ١٩٦٢ عن « الاسلام والاشتراكية » يكرر كل منهـا الآخر وتنفيذا لسياسة الدولة(٦٥) • ولا يكاد يخلو كتاب واحد عن الاشتراكية الا وفيه فصل عن الاشتراكية الاسلامية أو عن الاسس الاشتراكية فى التراث الروحى الاسلامى(٦٦) • وقد كان الهدف من كل

---

(٦٤) فؤاد زكريا : الاشتراكية والقيم الروحية ، الفكر المعاصر ، اكتوبر ١٩٦٩ . أحمد عباس صالح : اليمين واليسار فى الأسلام ، الكاتب. فوزى منصور : التفسير الاسلامى للاسلام ، لاطبقات اجتماعية فى الاسلام، الطليعة ، محمد أحمد خلف الله : الديمقراطية فى الشريعة الاسلامية ، الطليعة . المدنى : الاشتراكية الاسلامية ، مجلة الازهر ، نوفمبر ١٩٦١ . الشرباصى : النظام الضريبى فى الاسلام ، مجلة الازهر ، العدد ١٩٦٢/١٢، العدد ١٩٦٣/١ ، الاسلام دين المساواة ، لواء الاسلام ، ١٩٦٢/١١ . الرافعى الاشتراكية الاسلامية ، نور الاسلام ١٩٦٢/١٢ ، ١٩٦٣/٩١ ، المصرى : الاقتصاد الاسلامى ، منبر الاسلام ١٩٦٣/١٢ ، الطنطاوى : الاشتراكية فى الاسلام منبر الاسلام ١٩٦٢/١٢ ، البهى الخولى : الاسلام والتضامن الاجتماعى ١٩٦٢/٦ ، كمال أبو المجد : المعنى الانسـانى فى الاسلام ، منبر الاسلام ١٩٦٢/٦ . غالب : الاسلام ومبادىء التنظيـم الاجتماعى ، ١٩٦٢/١٢ ، الجندى : العلاقة بين العمل والايمان فى الاسلام، منبر الاسلام ١٩٧٤/٢ .

(٦٥) الدورى : المنهج الاشتراكى فى دعوة الاسلام ، ١٩٦٣ • احمد فراج : الاسلام دين الاشتراكية ١٩٦١ ، عبد المجيد سعيد : الاسـلام والمصادر العقلية للاشتراكية العربية ، ١٩٦٢ ، عبد الرحمن الشرقاوى : المبادىء الاشتراكية فى الاسلام ، الهمشرى : مع الدين من أجل الاشتراكية، ١٩٦٩ .

(٦٦) نوال السعداوى : الاشتراكية العربية والثورة الاشتراكية ، الاشتراكية الاسلامية ص ٢١ — ٣٩ . يحيى هويدى : الفلسفة فى الميثاق ص ١١٩ — ١٣٠ ، عبد الرحمن نصير : العدالـة الاجتماعية والدين والاخلاق ص ١٢ — ١٥ .

هذه الكتابات اضفاء الشرعية على عمليات التغير الاجتماعى(٦٧) .

وقد شاركت أجهزة الاعلام فى هذه الحملة . فقد أذيعت عدة برامج فى الاذاعة والتليفزيون عن موضوع « الاسلام والاشتراكية » وخصصت الصحف اليومية فى صفحاتها الدينية يوم الجمعة عدة مقالات عن العدالة الاجتماعية والمساواة فى الاسلام . وكانت المناسبات الدينية مثل العيدين ورأس السنة الهجرية وموالد آل البيت والاولياء مناسبات رائعة لمدح السلوك الاشتراكى الذى ضربه الاولياء ! كما ألف الادباء عدة مسرحيات وقصص وروايات وقصائد حول الصراع بين الاغنياء والفقراء . كما شدا معظم الفنانين والفنانات بأغانى وطنية واجتماعية حول الاشتراكية وانجازاتها وحقوق العمال والفلاحين(٦٨) .

وقد لعبت المؤسسات الدينية والعلمانية فى السبعينات نفس

---

(٦٧) « كان الدافع على كثير من هذه الكتابات حول « الاسلام والاشتراكية » اعتبارات دفاعية ، والرغبة فى اقناع القارىء بأن كل الافكار النافعة الحديثة موجودة سلفا فى القرآن . كانت معظم هذه الدراسات اذن سطحية من الناحية النظرية ، تميل الى اضفاء الشرعية على التقليد وليس على التغير مثل القول بأن نبى الاسلام كان أكبر اشتراكى عرفه العالم . لم يطلق على اتباعه لفظ التلاميذ أو التابعين بل الاصحاب أى الرفاق » .

D. E. Smith : Op. Cit. P. 227 cited in W. C. Smith : Modern Islam in India, Social Analysis P. 105.

(٦٨) كتب بعض مشاهير الكتاب المسرحيين مثل نعمان عاشور « الناس اللى فوق » « الناس اللى تحت » . وكتب يوسف ادريس « الفرافير » ، ونجيب محفوظ « اللص والكلاب » ، « السمان والخريف » . وقد عرف عبد الحليم حافظ بأغانيه عن الاشتراكية بأنه « مغنى الثورة » كما صور بعض الشعراء مظاهر الفقر فى مصر مثل صلاح عبد الصبور « الناس فى بلادى » ، عبد المعطى حجازى « مدينة بلا قلب » .

الدور ولكن بصــورة أقل مما لعبته فى الستينات لعدة أسباب(٦٩) • الأول أن القيادة السياسية فى السبعينات لم تكن فى حاجة الى أى تبرير دينى لهذا التراجع التدريجى عن اشتراكية الستينات نظــرا لان الطبقة الحاكمة كانت تجد فى مصالحها الاقتصادية والسياسية التى تدعمها الولايات المتحدة الامريكية والشركات المتعددة الجنسيات أفضل دعامة لها • والدعامة المادية فى النهاية أرسخ بكثير وأقــوى من الحملات الدعائية المنظمة التى لم تستطع بالرغم من شدتها وعلو صوتها وملأ ملايين من الصحفات ترويجا لها حماية اشتراكية الستينات بعــد التراجع التدريجى عنها بفعل تغير القيادة السياسية • والثانى ، أن النظام السياسى فى السبعينات لم يكن له نفس القدر من التنظير الايديولوجى الذى كان للاشتراكية فى الستينات(٧٠) • وبالتالى كان من الصعب على المؤسسات الدينية والعلمانية فى السبعينات الدفاع عن نظام سياسى لا يقوم أساسا على دعائم آيديولوجية بل على مصــالح الطبقات الاجتماعية الحاكمة • اذ يحتاج الدفاع النظرى الى نسق من الافكار والعقائد يمكن فهمها وايجاد منطقها ومبرراتها حتى يمكن الدفاع عنها ، وبها قدر كاف من الصدق الفكرى والتعبير عن مصالح الامة • والثالث ، لم يجد النظام السياسى فى السبعينات العدد الكافى

---

(٦٩) ساهم عديد من هــؤلاء الكتاب فى عملية التراجــع عن الخط الاشتراكى فى الستينات الى السبعينات ودافعوا عن النظام السياسى الجديد بعد أن كانوا من أعمدة النظام السياسى السابق • وموظفو الدولة على استعداد دائم لتبرير قراراتها لاسباب تتعلق بلقمة العيش •

(٧٠) مثل الاشتراكية العربية ، عدم الانحياز ، القضاء على الاستعمار ، مناهضة الصهيونية •••• الخ ••

من التابعين السياسيين له كما كان الحال فى الستينات بل وجد مهنيين وموظفين ورجال أعمال وأصحاب مصالح فعلية ومستفيدين من النظام القائم • لم يجد العدد الكافى من المنظرين السياسيين بعد أن ابتعدت معظم التيارات السياسية الاساسية وانزوت عن المشاركة فى تدعيم النظام القائم سـواء من الناصريين أو الماركسيين أو الليبراليين أو الاسلاميين •

ولذلك طلب من أساتذة الجامعات رسميا المساهمة فى وضـع عقيدة اشتراكية جديدة فأصدروا وثيقتين(٧١) • الاولى ، أصبح الدين فيها الدعامة الاساسية للايديولوجية الجديدة فى مقـابل أيديولوجية الستينات التى عبر عنها « الميثاق الوطنى » • كما أصبح على الاقل على مستوى الالفاظ المصدر الرئيسى فى التشريع فى النظام الاجتماعى • وقد حاولت الوثيقتان صياغة نظرية التوازن باعتبارها العنصر الرئيسى فى أيديولوجية الحزب الحاكم ، أولا حزب الوسط أو حزب مصر ، وأخيرا الحزب الوطنى الديمقراطى • ويقع هذا التوازن بين الفـرد والمجتمع ، بين القيم المادية والقيم الروحية ، بين الدنيا والآخرة ، وأخيرا بين العلم والايمان • والايمان فى النهاية هو القادر على حفظ هذا التوازن فى شتى مظاهره(٧٢) •

والحقيقة أن مفهوم التوازن مناقض تماما لمفـاهيم التحـول

---

(٧١) « الاشتراكية الديموقراطية » ، المجلس الاعلى للجامعات ، (الكتاب الاخضر) يوليو ١٩٧٧ ، اشتراكيتنا الديموقراطية وايديولوجية ثورة ١٥ مايو (الكتاب الابيض) يوليو ١٩٧٨ .

(٧٢) اشتراكيتنا الديموقراطية ، مطابع جامعة القاهرة ص ١ — ٧ .

الإشتراكى والصراع الطبقى • يحدث التوازن بين جانبين عندما يكون لهما نفس الثقل ، وهو ما لا يحدث الا فى المجتمعات الطوباوية • انما الهدف من أيديولوجية التوازن هو الحفاظ على الوضع القائم الذى يقوم على عدم التوازن بين مصالح الطبقات باسم الدين • وبالرغم من استعمال عشرات من النصوص الدينية لتأييد مفاهيم التوازن والوسط والتوسط والاعتدال الا أنها تستعمل كلها كستار دينى على سوء توزيع الدخل القومى والثروة الوطنية • وكل محاولة لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية فانها توصف بانها مناهضة للدين •

وفى الوثيقة الثانية « الاشتراكية الديمقراطية » يظهر نفس التصور القانونى للدين • اذ يسمح بوضع قيود على الملكية تضعها الدولة من أجل الصالح العام • فقد اتفق جمهور الفقهاء على نظرية « الاستخلاف » التى تعنى بمصطلحات العصر أن الملكية وظيفة اجتماعية • الله يملك كل شىء والانسان مستخلف فيه • للانسان حق الاستعمال والتصرف والاستثمار ولكن ليس له حق سوء التصرف والاستغلال أو الاحتكار • يقوم النظام الاسلامى على التكافل ، ويعطى الضمان الاجتماعى لكل مؤمن • وللفقراء حق فى أموال الاغنياء(٧٣) • وقد يذكر لمثل هذه الايديولوجية بعض المحاسن على مستوى الفقه النظرى ولكن المشكلة هو فى تعارضها مع السياسات المنفذة بالفعل مثل الاقتصاد الحر وسياسة الانفتاح • وبالتالى ظل الدفاع الدينى عن التكامل الاجتماعى لفظيا دون أى أثر على عملية اصدار القرار • وكانت وظيفته مجرد اعطاء الستار الدينى لسياسات

---

(٧٣) الاشتراكية الديموقراطية ص ٤٣ — ٤٤ ، القاهرة ١٩٧٨ •

اجتماعية مضادة(٧٤) .

وقد ظهرت معتقدات الطبقة العليا فى كلتا الوثيقتين . فمثلا تحولت أخلاقيات العمل فى الستينات الى أخلاقيات الطبقة المترفة فى السبعينات . فبالرغم من أن العمل حق مقدس فانه لم يعتبر المصدر الوحيد للدخل . اذ يمكن الحصول على الثروة من العمل ولكن العمل ليس هو المصدر الوحيد للثروة . فالانسان ليس فى حاجة لان يعمل ليعيش . وكأن النظرية هنا تفسح المجال للرشاوى والعمولات والمضاربات وجميع أنواع المفاسد والكسب غير المشروع كمصادر شرعية للدخل . كما تسمح بتكوين رأس المال الطفيلى فى الطبقات العليا والمتوسطة(٧٥) .

ولم تدافع المؤسسات الدينية والعلمانية عن سياسة الانفتاح فى

---

(٧٤) مثلا : أولوية القطاع العام ، الغاء الدعم عن المواد الغذائية ، حرية التصدير والاستيراد ، رفع الحراسات عن ملاك الارضى السابقين ، واعادة البورصة وسوق الاوراق المالية .... الخ .

(٧٥) الاشتراكية الديمقراطية ص ٧٧ ، اشتراكيتنا الديمقراطية ص ٢٨ ، واثناء انتفاضة يناير ١٩٧٧ التى وصفتها القيادة السياسية بأنها انتفاضة « حرمية » وليس انتفاضة شعبية ، وفى ليالى منع التجول الثلاث ، ألقى وزير الاوقاف الشيخ أحمد متولى الشعرواى فى الراديو والتليفزيون خطبة ذات دلالة كبيرة ، وهو شخصيته تلفزيونية رئيسية ، متوحشا بالبياض ، وبلحية طويلة ، وبحركات مسرحية ، مبررا رفع الاسعار الذى كان السبب المباشر لانتفاضة الشعب . فالطبيب يصف الدواء للمريض ، وكذلك الحكومة ترفع الاسعار للشعب وكلاهما يبغى الشفاء . كما أذاع التليفزيون فى أول ليلة لمنع التجول مسرحيته « مدرسة المشاغبين » واصفا الطلبة بالحمق والغباء الذين يثورون على اساتذتهم .

السبعينات لعدة أسباب • الاول ، أنه لم يكن من السهل التغاضى عن الجانب الاجتماعى فى الاسلام ولوى الحقائق والنصوص الدامغة على اشتراكية الاسلام • والثانى ، أنه لم تكن هناك هجمات من الخارج ضد القيادة السياسية الجديدة تستخدم الدين ضد سياسات الاقتصاد الحر وبالتالى لم تنشأ الحاجة الى الرأى المضاد واستخدام نفس السلاح كما كان الامر فى الستينات(٧٦) • والثالث ، أن سياسة الانفتاح كانت تجد من يدافع عنها داخل البناء الاجتماعى ذاته وفى التركيب الطبقى للمجتمع دون ما حاجة الى سلاح نظرى عقائدى والتمويه لعى الناس بالدعاية والاعلان والدخول فىمعارك عقائدية لا يأتى منها كسب ، والوقت هو المال(٧٧) •

ومع ذلك ، قامت أجهزة الاعلان بشن حملة دعائية تعد الشعب بالرخاء فى ١٩٨٠ م فى ١٩٨٢ ثم فى ١٩٨٥ وبانهاء الازمة الاقتصادية كلية عام ٢٠٠٠ ، وبدأ الحديث عن مصر عام ٢٠٠٠ • حينئذ تصبح مصر قطعة من الولايات المتحدة الامريكية ، بعد الثورة الخضراء ، ومشروعات الامن الغذائى ، وتعمير الصحارى ، واستصلاح الاراضى ، وانشاء المدن الجديدة ، وتعمير السواحل شرقا وشمالا ، ورسم

---

(٧٦) لم تستعمل الدول العربية المحافظة الدين ضد القيادة السياسية فى السبعينات كما فعلت فى الستينات لانها كانت تقوم على نظام الاقتصاد الحر . كما أن البلاد العربية التقدمية لم تستعمل الدين بعد ارتداد القيادة السياسية فى السبعينات لانها كانت نظما علمانية .

(٧٧) اليسار الدينى فى مصر حتى الآن غير مرئى ، وله دور صغير جدا داخل أحزاب المعارضة وامكانياته للحركة ضئيلة للغاية .

خريطة جديدة لمصر ! كل ذلك أشبه بخطط سحرية تحقق هذه الوعود • هذا الخلاص الاقتصادى فى المستقبل يعتمد على الخلاص الدينى ، الامل فى المستقبل فى حياة وفى عالم أفضل(٧٨) • وقد لاقت زيارة نيكسون الى مصر فى ١٩٧٤ ومبادرة السلام فى ١٩٧٧ حماسا شديدا كمؤشرين للخلاص القريب بالوفرة والرخاء • ثم استيقظ الشعب من أحلامه وواجه أزمته الاقتصادية وثار على غلاء الاسعار كما صدرت فى يناير ١٩٧٧ •

كما أصدرت بعض المؤسسات السياسية بعض التشريعات تعتمد فى الظاهر على الدين كعامل اجتماعى مسكن مثل قانون العقوبات ، ولم يكن الهدف منه الدفاع عن الدين بقدر ايقاف عمليات التغير الاجتماعى(٧٩) • وقامت اللجان فى مجلس الشعب لتقنين الشريعة الاسلامية ابتداء من تحريم الخمر على المصريين وحدهم دون السياح الاجانب بما فيهم الاخوة العرب وفى شهر رمضان وحده دون باقى شهور السنة ! وحد الزانى ، وحد القاذف ، وحد قاطع الطريق ، وحد الردة ، وحد تارك الصلاة والصيام • كلها حدود رادعة القصد من سنها

(٧٨) وهذا معروف فى علم الاجتماع الدينى باسم « دين مركب البضاعة» انظر د. حسن حنفى . الحوار الدينى والورة ص ٣٢٥ — ٢٣٠ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ (بالانجليزية) .

(٧٩) كان تطبيق الشريعة الاسلامية فى ١٩٧٦ أحد التوجيهات الرئيسية لكل المؤسسات للعمل على تنفيذه . وقد ناقش مجلس الامة القانون الجنائى فى الاسلام وفى مقدمته قطع يد السارق ، وتحريم الخمر . كما وافق مجلس الدولة فى ١٩٧٧/٨/٦ على قانون الردة وعقوبة المخالف فيه أما الاعدام أو عشر سنوات من السجن فى حالة الردة المتكررة بعد التوبة .

حصار طاقات الشعب ومنعه من الحركة خشية أن تتحول طاقاته لصالح القضية الاجتماعية •

رابعا : ثقافة الجماهير كاستمرار تاريخى متشابه للمساواة واللامساواة:

بالرغم من وجود اختلاف كبير واضـــح بين القيادة الثورية فى الستينات والقيادة التقليدية فى السبعينات فان هـــذا الفرق يبدو أكثر ظهورا على مستوى المؤسسات الدينية •

وبالرغم من أنها فى كلتا الحالتين أدت نفس الوظيفة وهـــو الدفاع عن القرارات السياسية الا أن الاختلاف بينها كان فى درجة الالتزام والحماس والاقتنــــاع (بدرجة أقل فى السبعينات عنهـــا فى الستينات) • أما على مســـتوى ثقافة الجماهير فلم يحدث الا تغيير طفيف • فقـــد ظلت ثقافة الجماهير كما كانت عليه منذ ألف عـــام استمرارا تاريخيا تقليديا لم يتغير • وقد تم استخدامه أيضـــا من القيادتين السياسيتين فى الستينات والسبعينات على حد سواء لتجنيد الجماهير تأييدا للسياسات المتبعة فى كلا العهدين •

وقد كان اللجوء الى ثقافة الجماهير نتيجة طبيعية لنوعية المجتمعات التقليدية • فالدين فيها تراث شعبى له فاعليته ، يسهل استخدامه لغرز عقائد جديدة فى الجماهير • وهـــو فى البلاد النامية يلعب نفس الدور الذى تلعبه الايديولوجيات السياسية فى البلاد المتقـــدمة • ثقافة الجماهير هى القنوات الطبيعية الموصلة بين القيادة والجماهير فيما وراء الاحزاب السياسية والمؤسسات الدستورية • ومن هنا أتت أهمية الخطابة السياسية فى التأثير على الجماهير وتغيير مسارها من اتجاه الى اتجاه مضاد فى يوم وليلة •

ولم تلجأ القيادة السياسية فى الستينات الى استخدام ثقافة الجماهير كما فعلت القيادة السياسية الجديدة فى السبعينات لعدة أسباب أهمها :

١ ـ كان للقيادة السياسية فى الستينات طابع الزعامة « الكاريسمية » للتعبير عن آمال الجماهير ولتلبية احتياجاتها ، وكانت على اتصال مباشر بالجماهير تعبر عن مصالحها وتدافع عن كيانها • ولكن القيادة السياسية فى السبعينات لم يكن لها نفس طابع الزعامة « الكاريسمية » حتى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ • وبالتالى كانت فى حاجة الى اقناع الجماهير بقيادتها بعد استبعاد أنصار القيادة السياسية السابقة فى مايو ١٩٧١ • كانت فى حاجة الى اضفاء الشرعية عليها فاتجهت نحو ثقافة الجماهير تجد فيها مطلبها • ولما كان الدين يمثل تيارا أساسيا فى ثقافة الجماهير فان اللجوء اليه كن أسرع وسيلة للايحاء والاقناع •

٢ ـ لم تكن القيادة السياسية فى الستينات فى حاجة الى تقوية نظامها دفاعا عن ذاتها وهجوما على المعارضة السياسية باستعمال ثقافة الجماهير • كانت قوتها نابعة من شخصيتها التاريخية ومن قيادتها للعمل الوطنى منذ ١٩٥٢ ومن زعامتها الثورية ومن جماهيرها العربية ومن تأييدها الشعبى(٨٠) • وعلى العكس من ذلك لم تكن القيادة السياسية فى السبعينات بنفس الدرجة من القوة • فقد أتت بعد انقلاب صامت فى السلطة فى مايو ١٩٧١ بعد أن كانت معظم أجهزة

---

(٨٠) كما ظهر فى أضعف لحظاته مثلا فى ٩/ ١٠ يونيو ١٩٦٧ .

الدولة فى أيدى الناصريين : الجيش ، والبوليس ، والمخابرات العامة ، والاتحاد الاشتراكى العربى ، والتنظيم الطليعى ، وأجهزة الاعلام ، وبالتالى لم يعد أمامها الا استعمال ثقافة الجماهير للحصـــول على التأييد الشعبى لها •

٣ ـ كانت الاهداف القومية للقيادة السياسية فى الستينات ، الحرية والاشتراكية والوحدة ، معبرة عن آمال الجماهير دون أدنى حاجة الى اقناع الناس بها • كانت الجماهير شغوفة بالحرية والعدالة الاجتماعية • ولكن القيادة السياسية فى السبعينات لم تضع لنفسها نفس الاهداف القومية ومن ثم كان عليها أن تجتذب الجماهير بشىء آخر • فلجأت الى الديمقراطية حجر العثرة فى النظام السابق • وحققت بعض التقدم أولا بالافراج عن المسجونين السياسيين وعدم الاخــذ بالشبهات ولكنها كانت ديمقراطية صورية أو ديمقراطية « ذات أنياب » وأصبح لها فى النهاية نفس الطابع التسلطى الذى كان للقيادة السياسية السابقة مع اختلاف الاسلوب والمنهج اما بالاعتماد على أجهزة القمع أو بالاعتماد على القوانين والاستفتاءات الشعبية • وبعد أن حدث التراجع التدريجى عن الاشتراكية والتخطيط الى سياسة الانفتاح واقتصاد السوق الحــر احتاجت هذه التحولات الى مبررات لاقناع الجماهير لحشد تأييدها أو على الاقل قبولها لها • ومن ثم كان اللجوء الى ثقافة الجماهير أمرا لابد منه •

٤ ـ كان نضال القيادة السياسية فى الستينات من أجل الاشتراكية يتم خارج مصر ضـــد الرجعية العربية الممثلة فى الملوك والامراء • ولم تكن بحاجة الى التوجه الى الشعب المصرى فى الداخل الذى كان يوافق على النظام الاشتراكى ويؤيده • وعلى العكس من ذلـــك كانت

معركة القيادة السياسية فى السبعينات اقناع الشعب المصرى بشرعية قيادتها وبسياساتها الجديدة الداخلية والخارجية • ولما كانت الجماهير أمية سياسيا لجأت القيادة السياسية الجديدة الى أنساق القيم التقليدية كقنوات تعبر من خلالها عن مشروعاتها السياسية •

٥ — كان من السهل على القيادة السياسية فى الستينات التعبير عن أفكارها السياسية للجماهير • فقد كان من السهل فهمها وقبولها • وعلى العكس من ذلك فقد كانت القيادة السياسية الجديدة فى السبعينات فى حاجة الى جهد كبير لاقناع الشعب بالتحول عن اشتراكية الستينات ، وبداية سياسة الانفتاح ، وحصار المعارضة وعزلها عن الشعب ، ومنع ظهور قيادات سياسية شعبية تلقائية تواصل سياسة الستينات •

وهذا لا يعنى أن القيادة السياسية فى الستينات لم تلجأ الى ثقافة الجماهير على الاطلاق • فالحقيقة أنها منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ لجأت الى ثلاث مفاهيم رئيسية مستمدة من ثقافة الجماهير وهى : الدين ، والايمان ، والقضاء والقدر • فقد أرادت أن تجعل الشعب يمتص بسهولة الهزيمة المروعة التى لحقت به وأن تبعث فيه الثقة بنصر قريب وسريع • كانت تبحث عن تأييد داخلى معنوى ضد العدو الخارجى ، اسرائيل ، ولم تستعمل هذه المقولات الدينية لمعالجة المشاكل الداخلية مثل توزيع الدخل • ولا يرجع السبب فى لجوء القيادة السياسية فى الستينات الى الدين الشعبى بسبب تربيتها الدينية بل كضرورة سياسية ملحة للتغلب على الهزيمة • وكانت معظم اشاراتها الى الدين الشعبى قصيرة ومكررة وباهتة دون أى مبرر عقلى أو وضوح نظرى •

وأول مفهوم استعملته القيادة السياسية فى الستينات كان مفهوم الدين(٨١) • فالشعب المصرى كما تراه القيادة السياسية ، شعب متدين بل وأكثر شعوب الارض تدينا • فقـد استطاع الدين تحقيق وحدة الشعب المصرى ، وكان الشعب مسلمين ومسيحيين فخـورا بهذا التدين وبهذه الوحدة • وكانت القيادة السياسية باستمرار تشارك الجماهير فى التدين • وقد نجحت الثورة المصرية بسبب هذا العنصر المشترك بين القيادة والجماهير • كما استطاعت الثورة هزيمة أعدائها وحل المشاكل الرئيسية بسبب الدين • وهنا تضـع القيادة السياسية يدها على نبض الجماهير • أصبح الدين هو قارب النجاة الذى ينقذ الشعب ويوصله الى شاطىء النجـاة ويعطيه النصر • فالدين هـو أحد الطرق التى تقود حياة الانسان وتهديه الى الصراط المستقيم لانه يعطيه القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ • لم يعتمد هـذا التصور الصوفى الاخلاقى على الاقل لان العقل لا يستطيع بمفرده أن يصل الى هذه المعايير(٨٢) •

والمفهوم الثانى هو الايمان • صحيح أن « الميثاق الوطنى » ذكر خمس ضمانات للعمل الثورى : ارادة التغيير ، الطليعة الثـورية ، الوعى العمـيق ، الفكر المتفتح ثم الايمـان الذى لا يتزعزع بالله

---

(٨١) وقد كان ذلك أيضا رد فعل ضد النظام البعثى فى سوريا الذى وصف النظام المصرى فى الستينات بأنه نظام ملحد ! .

(٨٢) ن ٤ ص ٤١٣ — ٤١٥ ن ٥ ص ١٦٣ ن ٦ ص ٣٤٨ ص ٣٥٥ — ٣٨١ ص ٤٥٠ ن ٧ ص ٧٠ — ٧١ ص ١٢٧ « الميثاق الوطنى » ض ١٠ ص ١٣٤ . وقد استعملت القيادة السياسية فى السبعينات هذا المفهوم بكثرة لتقوية تصورها الشعائرى للدين لتفريغه من مضمونه الاجتماعى .

وبالرسالات السماوية التى استقرت بعد هزيمة ١٩٦٧ . الايمان أقوى عاطفة فى الانسان ، يمكن للانسان أن يضحى بنفسه من أجله . يستشهد الانسان فى سبيل ايمانه وفى سبيل مثله الاعلى الذى وهبه الله اياه وفى سبيل الوطن وفى سبيل الامة . لقد لجأت القياة السياسية الى الايمان من أجل اعادة التعبئة المعنوية الى القوات بعد هزيمة ١٩٦٧ . فالايمان طريق النصر . والحقيقة أن الايمان بالله فى ذلك الوقت كان يعنى الايمان بالبلاد . فكان له مدلول وطنى(٨٣) .

والمفهوم الثالث هو القضاء والقدر . فقد وقعت هزيمة ١٩٦٧ قضاء وقدرا . واجابة على سؤال كيف استطاعت القيادة السياسية تحويل الهزيمة الى نصر كان الرد أن ذلك قد حدث بفضل الايمان بالقضاء والقدر . فقد توالت الهزائم على كل الدول وليس على مصر فقط . الهزيمة امتحان من الله . ولكن الايمان بالقضاء والقدر يتطلب العمل والجهد والصبر . وقد تضمن بيان ٣٠ مارس ١٨٦٨ الذى يقوم على النقد الذاتى هذه الرؤية القدرية ، فارادة الله فوق كل ارادة . حاولت القيادة السياسية أن تستعيد ثقة الشعب بها من خلال هذه القدرية كعقيدة شعبية بالرغم من معرفتها بالاسباب المادية والموضوعية للهزيمة مثل نقص الاستعداد الحربى ، والقرارات السياسية المتسرعة .... الخ . ومع ذلك فقد استطاعت القيادة السياسية بناء الجيش واعادة النظر فى الاختيارات السياسية . لجأت الى القضاء والقدر كوسيلة سهلة وسريعة لاسترداد الثقة المفقودة بها . لم تستعمل هذه العقيدة لاية أغراض اجتماعية لايقاف عملية التحول الاجتماعى أو

---

(٨٣) أصبح الايمان بعد ذلك فى السبعينات فارغ صوريا .

للتراجع عن بعض القرارات السياسية الخاصة بالعدالة الاجتماعية (٨٤).

كانت السنوات الثلاث الاخيرة (١٩٦٧ — ١٩٧٠) عندما لجأت القيادة السياسية الى الدين كتيار أساسى فى ثقافة الجماهير نموذجا للقيادة السياسية الجديدة فى السبعينات فى لجؤها المستمر الى مقولات الدين فى ثقافة الجماهير . فقد استعملت نفس المقولات الدينية ، وزادت عليها غيرها . ولم يكن السبب فى ذلك هو الحصول على تأييد روحى ومعنوى ضد العدو الخارجى بل تدعيم السلطة الجديدة بالرغم من الاستفتاءات الشعبية الجديدة التى أعطتها أكثر من ٩٩٫٩ ٪ من التأييد الشعبى لكل قرارا أو قانون . كما استعملتها أيضا للطعن فى ذمة المعارضة السياسية والنيل من شرفها والتشكيك فى مقاصدها ، واثارة الشبهات حول ولائها لنزع الثقة منها وهى تحاول الدفاع عن الخط الاشتراكى الذى مثلته القيادة السياسية فى الستينات .

فالدين فى رأى القيادة السياسية الجديدة مجرد شعائر ، ولا يتطلب أى شىء الا اقامة الشعائر والفرائض . وقد استخدام هذا الاسلام الشعائرى أيضا فى المملكة العربية السعودية لنفس الاسباب ولتأدية نفس الغرض لابعاد انتباه الشعب عن الاسس الاجتماعية فى الاسلام . لذلك أبدت المملكة العربية السعودية اهتماما بالغا بهذا التفسير للاسلام فى السبعينات . كما سلمت مصر بتفسير المملكة العربية السعودية للاسلام واستبعدت تفسير القيادة السياسية فى الستينات

---

(٨٤) ن ٦ ص ٢٧ ن ٧ ٣٣٧ ، بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ص ٣١ .

الذى مازال يمثل خطرا عليها (٨٥) .

وعندما بدأ الاسلام الشعائرى نشطا على أيدى الجماعات الاسلامية ظلت القيادة السياسية الجديدة تصور الاسلام على أنه فلسفة نظرية خالصة لاشأن له بالعمل والممارسة . فالاسلام تأمل ونظر لاصلة له مطلقا بالعمل والنشاط الفعلى . كان الهدف من ذلك هو تفريغ الدين من مضمونه العملى ومن حيويته وفاعليته حتى لا تستعمله الجماعات الاسلامية فى العمل السياسى . الاسلام كلى أكثر تدير فى ذهن القيادة السياسية،أمر شخصى لا صلة له بالحياة الاجتماعية

(٨٥) ومظاهر ذلك فى : كثرة بناء المساجد ، النداء على الصلاة خمس مرات يوميا فى أجهزة الاعلام ، وضع الحجاب ، اطالة اللحى ، الاحتفالات بالصيام والحج .. الخ . وتظهر القيادة السياسية فى السبعينات فى أجهزة الاعلام على أنها قوية الايمان ممارسة للشعائر ، تصلى فى مساجد القرى المتواضعة ، متوشحة بالجلباب الابيض ، متكئة على عصاة الابوة ، المسبحة باليد ، وعلامة الصلاة على الجبين ، والاعين مغلقة ، والشفاة تتمتم ، وتأخذ لقب « الرئيس المؤمن » وتصر على وضع « محمد » قبل « أنور السادات » . وكثيرا مايتحول هذا الاسلام الشعائرى عند بعض كبار الموظفين الى نفاق دينى . وتوضع « باسم الله الرحمن الرحيم » على رأس الخطابات الرسمية ، كما يوضع التاريخ الهجرى فى المطبوعات الرسمية وفى مقدمتها خطب القيادة السياسية . كما تم تجهيز أماكن للصلاة فى كل الابنية الرسمية ، وتحديد أيام الاعياد مع توقيت المملكة العربية السعودية ، مهبط الوحى ومركز الاسلام ! وأضيفت بعض البرامج والصفحات الدينية فى أجهزة الاعلام بجوار أخبار النجوم . وطبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم لتبادلها كهدايا توضع على المكاتب والعربات والموائد واعطائها كجوائز وتظل مغلقة فى قطيفتها الحمراء المذهبة ولاتفتح مطلقا وتتحول الى وثن جديد . وتضم القيادة السياسية فى السبعينات بعض المسلمين المتعصبين المؤمنين بالارواح وتحضيرها والرؤى والاحلام والاتصال بأرواح الموتى فى ادارة شئون البلاد س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٥ ص ٥٥٢ — ٥٥٧ س ٤ ص ٥٨٠ — ٥٨١ .

الدين موضوع خاص وليس موضوعا عاما ، يتناول علاقة الفرد بالله وليس علاقة الفرد بالمجتمع • وبالتالى لايمكن لاحد أن يستخدم الدين لاسباب سياسية أو اجتماعية • وقد أعلنت القيادة السياسية مرارا أن الدين والسياسة موضوعان متمايزان لاشأن لاحدهما بالآخر • فلا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين • يمارس الدين فى أماكن العبادة وتمارس السياسة داخل المؤسسات السياسية • وعلى هذا النحو تنتزع القيادة السياسية من أيدى خصومها السياسيين سلاح الدين حتى لايمكن استخدامه للمطالبة بالعدالة الاجتماعية أو بالحياة الديمقراطية • فالقيادة السياسية تستعمل الدين ضد خصومها السياسيين ، وتحرم استعمالهم له ضدها ، فتبيح لنفسها ماتحرمه على غيرها • وبالرغم من أن القيادة السياسية فى الستينات قد عابت على رجال الدين القاء مواعظهم داخل المساجد دون الخروج الى الاسواق والقرى والمدن فعلى العكس من ذلك آثرت القيادة السياسية فى السبعينات أن يقتصر دور الدين على الحياة الروحية والاخلاقية دون الخروج الى العالم الخارجى الاجتماعى • وما أسهل أن يجد هذا الدور الجديد قبولا فى الدين الشعبى (٨٦) •

وقد أعطت القيادة السياسية فى السبعينات أهمية قصوى لمفهوم الايمان أكثر مما أعطته القيادة السياسية فى الستينات ، وهو مفهوم مقبول على نطاق واسع فى الدين الشعبى • وكان الهدف من اللجوء الى هذا المفهوم تحقيق أمرين : الاول تحسين صورة القيادة السياسية الجديدة فى أعين الجماهير المؤمنة • فالايمان عنصر مشترك

---

(٨٦) حوار الرئيس مع الطلبة فى أسيوط يناير ١٩٧٧ •

بين القيادة والجماهير • والثانى اخضاع ارادة الجماهير اذ أن الايمان قبول واستسلام دون تفكير ومعارضة ، ويجعل الشعب أكثر طاعة وقيادة واستسلاما • وتصف القيادة السياسية الايمان على أنه جوهر التاريخ ، وأن تقدم الشعوب أو تأخرها مرهون بدرجة ايمانها • الايمان قوة ، قوة الاعتقاد ، وليس قوة مادية أو اجتماعية(٨٧) •

وقد ارتبط الايمان بالاصالة والصلابة • وتعنى الاصالة رفض كل الأفكار المستوردة وفى مقدمتها الماركسية والعودة الى التراث الذاتى • فاذا كان الايمان اتجاها نحو الله فان الاصالة عودة الى التراث الروحى • تعنى الاصالة اذن « العودة الى المنبع » والتأكيد على الهوية الحضارية من أجل رفض كل الحركات الاجتماعية التى تقوم باسم الغرب أو الشرق (٨٨) • وتعنى الصلابة مقاومة كل حركات التغير الاجتماعى التى تهدد النظام القائم • فالبناء الاجتماعى الحالى يجب أن يبقى راسخا ضد كل الايديولوجيات الانقلابية التى تهدد الوضع القائم • كما تعنى الصلابة فى الحق ضد الباطل الدفاع عن الثبات الاجتماعى وهو الحق ضد الحراك الاجتماعى وهو الباطل •

والقضاء والقدر نتيجة طبيعية للايمان أى قبول كل مايحدث دون

---

(٨٧) س ٢ ص ١٩٨ ص ٣٥١ .

(٨٨) س ١ ص ١٢٣ — ١٣٤ ص ١٥٧ — ٢٥٩ س ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ س ٥ ص ١٩ ورقة أكتوبر ٥٩ وهذا يؤكد رأى دوركهايم من أن وظيفة الدين الاجتماعية فى المحافظة وتدعيم الوضع القائم فى المجتمع ، وتقوية أواصر الترابط الاجتماعى .

Betty R. Schaff : The Sociological Study of Religion, P. 78, Harper & Row, New York, 1970.

سؤال أو اعتراض • فاذا كانت القيادة السياسية فى الستينات قد استعملت هذه العقيدة للحصول على نصر نفسى سريع بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ فان القيادة السياسية فى السبعينات قد استعملت نفس العقيدة للوقوف ضد أى محاولة لاحداث أى تغيير فى النظام السياسى أو الاجتماعى(٨٩) • بل أن نهاية القيادة السياسية كان مقدرا من قبل ! وكان موت الزعيم الخالد قضاء مقدرا ! ونظامه زائل فان ! وبالتالى فان الاشتراكية أيضا زائلة ! وان مظاهر البؤس والشقاء والمآسى والمصائب كلها ضرورية لانها قدر محتوم لامفر منه ! المصائب امتحان من الله واختبار لعبيده ، خير من الله وليست شرا ، ترجع الى ارادة الله وليس الى النظم السياسية والاجتماعية أو قرارات القيادة السياسية • الهزيمة والنصر ، الفقر والغنى كل ذلك من الله (٩٠) •

وعلى ذلك أصبح الظلم الاجتماعى الذى نشأ عن سوء توزيع الثروة والذى يمكن تغييره باعادة توزيع الدخل ، أصبح وضعا حتميا لايمكن تغييره بقرارات انسانية حتى ولو تبدلت نظم الحكم أو القيادات السياسية •

---

(٨٩) س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ س ٢ س ٣٧٢ •

(٩٠) تستشهد القيادة السياسية فى السبعينات بعدد من الآيات القرآنية التى تشير الى القضاء والقدر مثل « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » (٢ : ٦١) ، « وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا » (٣ : ١٤٥) ، « قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا » (٩ : ٥١)، « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير » (٣ : ٢٦) س ١ ص ٢٩٦ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ص ٣٠٣ ص ٣٢٤ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ص ٣٢٣ س ٣ ص ١٩٦ س ٥ ص ١٨ ص ٧٥ ص ١٤٨ •

والصبر فى ذهن القيادة السياسية الجديدة هو الطريق لاحداث أى تغيير اجتماعى ! فهو وحده قادر على تغيير الشر كقضاء الهى الى الخير كقضاء الهى ، واستبدال قضاء بقضاء • وهـو أحد مظـاهر الايمان • وهو القادر على تغيير الهزيمة الى نصر ، والفقر الى غنى • وهو يقتضى الصمت والسكون أى غياب أى معارضة صوتية أو حرية مدنية علنية • الصبر على هذا النحو قيمة سلبية تتطلب من الشعب الرضوخ والاستسلام • فالدين هنـا يتم استخدامه كعامل مسـكن لتخدير الجماهير (٩١) •

وقد اعتمدت القيـادة السياسية الجديدة على صفات الطيبة والوداعة والمسالمة فى الشعب لدعوته الى التمسك بالحب والاخـاء والتسامح بدلا من الحقد والعنف كوسيلة للقضاء على التناقضـات الاجتماعية فى المجتمع المصرى • فالمطلوب فى نهاية الامر هو الابقاء على هذه التناقضات كما هى دون أى تغيير والتعايش معها باسـم الحب والاخاء والتسامح •

كما تبنت القيادة السياسية الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية التى تعنى فى ذهن الجماهير قانون العقوبات • وقد كان الهدف من هذه الدعوة تحقيق أغراض ثلاث : الاول التأكيد على الطابع الدينى

---

(٩١) س ١ ص ٣٣٥ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ س ٥ ص ٢٧ ص ١٢٣ — ١٢٧ خطاب الى أبطال الجيش الثالث ٣/١٩٧٦ ص ١٣ ورقة أكتوبر ص ٥ حديث مع الصحيفة الكويتية السياسة ٨ / ٩ / ١٩٧٥! ، وتستشهد القيادة السياسية فى هذا الموضوع بعدة آيات قرانية مثـل « وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٤١ : ٣٥).

للسلطة السياسية مما يسمح بمزيد من طاعة الجماهير لها • والثانى اعطاء النظام السياسى الذى يقوم على « القانون والنظام » ستارا دينيا يخفى تحته الوظيفة الاجتماعية والسياسية التى يقوم بها وهو الابقاء على الوضع القائم بما فيه من تناقضات اجتماعية • والثالث اخفاء هذه التنقاضات الاجتماعية والصراع الطبقى تحت غطـــاء الشريعة الاسلامية التى تقوم على احترام الملكية الخاصة ، ولا تمنع من ممارسة النشاط الاقتصادى الحر • هذه الدعوة الى نسق القيم يقوم على القهر تخفى فى الحقيقة رغبة قوية من السلطة السياسية للسيطرة على كل شيء • والحقيقة أن الدعوة الى تطبيق الشريعة الاســلامية مجرد دعوى نظرية تكشف عن قدر كبير من النفاق وعدم الجـــدية والمزايدة على الايمان • بالاضافة الى أنها تستخدم كمفتاح سحرى قادر على حل جميع المشاكل الاجتماعية •

وقد أخذ البعد الرأسى للدين (علاقة الانسان بالله) مكان البعد الافقى له (علاقة الانسان بالانسان) • فالعمل لايتم أمام الانسان لخدمة المجتمع بل أمام الله طاعة له • ولا يقوم الحساب فى هذه الدنيا أمام السلطات الاجتماعية والسياسية بل فى الآخرة أمام الله • وضمير الانسان هو الذى يوجه سلوكه وليست مصـــالح الشعب وحاجات الامة • هذا التصور للدين جعله مجرد الهام من الله للقيادة السياسية وطاعة مطلقة من الشعب لها • كل شىء يحدث للشعب يأتى من الله ، ثروته وخبزه اليومى وموارده الطبيعية كلها هبات من الله • النظم السياسية اذن ليست مسؤولة عن الفقر أو ســوء توزيع الثــروة • ولايمكن عمل شىء ضد ارادة الله ، ولا يمكن اعطاء شىء منعه اللــه أو منع شىء اعطاء الله • وكل مايستطيع الشعب عمله هو الصلاة ،

ودعاء الله ، وانتظار الجود والكرم ! والقرارات السياسية الصحيحة تأتى من الله وليست من هيئة المستشارين أو المؤسسات السياسية . فالله وحده هـو مصـدر التوفيق والهداية . وعندما تعمل القيـادة السياسية بتوفيق من الله وتصدر قراراتها السياسية بعـون منـه تستحيل المعارضة السياسية التى تعتمد على كسب الانسان الذى قد يخطىء ويصيب ، وكثيرا مايخطىء ، وقلما يصيب !

لذلك كان التوكل على الله فضيلة . والتوكل فى ذهن القيـــادة السياسية احدى الفضائل الكبرى . وكثيرا ما تبدأ الخطب السياسية أو تنتهى بآيات قرآنية تدعو الى التوكل وطلب الهداية والمغفرة (٩٢) . كل شىء يتحقق فى هذا العالم لاجل الله ، العلم والمعرفة والعمـل كل ذلك يذهب اليه . الله هو الكمال والقدسية ، بيده كل شىء وهـو على كل شىء قدير (٩٣) . وعلى هذا النحو يتم تصور الله على نموذج

---

(٩٢) س ١ ص ٢٣ ص ١٧٣ ص ٢٣٥ ص ٢٠٩ ص ٤٦٠ ص ٤٨١ س ٢ ص ١٩٠ ص ٢٤١ ص ٢٦١ ص ٣٢٨ ص ٣٨٦ ص ٤٠١ ص ٥٣٢ س ٤ ص ١٩٦ ص ٣١٥ .

(٩٣) وقد استشهدت القيادة السياسية فى السبعينات ببعض الآيات القرآنية مثل « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » (٦٧ : ١) « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » (٦٠ : ٤) « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشدا » (١٨ : ١٠) « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (٨ : ١٧) « وما النصر الا من عند الله » (٣ : ١٢٦). ولقد طرد الشيخ عاشور من مجلس الشعب لانه أراد تطبيق آيات القرآن حول المشيئة الالهية على الله وحده وليس على القيادة السياسية مثل : « ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون » كما أراد وزير الاوقاف الشـيخ متولى شعراوى .

الحاكم المتسلط حتى يتم تصور الحاكم المتسلط فى ذهن الشعب على أنه اله •

لم تستعمل القيادة السياسية هـذه القيم التقليدية من الدين الشعبى من أجل اضفاء الشرعية على سلطتها ومن أجل خضوع الشعب لها فحسب بل أنها استعملتها أيضا ضد المعارضة السياسية متهمة كل نسق آخر للقيم دينى أو علمانى بالالحاد • وبالرغم من أن الدستور (مادة ٥٤) تنص على الحرية الدينية كما نص « الميثاق الوطنى » من قبل « على أن حرية الاعتقاد شرط لقيام ثقافة وطنية حرة خالية من أى تعصب دينى » صـــدر قانون الردة واســتعمل كسلاح سياسى ضد الخصوم السياسيين • وتردد استعمال هذا القانون وتطبيقه بالفعل بعد الانتفاضة الشعبية فى يناير ١٩٧٧ • والملحدون فى الدين الشعبى لاتجوز مخالطتهم سياسيا أو اجتماعيا • ويجب على جماعة المؤمنين لفظهم خارج المجتمع وبالتالى يمكن عــزل المعارضة السياسية من قاعدتها الشعبية • والموت فى النهاية عاقبة المرتدين والملحدين •

وترى القيادة السياسية أن من لا ايمان له لا أمان له ، وبالتالى فلا مكان للخصوم السياسيين فى المناصب العليا أو فى مؤسسات الدولة• وطبقا لشـــعار « لا مكان للملحد فى أجهزة الاعلام أو فى مواقع التأثير على الرأى العام » فانه يستحيل على الخصوم السياسيين وفى مقدمتهم الاشتراكيون ، ناصريين أو ماركسيين أو مسلمين ثوريين ، احداث أى أثر فيمـــا يتعلق بقضايا المساواة والعدالة الاجتماعية • فكل الشرور والآثام والاضطرابات والفتن انما تأتى من التيار الملحد ! وبالرغم من انتشار التيـــار الدينى المحافظ كنتيجة طبيعية فى هــذا الجـــو

العــام من الحماس والحمية الدينية الا أن القيادة السياسية تعتبره رد فعل طبيعى على التيار الملحد وسيطرته فى الستينات على أجهزة الاعلام • اليسار والملحد واليمين الدينى متشابهان ، كلاهما رد فعل على الآخر ، وكلاهما يســتغل العنف لفرض سيطرتها على الشعب(٩٤)• وتظل القيادة السياسية أقرب الى ركوب موجة اليمين الدينى لانه يخدم أهدافها الاجتماعية والسياسية ويعينها على تصفية اليسار الملحد فى الجامعات •

وبينما كانت القيادة السياسية فى الستينات تعتبر القيم المادية والقيم الروحية متكاملان ، وأن التعارض بينهما انما يخدم أغراض أحد الفريقين ضــد الآخر خاصة وأن القرآن وحد بينهما كما أن كل الثورات التقدمية حاولت التوفيق بين القيم الروحية للشعب وسيطرته على وســائل الانتاج وأن « الميثاق الوطنى » أشار الى القيم الروحية النابعة من الدين والقادرة على هداية الانســان واعطائه مصــدرا لا ينضب للطاقة والنشــاط — بالرغم من هذا كله — كان هدف القيادة السياسية فى السبعينات اظهار التناقض بين القيم المادية والقيــم الروحية للنيل من اليســار الملحد والطعن فيه وذلك بالهجوم على

---

(٩٤) الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤/٣/٢٥ ص ١٤ ، « الميثاق الوطنى » ص ٨٨ ، ن ٤ ص ٧٢ — ٧٣ ، ن ٦ ص ٥٨٢ س ٥ ص ٣٥٥ ، خطاب الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١٥ ، خطاب الى الاتحــاد الاشتراكى العربى ١٩٧٦/٣ ص ٧٩ ، حديث الى مجلــة « السياسة » الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ ص ٣٠ ، خطاب الى مجلس الشــعب ١٩٧٦/٣/٤ ص ٤٤ .

القيم المادية التى يتبناها اليســار الملحد وكما تبدو فى الماركسية(٩٥) •
ومما يعطى الفرصة للقيــادة السياسية بأن تقدم نفسها للشعب على أنها الحامية لتراث الامة وقيمها الروحية وفى نفس الوقت تســتعملها من أجل المحافظة على الوضــع القائم واعاقة أى عمليات للتغــير الاجتماعى •

لم تظهر الطائفية فى الستينات • فقد عمل المسلمون والاقباط معا ، وناضلوا معا ضـــد الصليبيين • الوحدة الوطنية والهدف القومى قادران على امتصاص أى مظاهر للطائفية واستبعاد مخاطرها • وقد لجأت القيــادة السياسية فى ذلك الوقت الى الوحدة الوطنيــة بين المسلمين والاقباط فى ١٩٥٨ أثناء تكوين الجمهورية العربية المتحــدة طبقا لنموذج الوحدة السابق أثناء الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق • وقد حدث العكس فى السبعينات اذ لم يمنع الحماس الدينى من وقوع صدامات خطيرة بين المسلمين والاقبــاط • وكان ذلك فرصــة للقيادة السياسية لاصدار قوانين استثنائية لحماية الوحدة الوطنية ولتقوية النظام خشــية أن يتحول الصراع الطائفى الى صراع اجتماعى • والحقيقة أن تاريخ مصر يشهد بوجود وحدة وطنية عضوية بين المسلمين والاقباط كما ظهر ذلك فى ثورة ١٩١٩ وفى مرحلة البناء الاشتراكى لمصر فى ١٩٦١ — ١٩٦٤ وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ • فلا تظهــر الطائفية الا فى لحظات ضعف الدولة وعندما يغيب

---

(٩٥) ن ٤ ص ٤٣ ، ن ٦ ص ٨٨ ص ٣٥١ ص ٣٧٨ ص ٥١٣ ، بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ص ٥٠ ، س ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ ، س ٥ ص ٢٤٣ ص ٤١١ — ٤١٢ •

المشروع القومى الموحد لكل الطوائف والمجند لكل الطاقات والقوى • اذ أنها تسمح للدولة باتخاذ اجراءات استثنائية للدفاع عن الوضع القائم باسم المحافظة على الوحدة الوطنية • كما تنشأ الطائفية فى نهاية الامر ، وجميع مظاهر التعصب الاخرى مثل التعصب الكروى للاندية الرياضية ، من غياب الأحزاب السياسية وحرية التعبير للقوى الوطنية التى يمكنها تحويل الولاء الدينى الى ولاء وطنى •

وقد كثرت الرؤى الدينية ، وظهور القديسين والاولياء والانبياء مثل عذراء الزيتون فى الستينات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وعبور الملائكة قناة السويس مع المصريين لمحاربة الاسرائيليين أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ • وكان الهدف من التركيز على هذه الظواهر بافتعالها أولا ثم نشرها على نطاق واسع فى أجهزة الاعلام ابعاد أنظار الشعب عن الاوضاع السياسية والاجتماعية واغراقه فى انفعالات الصوفية ورؤى القديسين • وان اعطاء الاولوية المطلقة فى الحياة الوطنية للدين لهو أحد مظاهر الازمة الاجتماعية والسياسية(٩٦) •

ولم تستعمل القيادة السياسية فى السبعينات الاشتباه القائم

---

(٩٦) س ١ ص ٣٩٤ س ٢ ص ٣٩٣ ص ٤٠١ — ٤٠٢ ص ٤١١ — ٤١٢ ص ٤١٨ — ٤١٩ س ٣ ص ١٧ — ١٣ س ٤ ص ١٦٩ ص ٥٨٥ — ٥٨٦ ص ٧٠٤ — ٤٠٥ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ ص ٢١٩ — ٢٢٠ ص ٣٤٣ حديث مع جريدة الانوار اللبنانية ١٩٧٥/٦/٢٢ ، خطاب الى مجلس الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٥٣ ، خطاب الى المواطنين فى الاسماعيلية فى مسجد الشفاء فى ٣ / ١٩٧٦ ، خطاب فى عيد العمال ١ / ٥ / ١٩٧٦ ص ٣٠ ، حديث مع رجال الدين ٨ / ٢ / ١٩٧٧ ، خطاب فى الذكرى السابعة لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ٢٨ / ٩ / ١٩٧٧ .

فى التراث الدينى حول موضوع المساواة والعدالة الاجتماعية وتفسير الاسلام لصالح الاقتصاد الحر وسياسة الانفتاح • ويرجع السبب فى ذلك الى أن التفسير الآخر للاسلام أى الاسلام الاشتراكى حاضر للغاية ومازال حيا فى قلوب الناس على الاقل كألفاظ وشعارات وأمانى وأحلام • آثرت القيادة السياسية استعمال القيم الدينية التقليدية التى يمكن للجماهير قبولها وتأييدها • والحقيقة أن القضاء والقدر والصبر قيم شائعة فى الامثال العامية تدعو الناس الى قبول مصائرهم ، وتسلب عنهم زمام المبادرة ، وتجعل حظ الانسان فى الحياة مقدرا من قبل ، ثابتا لا يمكن تغييره(٩٧) • والصبر أيضا جزء من ثقافة الجماهير كما تكشف عنه الامثال(٩٨) • اذ لا يمكن عمل شىء الا الانتظار • وبالتالى لا يمكن تغيير الوضع الراهن لتوزيع الدخل • ففى هذه الدنيا لا يوجد الا المجتمع الطبقى ، ولا توجد المساواة الا

---

(٩٧) مثلا « اللى مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » ، « المكتوب ممنوش مهروب » ، « قيراط بخت ولا فدان شطارة » ، « ابن آدم فى التفكير والرب فى التدبير » ، « من حبه ربه واختاره جب له رزقه على باب داره » ، « يا هارب من قضايا ، مالك رب سوايا » ، « المتعوس متعوس ولو علقه على بابه فانوس » ، « المغلوب مغلوب وفى الآخرة يضرب طوب » ، « تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ماتحوش » ، « لا يغنى حذر من قدر » ، « بختك يابو بخيت » ، « تبقى فى ايدك وتقسم لغيرك » ، « ارميه فى السطوح وان كان لك فيه قسمه مايروح » .

(٩٨) مثلا « الصبر خير » ، « كل شىء دواه الصبر لكن قلة الصبر ما لهاش دواء » ، « من صبر نال ومن لح مالوش » ، « ما دوا الصبر الا القبر » ، « طول البال تبلغ الآمال » ، « طولة البال ماتخسرشى » ، « طول البال تهد الجبال » ، « المعيشة تحب طولة البال » ، .

فى الموت(٩٩) • وقـــد كان هذا الجانب فى ثقـــافة الجماهير هو السبب فى جعل موضوع التغـــير الاجتماعى نحو مزيد من المساواة والعدالة الاجتماعية صعبا للغاية وكأن الفوارق بين الطبقات مغروزة فى وعى الجماهير •

ومع ذلك توحى بعض الامثال العامية الاخرى بامكانية الثورة والتغير الاجتماعى ، مما يجعل اعادة توزيع الدخل بحيث يحقق قدرا أكبر من المساواة أمرا ممكنا • اذ تنتقد بعض الامثال العامية الاسلام الشعائرى والقيم السلبية والنفـــاق الدينى • بل ان البعض منهـــا يدعو الى العنف الثورى • فالله لم يحدد شيئا ســـلفا ، وبالتالى يمكن اعادة توزيع الثروة • ترفض بعض الامثال العامية اذن عقيدة القضاء والقدر وتدعو الى الاخذ بالعلل المادية المباشرة(١٠٠) • كمـــا ترفض النفاق الدينى فى الحياة اليومية • فالاســـلام الشعائرى لا يمكنه تغيير السلوك الفعلى للانسان ، ولا يتضمن بالضرورة أية أمانة فى العلاقات الاجتماعية • والحياة المادية أهم بكثير من الشعائر ، ولها

---

(٩٩) مثلا « الفقر حشمة ، والعز بهدلة » ، « القناعة مال وبضاعة »، « المفلس فى أمان الله » ، « من طلب الزيادة وقع فى النقصان » ، « المركب اللى تودى أحسن من اللى تجيب » ، « ربنا ماسوانا الا بالموت » ، « ربك رب العطا يدى البرد على قد الغطا » ، « الناس مقامات » ، « من عرف مقامه ارتاح » .

(١٠٠) مثلا « سلاح الضعيف الشكية » ، « ياغراب هات بلحة قال دا قسمة ، قال قسمتى بين أيديك » ، « يفتح العين للدبان ويقول دا قضا الرحمن » . « الشبعان هو الذى يذكر الله » .

الاولوية المطلقة على الحياة الروحية • ان محاربة الجــوع ، وليست اقامة الشعائر ، هو الاسلام الحق • وشيء فعلى يتحقق فى هذا العالم أفضل بكثير من شيء موعود به فى العالم الآخر • الاسلام كدين ليس أفيونا للشعب(١٠١) •

لم تتناول القيادة السياسية أو المؤسسات الدينية هــذا الجانب فى ثقافة الجماهير الذى يدعو الى التغيير الاجتماعى والثورة ممــا يؤكد مرة أخرى أن العامل الفعلى فى توزيع الدخل لم يكن العــامل الدينى • اذ كان يمكن لهــذه الامثال العامية التى تدعو الى التغير الاجتماعى تحريك الجماهير لو أرادت القيادة السياسية تحقيق العدالة الاجتماعية • ولكن القيادة السياسية أهملت هــذه الطاقة الكامنة فى ثقافة الجماهير ، والقيادة السياسية فى السبعينات أسقطتها من حسابها كلية حتى غاصت فى أعماق وعى سياسى مزيف للجماهير بفعل الدين(١٠٢) •

---

(١٠١) مثلا « ضلالى وعامل امام ، والله حرام » ، « يفتى على الابرة ويبلع المدرة » ، « الوش وش حاجج والطبع ماتغيرش » ، « زى القطط يسبح ويسرق » ، « هات عمتك وخدها يوم القيامة » ، « اللى عايزه البيت يحرم على الجامع » ، « كل لقمة فى بطن جائع أخير من بناية جامع » . أنظر أيضا : د. حسن حنفى : التفكير الدينى وازدواجية الشخصية فى قضايا معاصرة ج ١ فى فكرنا المعاصر ص ١١ — ١٢٧ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

(١٠٢) بعد أجراء مقابلات عديدة مع اناس عاديين محللا « تجارب الشارع » وبعد استبعاد المستوى السطحى للشعور الوطنى المزيف يظهر موضوع المساواة والعدالة الاجتماعية بوضوح كمطلب اجتماعى ووطنـــى. فالتأميم شرعى ، والفقير له حق فى أموال الغنى ، والمال مال الله فى خدمة الامة كلها ، والاسلام ليس شعائرا أو عقائدا أو نفاقا • ويظهر الدين أساسا كدعوة للمساواة والعدالة الاجتماعية .

خامســا : خاتمــة :

ينتهى هذا التحليل على مستويات ثلاث لاثر العامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر الى النتائج العامة الآتية :

١ — لم يكن الهدف من استخدام القيادة السياسية فى الستينات للاسلام للدفاع عن الاشتراكية واستخدامه فى السبعينات للتراجع عنها هــو سد الفراغ النظرى الذى شعرت به الثورة • فقد اعترفت الثورة المصرية بالفعل بغياب نظرية مسبقة ، وكانت تفخر بطابعهــا البرجماتى وتجربتها القائمة على المحاولة والخطأ • كان غياب النظرية اتهاما من اليســار المصرى وليس من الرجعيــة العربية التى كانت تظن على العكس من ذلك أن الاشتراكية العربية نظرية واحدة مصاغة سلفا أو ماركسية مقنعة •

٢ — كانت اشتراكية الستينات فى كل مراحلها علمانية خالصة • وكانت الثورة المصرية منذ البداية ثورة علمانية تحمل أفكارا علمانية ثورية كما ظهرت فى المبادىء الست • ومع ذلك فان الاسلام عامل ضمنى مكون لروح الشعب ، وعقيدة فعالة تتضمن أفكار العــدالة الاجتماعية كما ظهرت لدى الاخوان المسلمين أحد الروافد الاساسية فى تكوين الضباط الاحرار(١٠٣) • وبالرغم من أن هذه المبادىء الست لم تشر الى الاســلام كلفظ الا أنها ذات مضمون اسلامى • فالاسلام دين علمانى من الاساس ، دين بلا سلطة كهنوتية • ومفاهيم المساواة

---

(١٠٣) كان ستة أعضاء من الاثنى عشر عضوا فى مجلس قيادة الثورة من الاخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم ذوى الاتجاه الاسلامى .

والعدالة الاجتماعية ليست فقط اسلامية من حيث المعانى ، بل أيضا اسلامية من حيث الالفاظ • فالعادل اسم من الاســماء الالهية يشير الى قانون الاستحقاق وأخلاق العمل • وكل ما قيل فى أدبيات « الاسلام والاشتراكية » أو حتى فى « الاشتراكية الديمقراطية » فيما يتعلق بنظرية الاستخلاف صحيح بصرف النظر عن النغمة الدعائية الدفاعية لهذه الادبيات المهنية التى أصدرتها الدولة •

٣ ــ لجأت القيادة السياسية فى الستينات الى الاسلام كاجراء دفاعى ضـــد النظم الرجعية العربية التى كانت قد لجأت الى الاسلام من قبل للهجوم على الاشتراكية التى كانت تمثل فى ذلك الوقت تهديدا فعليا لهذه النظم • أرادت القيادة السياسية انتزاع أقوى ســلاح من أيدى النظم المنافسة ، وهو سلاح الدين ، وكان الاسلام جــزءا من لعبة أكبر ، وهو صراع القوى بين النظم السياسية المتعارضة • كمــا لجأت القيادة السياسية فى السبعينات الى الاسلام لاضفاء الشرعية على السلطة السياسية ضــد المعارضة اليسارية وكعــامل استقرار وترابط اجتماعى ضد محاولات التغير الاجتماعى(١٠٤) •

٤ ــ لم يكن لاستعمال الاسلام فى كلتا الحالتين أى أثر يذكر على توزيع الدخل القومى فى مصر • فقد كان الاختيار الاجتماعى للمساواة فى الستينات أو اللامساواة فى السبعينات يرجع أساسا الى نوعية القيادة السياسية • وبنهاية القيادة الثورية وبداية قيادة تقليدية جديدة تحول

---

(١٠٤) « ويبدو أن الاشتراكية الاسلامية اكثر من مجرد شعار ظهر من خلال اسلام سياسى ضعيف يبحث عن شرعية للاشتراكية » .
D. E. Smith : Op. Cit., P. 271.

النظام السياسى كله كما تغير الاختيار الاجتماعى • فنوعية القيادة السياسية وليس العامل الدينى هى التى حددت سياسات توزيع الدخل القومى فى مصر(١٠٥) •

٥ — كان لكل نظام سياسى تفسيره للاسلام • وكان الخلاف بين التفسيرات المختلفة ، الاسلام والاشتراكية فى مقابل الاسلام والرأسمالية ، هو فى حقيقة الامر صراع بين مختلف النظم السياسية والقوى الاجتماعية التى يمثلها كل نظام ، الاشتراكى التقدمى فى الستينات والرأسمالى المحافظ فى السبعينات • ولم يكن الدين الا وسيلة لتدعيم كل نظام • وكان العامل الحقيقى الحاسم فى توزيع الدخل هى السياسات الفعلية المنبثقة عن اختيار القيادة السياسية وكيفية تنفيذها فى البناء الاجتماعى والسياسى • وان الحسم بين هذه النظم لا يرجع الى صدق تفسيراتها للاسلام أو كذبه ، أى منها الصحيح وأيها الخاطىء • فهذا النموذج المطلق للاسلام لا وجود له بالفعل طالما أن الدين قائم على المجتمع ومغروز فيه • بل يرجع الى انتصار أحد النظامين فى صراعه مع النظام الآخر • فمعارك التفسير هى فى حقيقة الامر معارك النظم السياسية ومعارك القوى الاجتماعية التى يتمثل كل منها أحد التفسيرات فى مواجهة التفسير الآخر •

٦ — كانت المؤسسات الدينية والعلمانية مؤسسات تابعة للدولة ،

---

(١٠٥) يمكن القول بالاعتماد على تمييز Lenski أن الاسلام كان مجرد عامل ارتباط فى توزيع الدخل وليس عامل مسبب
Lenski : Op. Cit., P. 300 — 21.

استخدمت الدين لجعل قرارات السلطة السياسية أكثر قبولا لدى شعور الجماهير ودون أن تكون عاملا مباشرا فى توزيع الدخل القومى • وقد استطاع النظامان السياسيان فى مصر فى الستينات والسبعينات بنفس القدرة استخدام هذه المؤسسات لتحقيق أغراضهما • ففى الستينات كان الاسلام اشتراكيا ، وكانت الاشتراكية اسلامية • وفى السبعينات كانت اشتراكية الستينات ماركسية وكانت الماركسية مناهضة للاسلام • وقد أصدرت نفس المؤسسات الدينية وربما نفس الاشخاص فتاوى متعارضة فى كثير من الموضوعات الاجتماعية والسياسية تبعا لاختلاف النظم السياسية • وكانت النصوص الدينية والشواهد التاريخية من الاسلام جاهزة فى كلتا الحالتين رهن اشارة السلطات السياسية •

٧ — كانت هناك أزمة ثقة بين هذه المؤسسات الدينية والجماهير • فقد عرفت الجماهير من خلال تجاربها المباشرة أن رجال الدين وكذلك كل القيادات والرؤساء موظفون فى الدولة(١٠٦) • ففقدت الثقة فى مؤسسات الدولة وأجهزتها بالرغم مما يبدو على الجماهير من طاعة لها(١٠٧) • وينتمى رجال الدين المؤثرون الى الطبقة المتوسطة وبالتالى فانهم مثل غيرهم من أفراد الطبقة كانوا يعملون لصالح السلطة

---

(١٠٦) « يحظى العلماء باحترام لعلمهم وتقواهم ولكن دون تبجيل » .
D. E. Smith : Op. Cit., P. 23.

(١٠٧) دمرت الجماهير فى انتفاضة يناير ١٩٧٧ بعض مراكز البوليس ، ودور الصحف ومراكز حزب الحكومة ، والنوادى الليلية وفتحت بعض الجمعيات التعاونية ووزعت الطعام على الفقراء والجياع . تعطلت مؤسسات الدولة لمدة يومين وكانت البلاد تحت سيطرة الجماهير فى الشوارع .

السياسية ، وفسروا الاسلام كما أرادته القيادة السياسية طاعة للسلطة سواء كانت تقدمية أو محافظة ، اشتراكية أو رأسمالية ، ثورية أو تقليدية • وروجوا للاسلام الشعائرى بالرغم من الكم الهائل من أدبيات المهنة حول « الاسلام والاشتراكية » ! واحتكرت السلطة الدينية حق التفسير كما احتكرت السلطة السياسية حق اتخاذ القرار السياسى • وكان رجال الدين سواء فى قمة المؤسسات الدينية أو فى القاعدة عند أمة المساجد وخطبائها موظفين فى الدواوين منفذين لاوامر الحكومة . يخشى الرؤساء أن يفقدوا وظائفهم ومرتباتهم وسلطاتهم ، ويخاف الائمة من الطرد والنفى والاضطهاد • وان أزمة الثقة بين الجماهير والسلطتين الدينية والسياسية أزمة واحدة ناتجة عن تزييف كل من السلطتين للوعى الاجتماعى(١٠٨) •

٨ ــ لم تستخدم ثقافة الجماهير فى الستينات كقوة محركة تدفع الشعب نحو الثورة والتغير الاجتماعى • وبدلا من استخدام ثقافة الجماهير بحثت القيادة السياسية عن أفكار علمانية لم تلمس شغاف قلوب الجماهير ولم تتحد بأرواحها • طرقت آذان الجماهير ولكنها لم تؤثر فيها ولم تكن الجماهير مستعدة للموت فى سبيلها • فسرعان ما انتهت هذه الافكار بنهاية القيادة السياسية بالموت قضاء وقدرا ! لا تساعد العلمانية اذن على تطوير المجتمعات التقليدية لانها لا تأخذ فى الاعتبار ثقافة الجماهير الذاتية • وثقافة الجماهير فى البلاد النامية

---

(١٠٨) يمكن للبعض اثبات أن الاخوان المسلمين والمعارضة اليسارية هما المجموعتان الرئيسيتان اللتان تحظان بثقة الجماهير .

مثل مصر هـو البديل الوحيد للايديولوجية السياسية • فهى أصيلة ومبدعة وفعالة ، لا تحتاج القيادة السياسية الى أى جهد لاقنــاع الجماهير بها أو لتكوين حزب للدعوة لها أو لتشكيل قيادات لحشــد الجماهير من خلالها ، فالدين ، والائمة ، والمساجد ، وجماهير المؤمنين كلهم يشكلون عصب الحياة السياسية الجديدة • ويكون السؤال : كيف يمكن استعمال هــذه الثقافة كوعاء للاهداف القومية ؟ لقــد أهملت الثورة المصرية كلية اعادة بناء ثقافة الجماهير فلم تجد بعد اختفــاء القيادة الثورية ثقافة أو جماهيرا تدافع عنها(١٠٩) •

٩ — ثقافة الجماهير فى مصر ، مثل أى ثقافة أخرى ، متشابهة • فهى تدعو الى المساواة والعدالة الاجتماعية وفى نفس الوقت تدعو

---

(١٠٩) وهنا تبدو اهمية كاميلوتوريز والرهبــان الثــوار فى امريكا اللاتينية واعلان الثورة كأمر مسيحى . كما تبدو اهمية اليسار الدينــى فى الكنيسة الغربية للمساهمة فى الحركات الاجتماعية فى المجتمعات الراسمالية. وفى أمريكا أصبح للاهوت الثورة الأولوية المطلقة على لاهوت الذات والصفات التقليدى ، واصبحت التعاليم الاجتماعية للمسيحية مذهبا عقائديا جديدا . فالكاثوليكية الرومانية فى امريكا اللاتينية ، والبروتستانتية اثنــاء حروب الفلاحين بقيادة توماس مونز فى المانيا فى القرن السادس عشر . والمسيحية البدائية كما وصفها انجلز وكاوتسكى ، والبوذية فى فيتنام اثناء حــرب الاستقلال ، والكنفوشيوسية فى الصــين فى بداية الثورة الصينية وبعــد الثورة الثقافية ، ودين « مركب البضاعة » والديانات البدائية فى افريقيا ، الامة السوداء فى أمريكا ، والاسلام فى الجزائر اثناء حرب الاستقلال ، والمهدية فى السودان ، والسنوسية فى ليبيا ، وأخيرا الثورة الاسلامية فى ايران باسم الاسلام والثورة ، كل هذه مجرد نماذج لبدايات ثورات جديدة فى العالم باسم الدين . انظر د. حســن حنفى ، كاميلوتوريز • القديس الثائر فى « قضايا معاصرة » ج ١ فى فكرنا المعاصر ص ٣١١ — ٣٢٧ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

الى اللامساواة والتفاوت الطبقى(١١٠) • فبينما لم تلجأ القيادة السياسية فى الستينات الى الجانب الاول لتطوير الجماهير ودفعها نحو مزيد من العدالة الاجتماعية والمساواة لجأت القيادة السياسية فى السبعينات الى الجانب الثانى الذى يدعو الى التسليم والقضاء والقدر والتواكل واللامساواة لتدعيم النظام السياسى وتثبيت الوضع القائم وللابقاء على الثبات الاجتماعى • والحقيقة أنه بامكان أى نظام سياسى محافظ يقوم على التفاوت الطبقى استخدام هـذا الجانب السلبى فى ثقافة الجماهير لتثبيت دعائمه ولاطالة مدته •

١٠ — تفشل كل القرارات السياسية المتعلقة بالمساواة والعدالة الاجتماعية والتى تهدف الى تحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة فى توزيع الدخل القومى طالما استعصت ثقافة الجماهير على أى نسق فعال للقيم يدفع الجماهير نحـو التغير الاجتماعى • وقد تبقى أى ثورة شعبية مثل انتفاضة يناير ١٩٧٧ لفترة قصـيرة لان مطـالب

---

(١١٠) يمكن ايضاح الاشتباه فى التراث الدينى من خلال الظروف الفعلية للشعب ، وبالتالى تكون الاولوية للآيات القرآنية الخاصة بحق الفقراء فى أموال الاغنياء ، والملكية العامة ، والمساواة والعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى . ويمكن استخدام الامثال العامية التى تعبـر عن نفس هذه الافكار لتفسير هذه الآيـات القرآنية وتكون هـذه العناصر أيديولوجية سياسية وطنية يمكنها احتواء العلمانية التقدمية (نمط الستينات) والمحافظة الدينية (نمط السبعينات) . وقد تكون هذه هى مهمة اليسار الاسلامى . انظر مجلة « اليسار الاسلامى » ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الجماهير فى المساواة والعدالة الاجتماعية لم ترتبط بثقافتها فى مصدريها الاساسيين : الدينى فى الكتب المقدسة والدنيوى فى الامثال العامية •

ان مأساة التجربة المصرية كانت فى وجود قيادة سياسية ثورية أولا ثم تقليدية ثانيا • وغياب المؤسسات الدينية والعلمانية المستقلة ، وعدم بناء ثقافة الجماهير كأيديولوجية سياسية •

(أ) الجسد يسار ، والعقل يمين •

ان مأساة مصر تتلخص فى عبارة واحدة « **الجسد يسار** ، والعقل يمين » • وأعنى ذلك أن واقع مصر بدخلها المحدود ، متوسط الدخل السنوى للفرد حوالى ١٥٠ جنيها مصريا سنويا ، لا يتحمل الا مجتمعا تذوب فيه الفوارق بين الطبقات . وتنمية عن طريق الاعتماد على الموارد الذاتية والادخار الداخلى وليس عن طريق الديون أو رهن الموارد الطبيعية لعدة أجيال قادمة • ويتطلب ذلك ضغط المصروفات والكف عن شتى أنماط الانتاج الاستهلاكى التى لا تحقق عائدا للاستثمار ، والقضاء على تهريب رؤوس الاموال ، وحماية الاقتصاد الوطنى ، وفرض الضرائب على الدخول المرتفعة ، والكشف عن رؤوس الاموال الطفيلية التى تتراكم عن طريق العمولات والمضاربات وتجارة العملة فى السوق السوداء ثم تهريبها الى الخارج • وهـذا ما يسمى بلغة الاقتصاد السياسى وبمصطلحات جيلنا فى الستينات « حتميـة

كتب هذا المقال اثناء صدور « الاهالى » الاولى عام ١٩٧٨ ، وهو من المقالات التى لم تنشر . وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى دون تغيير بعد عشر سنوات تقريبا فى خريف ١٩٨٧ ، انظر ايضا دراستينا « التنوير الدينى والتنظيم السياسى » ، « مأساة الاحزاب التقدمية فى البلاد المتخلفة » فى « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » ، الجزء الثامن ، اليسـار الاسلامى والوحدة الوطنية » .

الحل الاشتراكى » • مصر الآن ، أرضها محتلة ، ومازالت مطمعا للتوسع الصهيونى والاطماع الاستعمارية • وذلك يحتم أيضا أن تكون سياسات مصر معادية للصهيونية ومناهضة للاستعمار • الواقع فى مصر الآن بمشكلتيه الرئيسيتين ، التخلف والاحتلال ، يفرض أن يكـون جسد مصر يسارا •

ولكن اذا حللنا أبنيتنا الفوقية أى ثقافتنا وأدبنا وفننا وتفسيراتنا للدين ونظرياتنا للعالم لوجدنا أن كل هذه النشاطات العقلية تعمـل فى قوالب اليمين • مازالت ثقافتنا اما تكرارا للموروث أو تقليدا للمنقول دون أن تكون تعبيرا عن ثقافة مقاومة فى مجتمع محتل أو أيديولوجية تنمية فى مجتمع متخلف • وفننا مازال يتملق أذواق الجماهير ، ويستجدى الضحك الرخيص • وتفسيرنا للدين مازال يؤكد التفاوت فى الرزق « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ، مع التركيز على الشـعائر والطقوس والعقائد الكلامية وتناول الامور الغيبيـة وابراز عوامل المنافسة والربح والنشاط الفردى والتجارى باسم الاقتصاد الاسلامى وتحت غطاء البنوك اللاربوية •

وقد تكون هذه المأساة هى السبب الرئيسى الذى من أجله بلغت ثورتنا ربع قرن ، وقطعت أشواطا فى الجسد من القضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاستغلال ، والقضاء على الاحتلال ، وتحديد الحـد الاعلى للملكية الزراعية وتمليك الارض لصغار المزارعين ، والتأميم ، والقطاع العام ومشاركة العمال فى الارباح ، والتصنيع ، ومجانيـة التعليم ، ووضع سياسة عدم الانحياز ، ومعاداة الصهيونية ، والولاء للقومية العربية • ولكننا لم نقطع نفس الشوط فى الثقافة والابنيـة

العقلية وتصوراتنا للعالم • فواقعنا الثورى لم يصاحبه فكر ثورى • لم تتجاوز الثورة النظم والقوانين الاقتصادية الى الحياة اليوميـة والى الابنية الفكرية والى ثقافة الجماهير •

ان هذا الانفصام فى حياتنا القومية لهو محك العمل السياسى الآن • فاما أن يفرض الواقع اليسارى فكره اليسارى وبالتالى تتحقق وحدة شخصيتنا القومية ، وتتسق حياتنا العملية والنظرية واما أن يفرض العقل اليمينى تصوراته وقوالبه على الواقع فيتحقق التجانس أيضا فى شخصيتنا القومية لحساب اليمين • وكما أن الواقع قادر على تغيير الفكر فان الفكر قادر أيضا على تغيير الواقـع • ولما كان الواقع لا يمكن أن يتغير فهـو العنصر الثابت ، وكان الفكر يمكن أن يتغير فهـو العنصر المتحرك كان من الطبيعى أن تتحقق الوحدة فى شخصيتنا الوطنية عن طريق فرض الواقع فكره المتسق معـه • وبالتالى تكون مهمتنا تغيير ثقافتنا الحالية وبيان أوجه قصورها عن واقعها ومقدار ضررها على قضايانا القومية الاساسية حتى يتطهر العقل من بقايا الاستعمار الثقافى والتخلف الفكرى والركود العقلى • ثم يفرض الواقع فكره المتسق معه حتى تتكون ثقافة وطنية يقوم فكرها على مقاومة الاحتلال ومن أجل القضاء على التخلف •

ان عدم التطابق بين الجسم والعقل فى حياتنا القومية هـو السبب فى تعثر ثورتنا الاخيرة ونكوص تقدمنا الحالى • فالواقـع اليسارى لا يتقدم الا بفكر مطابق • واذا كان الواقع يساريا والعقل يمينيا فانه مهما حدث من تغيرات فى الواقـع فانها لا محالة تكـون قاصرة ووقتية ومهددة بالضياع فى أى وقت فتعود الى التطابق مع

العقل اليمينى • وقد استمر هـذا الخلاف منذ الاصلاح الدينى حيث ذال الفكر الاصلاحى بالرغم من جرأته فى بعض مسائل العدل مثل اعتبار الانسان عاقلا وحرا ومسؤولا الا أنه ظل فى التوحيد أشعريا تقليديا محافظا ومن ثم حدث أيضا نفس عدم التطابق بين العقـائد الاصلاحية وبين المشروع القومى الاصلاحى •

ان أرواحنا فى وحشة من أجسادنا ، ضامرة ، متآكلة محترقة ، لا تفعل ولا توجه لانها تسكن فى عوالم غريبة عنها • غتظل طائرة فى الهواء وأجسادنا فى قبضته الآخر وبين قضبانه • فهل يعود العقل لتخليص الجسد ؟

(ب) الاشتراكية الديمقراطية بين النظرية والتطبيق •

ليس المهم هو اعلان المبادىء الانسانية العامة والنوايا الطيبة وترديد ما يحب أن يسمعه الناس • فكل الايديولوجيات تفعل ذلك • ولكن المهم هو تطبيقها فى واقع محد بعينه لمعرفة تفسير المبدأ على الطبيعة فذاك مربط الفرس •

« والاشتراكية الديمقراطية » بعض الأفكار العامة المنتقاة من التراث الاسلامى يعلمها الجميع ونرددها منذ مئات السنين • تقول كل الدعوات الدينية بها • ولكن المهم هو تطبيقها فى الواقع المصرى وتحويلها الى برنامج محدد تتبناه الجماهير العريضة صاحبة الاغلبية أو ترفضه •

فمثلا ، ليس المهم هو الاعلان عن النزعة الانسانية فى الحضارة العربية ولكن الاجدى هو حل عملى طبقا لهذه المبادىء لقضية التعصب المذهبى والعرقى فى العالم العربى وهو ما يسمى بمشكلة الاقليات • والحرب الطائفية فى لبنان خير شاهد على عجز الايديولوجيات والنظم العربية الحالية على مواجهتها •

كان هذا المقال آخر ما كتب لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ ولكنه لم ينشر . وتلك صياغة ثانية من المسودة الاولى بعد عشر سنوات كتبت فى خريف ١٩٨٧ . وقد وضح فيما بعد أن من بين أهداف « الاشتراكية الديمقراطية » أن تكون جسر لقاء مع الصهيونية التى تنتسب أيضا للاشتراكية الديمقراطية الدولية وكما وضح فى اتفاقيات كامب دافيد فى ابريل ١٩٧٨ .

وصحيح أن الاسلام دين وسط ولكن المهم هو تطبيق هـذه الوسطية فى أوضاع مقلوبة لا تتعادل فيها كفتا الميزان • ففى مجتمع تسـوده الاقلية المترفة تتحقق الوسطية فيه بالعمل أولا من أجل الاغلبية المحرومة • وفى مجتمع تسـوده أقلية حاكمة تتحقق الوسطية فيـه بالعمل أولا من أجل الاغلبية المحكومة • وفى المجتمـع الذى تتكالب فيـه الطبقات العليا على الدنيا دون الآخرة يتحقق التوازن فيها بدعوتها الى العمل من أجل آخرتها • وفى المجتمع الذى تجـد الطبقات المحرومة فى الآخرة تعويضا لهـا عن حرمانها فى الدنيـا يتحقق التوازن فى حياتها بالدفاع عن حقوقها فى الدنيا • وهنا يختلف التوازن فى التطبيق من طبقة لاخرى • ولا يعنى التوازن بين الروحى والمادى اطلاق العنان للكسب والربح ثم بناء المساجد وحج البيت ، فذاك تفسـير رأسمالى للاسلام • فالاسلام لا يفرق بين الروحى والمادى ولكن يوحد بينهما • كل نشاط اقتصادى عمل روحى ، وكل عبادة عمل مادى • لا يعرف الاســلام التفسير الروحى فى مقابل التفسـير المـادى بل قامت الشريعة الاسـلامية على الضروريات الخمس : الحياة ، والدين ، والعرض ، والمال ، والعقل ، وهى دعائم الحياة لا فرق فيها بين روحى ومادى • ولا يعنى التكامل بين العلم والايمان اجراء التجارب فى المعامل ثم التبرك بأولياء الله بـل يعنى اقامة الايمان على العلم والبرهان ، وتوجيه العلم لخدمة الرسالة • فالاسلام يوحد بين العلم والايمان ، ولا يجعلهما متجاورين •

ولا تعنى الوسطية فى الاسلام القضاء على الصراع ، فالصراع هـو محرك التاريخ « ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت السموات والارض » • ولا تعنى الاخوة فى الاسلام الحب غير المشروط

بل الحب فى الله والبغض فى الله • وبين الظالم والمظلوم لا توجد أخوة ، وبين الحق والباطل لا توجد مصالحة • الايمان يقتضى نصرة الحق على الباطل وليس ايجاد التوازن بينهما • وقد أمر الله برفض ولاية الظالمين والمعتدين •

ان أيديولوجية التوازن من الناحية الاجتماعية كانت ولا تزال باستمرار أيديولوجية الطبقة المتوسطة التى تريد الابقاء على الوضع القائم والغاء الاطراف بدعوى القضاء على التطرف وبهدف الابقاء على الوضع القائم دون تغييره وحتى تستمر هذه الطبقة فى البقاء فتنافس الاغنياء فى غناهم أو تشاركهم فيه • وتتصدق على الفقراء فى فقرهم ، وفى نفس الوقت تظل أعلى منهم وتستخدمهم لحسابها • ومن المعروف فى العلوم السياسية أن هناك نظريتين • السياسة كنظرية فى التوازن أو التعادل وهى النظرية الرأسمالية ، والسياسة كنظرية فى الصراع وهى النظرية الاشتراكية •

والاشتراكية الديمقراطية اجتهاد فردى لصاحبها وتجميع من واضعيها ، وعمل بعض الاساتذة الذين اشتركوا فيها طلبا للمناصب وتأكيدا لدور البعض فى تبرير النظم السياسية وقيامهم بدور الموظف الايديولوجى للنظام • ولاى نظام يطلب موظفين من هذا النوع • ولكنها لا تلزم الجامعة فى شىء • فالجامعة أساتذة وطلابا تضم عديدا من الآراء والتيارات المتباينة • وهذا شىء طبيعى بحكم العلم واختلاف المناهج والرؤى لقضايا التغير الاجتماعى ومواجهة تحديات العصر والاختلاف فى الرأى رحمة من الله •

ولا يمكن الزام المجتمع كله بأيديولوجية واحدة والا وقعت

الاشتراكية الديمقراطية فى النظام الشمولى الذى نراه وقد ساد فى ثورة ٢٣ يوليو • بل ان الانظمة الاشتراكية كلها تسمح بتعدد المداخل النظرية للايديولوجية الواحدة ، واقتصرت الايديولوجية على برنامج للعمل الوطنى يلتزم به كل المواطنون • ولا يوجد شىء اسمه الايديولوجية الصحيحة • فكل الايديولوجيات اجتهادات لتصوير الواقع لصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة • ولا يلتزم المواطنون الا بالدستور • وهم سواء أمام القانون بصرف النظر عن عقائدهم السياسية •

ويظهر التناقض فى « الاشتراكية الديمقراطية » بين المبادىء المعلنة والواقع العملى • ففى نفس الوقت الذى تدعو فيه الى توجيه الدولة للنشاط الاقتصادى ، وهو ما يقتضى التنمية والقطاع العام وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، تشرع سياسة الانفتاح ويعلن البعض عن تصفية القطاع العام وتحويل هيئاته الى شركات ، ويسمح للقطاع الخاص بالانتشار بلا ضوابط ، ويفتح الباب على مصراعيه لشركات الاستثمار ، وللبنوك الاجنبية ، وحرية تداول النقد الاجنبى ••• الخ • وفى نفس الوقت الذى يعلن فيه أن الديمقراطية تقتضى عدم عزل أية فئة من ممارسة العمل السياسى تصدر قوانين يشرعها الاستفتاء الاخير من أجل العزل السياسى ، وتصدر قوائم العزل • وفى نفس الوقت الذى تعلن فيه سيادة القانون يتم انتهاك حقوق الافراد باسم القانون عن طريق اصدار القوانين الاستثنائية مثل قانون الاشتباه ، وقانون العيب ، وقانون الطوارىء ، وقانون حماية الوحدة الوطنية •• الخ •

وفى نفس الوقت الذى يتم فيه رفض سيادة الفكر الاوربى على الحضارة العربية حماية للاصالة ودفاعا عن التراث يتم الانتساب الى الاشتراكية الاصلاحية الغربية وهى من الارهاصات الاولى للاشتراكية العلمية والتى استمرت فيما بعد لضربها والتى وجدت فيها النظم الرأسمالية تدعيما لها ودفعا لخطر الاشتراكية العلمية عليها . فاذا كانت الاشتراكية الديمقراطية ترفض الافكار المستوردة وهى تعلن انفتاحها على التجارب المعاصرة فهى تتبنى مذهبا سياسيا غربيا رأسماليا فى حقيقيته واشتراكيا فى مظهره .

وفى نفس الوقت الذى يعلن فيه « لا اكراه فى الدين » ، « ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » تتم فيه التفرقة بين المواطنين على أساس الايمان والالحاد ، وأن من لا ايمان له لا أمان له . ويتم التخلص من الخصوم السياسيين فى أجهزة الاعلام والجامعات وفى جهاز الدولة ومراكز التخطيط على هذا الاساس . ويكثر التفتيش فى ضمائر الناس والقاء التهم بالايمان والالحاد على هذا وذاك مع أن كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه وماله وأصبح عضوا فى الجماعة الاسلامية .

وبالاضافة الى هذا التناقض بين النظرية والتطبيق هناك ثلاث بواعث غير معلنة وراء « الاشتراكية الديمقراطية » . الاول ، صياغة نظرية أو أيديولوجية لما يسمى بحركة ١٥ مايو كبديل عن ثورة ٢٣ يوليو بل وعلى النقيض منها . فكثيرا ما تصور ثورة ٢٣ يوليو وكأنها

سلبيات مثل النظام الشمولى ، والانغلاق والتبعية للاتحـاد السوفيتى ، ومراكز القـوى ، والتعذيب فى السـجون ، والاضطهاد والزعامة الفردية ، وتبديد طاقات مصر فى الحروب ! والثانى معاداة الاشتراكية ووصفها بأنها ماركسية وتشويهها أمام الشعب وهو مـا درجت عليه كل النظم الرأسمالية فى الغرب أولا ثم فى الشرق ثانيا بذكر العبارة المشهورة « الدين أفيون الشعوب » ، وهى عبـارة مبتسرة مثل « ولا تقربوا الصلاة » لان تتمة العبارة « وصرخـة المضطهدين » . فالدين ممثلا فى رجال الدين وباعتباره وظيفة اجتماعية يمكن أن يكون فى لحظة معينة وسيلة لتخدير الناس وتعويضهم بالآخرة عن مآسى الدنيا كما حدث فى تاريخ الكنيسة فى أوربا ويمكن أن يكون ثورة للمضطهدين كما كان الحـال فى المسيحية الاولى وفى حروب الفلاحين فى ألمانيا فى القرن السادس عشر بقيادة الراهب توماس مونزر . وقد ظهر ذلك أيضـا فى اشتراك البوذيين فى حركة التحرر الوطنى فى فيتنام ، وفى تفسير ماو تسى تونج لكونفوشيوس فى بدايات الثـورة الصينية . وقد حدث ذلـك أيضا فى دور الاسـلام الثورى ابان حرب التحرير الجزائرية وفى دور الرهبان الكاثوليك الشبان فى أمريكـا اللاتينية . لقد كان المضطهدون فى مكة والمعذبون والعبيد والفقـراء هم أول من آمنوا بالاسلام ، وكان أول من عادوه هم أشراف مكـة وأغنياؤها . والثالث ، أن تكون الاشتراكية الديمقراطية جسر لقـاء مع الصهيونية من خلال الاشتراكية الديمقراطية الدولية بمساعدة الدول الاوربية الحليفة . وقد بدا ذلك فى التحقق فيما بعد مصـالحة العدو

الصهيونى ، اشتراكية ديمقراطية تتحالف مع اشتراكية ديمقراطية أخرى بصرف النظر عن العنصرية والتوسع والغزو واستئصال شعب فلسطين وتشريده واحلال شعوب أخرى اشتراكية ديمقراطية محله !

ان « الاشتراكية الديمقراطية » لا تستحق كل هذا العناء فى بيان تهافتها النظرى وتناقضها فى التطبيق فسوف تجرفها الاحداث ، وينساها واضعوها وهم بصدد الاستعداد لوضع أيديولوجيات أخرى حسب الطلب وعندما يأتى الامر !

(جـ) بين العـالم والراوى .

فى حياتنا القومية شخصيتان : العالم والراوى . والحوار بينهما يسجل حركة التاريخ . وهو التقابل بين الجد والهزل ، بين المأساة والملهاة . وهما نمطان سلوك وتفكير يراهما العامة وقـد تجسـدا فى شخصيات القادة ، يبدو أحدهما عالما والآخر راويا . وتحتوى كل شخصية على نماذج فرعية فى السلوك يمكن وصفها على النحو الآتى :

١ — العالم يضع سؤالا محددا من أجل الحصول على اجـابة محددة وحلا لمشـكلة بعينها ، يفكر فيها ويسـتغرقه الموضوع ، ويصبح مهموما به حتى يجد له أفضل الحلول . أما الراوى فانـه يحوله الى حكاية للتسـلية يرويها للناس ليبين صعوباته وألغـازه التى تستعصى على الحل ثم يطويها بين ذراعيه ويخرجها من أطراف جلبابه كالساحر الشـعبى ، وكأن المسألة قد تم حلها بقدرة قادر ، بعبقرية موهوبة وشخصية فذة لها سحرها وذكاؤها فى برامج الاطفال ومسرحيات الكبار .

٢ — العـالم يبدأ من واقع معين وبصورة احصائية له ويحاول تغييره أو يعيد بناءه . أما الراوى فانه يسـتعمل الواقع كنسيج

كتب هذا المقال لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ كوصف لاسـلوب أحد رؤساء الجمهورية السابقين الذى كان يستخدم الرواية اسلوبا فى الحديث تعمية للموضوع واعتمادا على الخيال الشعبى وادعاء البطولة والابوة وشيخ القرية بالعصا والجلباب فى صورة الراوى القديم . وهذه الصياغة من العناصر الاولى لهذا المقال ، كتبت بعد ذلك بعشر سنوات ، فى خريف ١٩٨٧ . وكان الهدف ابراز التقابل بين أسلوب عبد الناصر وأسلوب السـادات .

لحكاية يقوم الخيـال بصياغتها فيتحول الواقع الى قصـة تتأرجح يمينا ويسارا بلا واقع كمى احصائى وكأن الواقع تاريخ ، والوقائع شخصيات ، والاوضـاع الاجتماعية مجرد علاقات قوى • ويقـوى موقف الراوى قصص الانبياء الذى يصور الواقع فى خيال ، ويحكى التاريخ على أنه قصة ، يضحى بالعلم من أجـل التشويق ، ويؤول المضمون لصالح السرد • وبلغة علم الحديث عند العالم المتن أهم من السند وعند الراوى السند أهم من المتن • وبلغة الفلسفة عند العالم الحقائق جوهر ومضمون وعند الراوى كل شىء خاضع لطرق الايحاء ووسائل الاقناع •

٣ ـ يبحث العالم عن العلل المتحكمة فى مسار الاشياء ، ويحاول التعرف على القوانين الضابطة لسير الظواهر حتى يمكنه السـيطرة عليها وتوجيهها لصالحه ولتحقيق غاياته • أمـا الراوى فانه لا يبحث عن شىء وبالتالى فانه يجهل قوانين الاشياء ثم يدارى جهله اعتمادا على عناصر الرواية وأساليب التأثير • يضحى بالعلم من أجل الادب، وبالفكر من أجل الاسلوب ، وبالمضمون تمسكا بالشكل • يسهل الحوار مع العالم وتبادل الآراء والتصحيح المشترك • أما الراوى فانه لحن فريد لا يعزفه الا مطرب واحد ، ولا يمكن أن يكون فى الحى الواحد مطربان •

٤ ـ أحيانا تأخذ العالم الحمية وتنتابه الثورة ، ويفقد أعصابه ، يثور ويغضب ، ثم يهدأ ويبرد ، وهو فى كلتـا الحالتين صـادق وانسان • كرامة الوطن ، وحـرية القرار ، والاسـتقلال الوطنى ، والسيادة على الارض ، كل ذلك مدعاة للفخر يثور العالم اذا ما نال

أحد منها • أما الراوى فانه يتعايش ، يروى من فوق أية مصطبة كانت مادام الجمهور حاضرا ، وبالدف ضاربا ، وحوله المزمار ، وأمامه الراقصات • لا ينفعل بشىء الا بقــدر الحساب ، وعلى قدر الاندماج فى الدور • ما يهمه نجاح الليلة ، ليلة العرس حتى ولو كان لدى الجيران مأتم •

٥ — العالم باكتشافه وريادته بطل عصره وقائد أمته لدى شعب يعشق البطولة ، ويقدس الابطال • أما الراوى فانه يختفى ليلــة الزفة اذا ما نشبت المعركة ، وانطفأت الانوار • بطل فى السلام وحين الامان ، ولا يعثر له على أثر حين النزال • لا يعلن عن رأى ، ولا يدخل فى نقاش ، ولا يختلف مع أحد • لا يهمه أن يكون بطلا لدى قومــه فلا قوم له الا أصحاب الحفل ومن يعطى « النقوط » • يغنى فى أى مكان مادامت الاضواء مســلطة ، والمصورون حاضرين ، والتمثيلية جاهزة • العالم بطل تخلقه الظروف ، والراوى بطل يصطنع المواقف ، ويخلق الظروف لنفسه حتى يقوم بدور الممثل ، فتتابع المشاهد حتى ولو أسدل الستار •

٦ — العالم يرى عالما موضوعيا أمامه ، يعيش فيه ، ويتعامل مع معطياته • ذات فى مواجهة موضوع ، وعى فى قلب عالم ، قائد وسط أمة ، تهمه القضية أكثر مما تهمه ذاته • أما الراوى فانه نرجسى يحيل العالم كله الى نفسه • فالعالم رواية أو قصة من نسج الخيال ، الراوى فى وســطها يعلن عن بداية العالم من خــلال الرواية لجمهور المشاهدين • الراوى ذات بلا موضوع أى فراغ أجوف دون ملاء ، أعراض بلا جوهر • العالم يبقى ببقاء الموضــوع والراوى يتلاشى بانقضاء البالون ساعة الانفجار •

٧ — العالم له هدف وغاية ينطلق اليه كالسهم ، يحدد مراحله ، ويقرر خططه ، ويضع فى حسابه شتى الاحتمالات . العالم له قضية ، له رسالة حياة . أما الراوى فانه لا هدف له الا اضحاك الجمهور أو ابكائه ، لا خطط له ولا مراحل تحقق . وان كان للراوى هدف فهو فقط ليلة العرس حتى يتصدر المائدة ، ويظهر وسط الصور التذكارية معجبا بنفسه على أنه عروس الحفل ليلة الزفاف . لا يهم ما يحدث فى اليوم التالى ، ولا يهمه ان كانت عروسه عذراء . هدف الراوى معكوس عليه ، هو نفسه الرامى والسهم . فيتحول السهم ، ويدور حول نفسه ، ويصيب الرامى .

٨ — العالم ثائر ، يعرف ظروفه الموضوعية التى جعلته ثائرا وعلى دراية بأساليب ادارة الصراع . العالم عصر يعبر عن نفسه فى فرد ، وتاريخ يتحرك ، وينتقل الى مرحلة جديدة من مراحل مسيرته . أما الراوى فتاجر سمسار ، وسيط وعميل ، مقامر يكسب أحيانا ويخسر دائما . العالم مبدأ ، وصاحب موقف فى حين أن الراوى رجل أعمال يتقاضى عمولات نظير عقده الصفقات بما فى ذلك الوطن ، ماءه وأرضه ، آثاره وتاريخه .

٩ — العالم رجل ، ورجل أول لا يكون تابعا لاحد ولا شخصية ثانية تضمر السوء من وراء ستار ، « تتمسكن حتى تتمكن » . أما الراوى فانه أقرب الى المرأة تتكيف حسب الظروف ، تلعب على كل الرجال ، وفى أحسن الاحوال هو رجل ثان ، تابع صامت ، يحيك المؤامرات ، ويتحالف مع الاعداء ، ويتربص الفرص للانقضاض . العالم سيد يتعامل مع أسياد ، ند مع أنداد . أما الراوى فانه صوت

سيده ، ضعيف مع أقوياء ، ذليل مع أعزاء ، يشـــعر بمركب النقص أمام من يشعرون بمركب العظمة ، جاهل يسعى للحصول على الدكتوراه الفخرية من خارج الاوطان وجامعاته الوطنية تأبى أن يطأها •

١٠ — العالم صادق مع النفس ، وصادق مع الغير ، وصـــادق مع واقعه • ان انتصر أعلن انتصاره ، وان هزم أعلن هزيمته • والراوى كاذب مع نفسه ، كاذب مع غيره ، ان انتصر جيشه الوطنى قال انتصرت وان هزمت خططه وألاعيبه ومناوراته قال انتصرت ، يجهز البيارق والاحتفالات بالنصر قبل النصر لان كل ما سيفرض عليه ســيكون نصرا • العالم قد يخطىء التقدير ويعترف بخطئه ، أما الراوى فانه لا يخطىء أبدا لانه لا يفعل شيئا يقاس خطأ أم صوابا • وظيفته أداء المطلوب والتمويه على السامعين • خطؤه الوحيد أن يكتشف السامعون ألاعيبه أو لا يحسن الاداء بمغالاته فيه ظانا أن يرضى الاسياد الذين سرعان ما يتخلصون منه اذا ما انقلب من ممثل الى مهرج فيبحثون عن ممثل أقدر فى أولى أدواره قبل أن يكتشف ألاعيبه السامعون •

١١ — العالم لانه صادق مع النفس طيب السريرة ، صافى القلب ، لا يبغى الشر ولا يوقعه • وفى نفس الوقت يغضب للحق ، ويثـــور ضد الظلم • يجمع بين الوداعة والصلابة ، بين اللين والشدة ، كل فى حينه • أما الراوى فانه سىء الخلق ، يظهر غير ما يبطن ، منافق ، يتكلم يسارا ويسلك يمينا • يتلون كالثعبان ، حويط كالافعى • يستعمل لغة القتـــل والتشريد والتعذيب والفرم والانياب • العالم يسمع النصيحة ، ويرعوى بالمعارضة ، والراوى يستأسد مع المعارضة وهم خصوم فى الوطن ، ويلين مع الاعداء ويسمع نصائحهم وينفذ وصاياهم وهم خصوم التاريخ •

١٢ — العالم ان قضى نحبه يذكره الناس ويحملون نعشه بالملايين على الاعناق مبايعة فى الحياة وفى الممات • يراه الناس فى الارض وفى الصناعة وفى الوطن ، يذكره الفلاحون والعمال والطلاب • يحترمه خصومه وأعدائه قبل أصدقائه وأنصاره• العالم يبقى فى التاريخ مهما بعد العهد وقدم الزمان • أما الراوى فلا يذكره أحد حتى ولو ملأ الدنيا فى حياته صراخا ، وأخذت الدنيا فى عهده زخرفها وازينت•يعزلونه فى الحياة وينسونه بعد الممات • لا أحد يفديه ساعة الخطر ولا أحد يذكره ساعة الرحمة ولا حتى الاسياد بعد مراسم الدفن وواجب العزاء •

ذاك هو التقابل بين العالم والراوى فى حياتنا السياسية المعاصرة وهو مازال تقابلا حيا فى وجداننا القومى يحث على الاختيار • ولكن هل يستطيع « الكاتب المصرى القديم » القاعد القرفصاء والذى يمسك بيده بالاقلام والالواح ويحفظ الملفات أن يجمع بين الشخصيتين : العالم والراوى ؟ وهل يغنى « الكاتب المصرى » عن « فرعون مصر » ؟

(د) تحية الى رجل الشارع •

لا أريد أن أكون نشاذا فى نغمة يكررها الجميع ، ولكنى أريد أن أكون صادقا وأن أعبر عما كان يختلج فى قلب رجل الشارع وعما يجيش فى صدور الناس ومايزال •

ويبدو أننا لم نعلن التوبة بعد ، ومازلنا نسىء تأويل مشاعر قومنا ، ونتهم شعبنا بالتخريب وقد يكون أكثر صدقا ووعيا منا • ولا نتعلم من التجارب • وسنظل متخلفين عن رجل الشارع ، وهو يسبقنا باحساساته الصادقة ، وبعمله التلقائى • نسىء فهمه عن عمد ، ونشوه مواقفه كالعادة • وربما نحقد عليه فى قرارة نفوسنا ولكنه يستمر فى مطاردتنا • ونظل نتبرأ منه ، ونقذفه بالاتهامات ، وهو يضحك علينا ، ويرثى لنا ، ويعجب لنفاقنا الذى طال •

لقد عبر رجل الشارع فى الحوادث الاخيرة عن عدة حقائق لا تغيب عن بال المتأمل فى حال الناس وفى حال مصر على النحو الآتى :

١ — مازال رأينا باستمرار تفسير ما يحدث من ممارسة الشعب

كتب هذا المقال بعد انتفاضة ١٨/١٧ يناير ١٩٧٧ فى مصر عندما كانت مصر كلها من الاسكندرية الى أسوان تحت سيطرة الجماهير . ولم يكتمل المقال ، ولم ينشر بعد هدوء العاصفة . والصياغة الحالية من المسودة القديمة بعد ذلك بعشر سنوات فى خريف ١٩٨٧ . ويمكن أن ينطبق ذلك أيضا على حوادث الامن المركزى فى مصر بعد ذلك بعشر سنوات فى ١٩٨٧ .

لحياته الوطنية على أنه بفعل فاعل مرئى أو غير مرئى وكأن الواقع لا يتحرك من داخله ، وكأن الجماهير لا حياة لها ، وكأن هـذا الفاعل الخارجى ساحر أو شيطان له قدرة قادر على تحريك الناس وتوجيههم كما يشاء ، وكأن جماهير مصر مسلوبة الارادة ، فاقدة الوعى ، تقع دائما ضحية هـذا الشيطان الخبيث • وذلك ادانة لشعبنا وتجاهل للجماهير صانعة ثوراته المتعاقبة وفوراته المتتالية منذ النكسة حتى الآن • الى متى سنظل نتهم شعبنا بأنه جثة هامدة لا يرد اليها الحياة الا بفعل فاعل مجهول ؟ ان العيب هو فى أقلامنا التى تعودت على اتهام الشعب وتبرئة أنفسها ، واعتبار خروجه على السـلطة مروقا وعصيانا • وذلك أن وظيفة الاقلام هى فى التعبير عن السلطة والنظام ، خادمة للسيد وليست مدافعة عن حقوق العبيد •

٢ — مازلنا نتصور أن ما يحدث فى حياتنا الوطنية هـو أقرب الى الشغب والتخريب منه الى الممارسة السياسية لحقوق المواطنة • نخلط بين الاساس والفرع ، ولا نميز بين الجوهر والعرض • ان غضب الجماهير واقع حقيقى • والضنك الذى يعيش فيه الشعب ثقيل على النفس • وتوفير ثلاث وجبات يومية للجماهير الفقيرة هم يومى تحول الى هم تاريخى • فتحرك الجماهير اثبات لنفسها ، واعلان عن وضعها • ويصاحب الشعور الجمعى أفعال عرضية من الصعب السيطرة عليهـا بعقل الروح الجمعى • ولكنها أشياء طارئة وليست الشىء الجوهرى • فالحديث عن تخريب رجل الشارع دون الممارسة الفعلية للمسؤولية الوطنية هو حديث عن العرض دون الجوهر ، واحلال للطارىء محل الدائم •

٣ ــ ان مأساة جماهيرنا هى فى غربتها عن وطنها وفى عدم انتمائها الى ما يحدث فيه • يسمع رجل الشارع عن حفلات الفنادق الكبيرة وعن لياليها الحمراء وعن موائدها الطويلة • كل ذلك يحدث فى مصر ، وهو مصرى منزو فى عالمه ، لا يخرج من حارته ، لم يدعه أحد الى مائدة ، فتحول الحرمان فى نفس رجل الشـــارع الى تحريم ، وتحولت المحرمات الى أساطير حية • وكلما زادت الغربة اتسعت الهوة بين رجل الشارع وبين مصر الآخرين • فاذا ما ثار وغضب فانما أراد أن يقضى على غربته ، وأن يشعر بالانتماء ، وأن يعلن أن مصر للجميع ، وأن الواجهات الزجاجية الكبيرة قابلة للانكسار • وتكون « الحجارة » التى يقذفها هى طريق العبور من عالمه الخاص الى مصر الجميع ، فينتمى على أسنانها •

٤ ــ ان مأساة جماهيرنا هى أنها ليست لديها وسيلة للتعبير عن ذاتها • فاذا ما سمع فى أحاديث بعض نواب مجلس الشعب تعبير عن بعض ما يجيش فى صدره فانه يسمع أيضا أنه يقال لهم اخرس ! ! اسكت ، شيوعى ! ملحد ، عميل ! •• الخ • ان توجه الجماهير الى مجلس الشعب ليدل على أنه يريد أن يسمع صوته لممثليه • وان توجهها الى الصحافة ليدل على أنها تريدها حرة تعبر عن أحوالها وليست مأجورة تعبر عن السلطة • أراد رجل الشارع أن يعبر عن غضبه ضد لسان حاله الذى لم يعد يعبر عنه بل كان معبرا عن وجهة نظر خصمه التقليدى فى الوجدان القومى •

٥ ــ ان ما يبدو أحيانا على أنه اعتداء على مقـــار الاحزاب السياسية وبوجه خاص على ما يسمى بحزب الاغلبية يشير أيضـــا الى

أن الشعب قد تجاوز مرحلة الاحزاب الحكومية التى تعبر عن الحكومة أكثر مما تعبر عن الشعب • ولم يعد يقبل هـذه المكاتب الحكومية التى تدعى لنفسها اسم التنظيمات الحزبية • وان ما تسمى بحكومة الاغلبية كانت صاحبة القرارات الاقتصادية التى كانت الشرارة التى فجرت ما يعتلج فى نفسه من نار الضنك وشظف العيش •

٦ ـ ان الاعتداء المتكرر على أقسام الشرطة والذى بـدأ فى السنوات الاخيرة فى بعض قرى مصر يعبر عن احساس الشعب بأن السلطة لا تعبر عنه وبأنها معادية له . وبأنها خصمه الاول • وان شعار « الشرطة فى خدمة الشعب » لهى محاولة للتعمية وللتغطية أو لايهام الشعب بأن الشرطة فى خدمته بالرغم مما نسمع عن عدد «العلق» التى يأخذها بعض المواطنين اذا ما دخلوا الاقسام • كان من الطبيعى أن تتوجه ثورة الشعب نحو رمز السلطة والسطوة عليه •

٧ ـ صحيح أن وسائل النقل العام هى وسيلة الشعب العرجاء ، ولكن الشعب فى فورة الغضب يعبر من خلال عدائه لها وتحطيمها عن مصادر آلمه المزدوجة • فهى التى يحشر فيها . وتتكسر فيها ضلوعه ، ويهان فيها كل يوم مرتين على الاقل . مرة ساقطا ومرة متدليا ، مرة محشورا ومرة مسروقا • وهى أيضا تمثل السلطة مثل أقسام الشرطة ومقار الاحزاب ودور الصحف • فهو يعتدى على السلطة باعتدائه عليهـا •

٨ ـ أما الهجوم على المجمعات الاستهلاكية فهو يمثل نوعا من الالم والفرح فى آن واحد • هو ألم لانه يمثل أيضا الهجوم على السلطة ورد الفعل المناهض لها • فالجمعيات الاستهلاكية فى نهاية الامر تمثل

الحكومة التى تدعى تمثيل الشعب • فالحكومة هى التى شرعت نظامها ، وموظفوها الذين يسرقونها ، ويحابون الاصدقاء والمعارف على حساب جماهير الفقراء • يحابون الزبائن ، ويعطون الاولوية للخاصة ، ويهربون الكثير من البضائع من الباب الخلفى • والآن الجمعيات للناس من الباب الامامى وللعامة دون الخاصة ، وعادت الى الشعب • والفرح هــو فرح الجياع الذين عبروا عن جوعهم الذى صبروا عليه طويلا • حمل كل جائع على كتفه ما حلم به وراوده فى منامه • وتبدو الشهامة ، ويظهر التضامن بين الجياع ، فيوزع الجائعون على بعضهم البعض ما حملوه بالتساوى مع حفظ نائب الغائب ، والتوصيل الى المنازل للمرضى والعجائز •

٩ ــ أما المستشفيات والمراكز الطبية والعيادات والمصــحات والمستوصفات فلم تلمسها الجماهير الغاضبة • حرقت جميع الاعلانات عن الخمور والمنتديات الليلية وتركت اعلان معاهد شلل الاطفال • فالجماهير غاضبة ولكنها واعية ، ثائرة ولكنها متحضرة • ومن ثم فهى ليست غوغاء ولا رعاع بل تمثل الضمير الحى للامة ووعيها السياسى الذى يفوق أحيانا وعى السياسيين المحترفين وادراك الاحزاب السياسية القائمة •

١٠ ــ أما الجامعات والمدارس فلم يمسسها شىء لانها دور علم يتعلم فيها الشعب بعد أن حصل على مجانية التعليم • بل لقد خرج الطلاب فى الشوارع لاحقين برجل الشارع يعطونه الشعارات ويعبرون عما يجيش بصدره من انفعالات • فالطلبة عقل الثورة ، ورجل الشارع وقودها • عادت لجنة الطلبة والعمال من جديد على مستوى الجماهير

من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب والسلطة تفكر فى الهرب بعد أن تم حصارها ولم يبق الا الاستيلاء على الباستيل واسقاط الملكيـــة الجديدة •

انتفاضة شعب لم تستمر ، ولكنها ظلت علامة ومؤشرا على يقظته وقدرته على الحركة • ينقصه العصب أو العمود الفقرى حتى تتحرك الاطراف وجسد الثورة قائم •

تحية الى رجل الشارع •

(أ) التصوف والتنمية •

حوار مع الغزالى

« احياء علوم الدين » أو احياء علوم الدنيا ؟

١ ـ مقدمة :

التصوف هو أحد العلوم العقلية النقلية فى الحضارة الاسلامية ، بالرغم من اعتماده على منهج الذوق ، مع علوم الحكمة وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه • وهو العلم الذى اتحد مع العقائد الاشعرية وأصبحا معا المكون الرئيسى للحضارة الاسلامية منذ العصر المملوكى التركى حتى حركة الاصلاح الدينى فى العصر الحديث •

٢ ـ النشأة التاريخية للتصوف الاسلامى :

أثناء الصراع بين على ومعاوية ، أخذ الاتقياء الاطهار صف على بينما أخذ أهل الدنيا صف معاوية • ولما لم يستطع الاتقياء تغيير العالم والدفاع عن الحق وارجاع الشرعية الى السلطة السياسية بعد سقوط عديد من الشهداء من آل البيت والصحابة الاوائل والائمة ، وفى نفس الوقت رفض الدخول فى مساومات مع أهل الدنيا والتسليم باللاشرعية

مجلة دراسات جمعية الشرق الاوسط (ملخص لبحث بالانجليزية بنفس العنوان) طوكيو ١٩٨٦ •

Mysticism and Development, James, Tokyo, 1986.

فى الحكم • انزوى الاتقياء ، وارتدوا الى النفس لانقاذها بعـــد أن استعصى عليهم انقاذ العالم • وتم خلق عالم روحى باطنى جديد تعويضا عن فقد العالم الخارجى • وتم تأويل القرآن على هـــذا الاساس • تحولت الهزيمة الخارجية الى نصر داخلى ، وتحول القهر الخارجى الى حرية داخلية • واستمر التصوف يمثل رد فعل روحى على حياة البذخ والترف فى العالم الاسلامى •

٣ ــ الاسباب التاريخية لاختيار التصوف كحل لمشاكل العالم الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى :

بالرغم من ازدهار الحياة العقلية فى القرن الرابع الهجرى الا أنه متى أتى القرن الخامس حتى تعددت الحقــائق ، وتكاثرت المناهج ، واحتار الناس فى الاختيار بينها بعد أن تكافأت الادلة بين الشىء وضده • أصبح العقل والطبيعة مصدرين للمعرفـــة على حساب الوحى • وتحول الدين الى مجموعة من الشـــعائر الخارجية بلا حياة باطنية • وصـــل العالم الاسلامى الى حد من الغنى والترف بحيث أصبح المال مطلبا للجميع • وكان الصليبيون قد وصلوا الى الشام ، وسقط بيت المقدس • فأراد الغزالى أن يرد الناس الى الدين حماية لهم من الدنيا •

ولقد تغيرت الظروف الآن بل نشأت ظروف مضادة مثل سيادة الرأى الواحد ، وأولوية الايمان على العقل ، وفشل التنمية للمجتمعات الاسلامية ، وحاجة الناس الى ســلوك فى الدنيا ، وتحرير الارض المحتلة غاية للمقاومة • قضايا الامة الرئيسية الآن سبعة : تحرير الارض من الاستعمار الخارجى ، وتحرير المسلمين من القهر الداخلى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية لحل التفاوت بين الفقراء والاغنيــاء ،

وتحقيق التنمية ضد مظاهر التخلف ، وتوحيد الامة ضد التجزئة ، وتأكيد الهوية الوطنية الاسلامية ضد التغريب والتبعيه ، وتجنيد الجماهير ضد السلبية واللامبالاة . فهل يمكن للتصوف المساهمة فى حل هذه القضايا والدخول فى تحديات العصر ؟ هل يمكن تحويل أيديولوجيا الصراع الداخلى الى أيديولوجيا للمقاومة الخارجية ؟ هل يمكن الانتقال من الفرد الى المجتمع ، ومن النفس الى العالم ؟ لقد استطاعت الطرق الصوفية فى التاريخ الاسلامى الحديث القيام بمثل هذا التحول مثل السنوسية فى ليبيا ، والمهدية فى السودان ؟ هل يمكن اعادة بناء التصوف كله لصالح قضايا العصر ؟ هل يمكن الانتقال من « احياء علوم الدين » الى « احياء علوم الدنيا » ؟

٤ — اعادة بناء المرحلة الاخلاقية العملية :

اذا كان التصوف طريقا الى الله يمر بثلاثة مراحل : مرحلة أخلاقية ، ومرحلة نفسية . ومرحلة ميتافيزيقية فهل يمكن اعادة بناء كل مرحلة بحيث يساعد التصوف على تنمية العالم الاسلامى وتطوره ؟ يمكن ذلك عن طريق التحول من الروح الى البدن . ومن الداخل الى الخارج ، ومن الاخلاق الفردية الى الاخلاق الاجتماعية . ومن التأمل الباطنى الى الفعل الخارجى . ومن الطرق الصوفية الى الحركات الاجتماعية والسياسية . فمشاكل الشعوب الاسلامية الآن فى البدن ، وفى المجتمع ، وفى العالم ، ومع النظم الاجتماعية والسياسية وليست مع الروح أو الفرد أو القيم أو التأمل أو حلقات الذكر الصوفى .

٥ — اعادة بناء المرحلة النفسية الاخلاقية :

فى هذه المرحلة ، يتحول التصوف من أعمال الجوارح الى أعمال

القلوب ، وينتقل الصوفى فيها من مقام الى مقام ، ومن حال الى حال • هل يمكن تحويل هذه المقامات والاحوال السلبية الى مقامات وأحوال ايجابية ؟ فالتوبة ليست عملا فرديا بل رغبة فى التغير الجماعى ، والصبر ليس انتظارا بلا حدود بل عمل وتمهيد لوقت محدود ، والشكر ليس رضاء بالقليل بل استرداد للحق كله ، والفقر ليس فضيلة للفقراء بل دعوة للاغنياء ، والزهد ليس مطلبا للمعدمين بل واجب على الاثرياء ، والتوكل ليس تركا للاسباب بل سيطرة عليها ، والرضا ليس سكوتا على الظلم بل غضب ومطالبة بالحق ، والصمت ليس ايثارا للسلامة بل جهر بالقول ، والعبودية ليست احساسا بالذل بل تحرر من الخوف ، والمحبة ليست توحيدا للمتناقضات بل كراهية للظلم والفساد • أما الاحوال فانها يمكن أن تتغير أيضا من الصراع الداخلى وجدل العواطف الى صراع خارجى وجدل اجتماعى • فالخوف والرجاء ، ثقة بالنفس وأمل لجماعات المعارضة ، والسكر والصحو وعى وانتباه للمقاومة ، والهيبة والانس شجاعة وترابط بين المناضلين ، والقبض والبسط فر وكر للمقاومة ، والفرق والجمع للجيوش ولتوحيد الامم ، والغيبة والحضور للآمال والغايات ، والمحو والاثبات للاعداء والاصدقاء ، والستر والتجلى للحقائق والمعلومات ، والبعد والقرب للاهداف والمقاصد ، والفقد والوجد للامكانيات ، والفناء والبقاء للجنس البشرى •

٦ ـ اعادة بناء المرحلة الميتافيزيقية :

اذا كانت غاية الصوفى فى النهاية هو الفناء فى الله ، والاتحاد به ، والانتهاء الى الوحدة الشاملة فهل ييمكن تحويل هذا البعد

الرأسى الى بعد أفقى ، وأن تكون الغاية الى الامام وليس الى أعلى ؟ هل يمكن الانتقال من المقامات الرأسية الى مقامات أفقية ، والتحول من البعد الالهى الى البعد التاريخى ؟ هل يمكن أن تتحقق الوحـــدة فى هذا العالم وليس خارج العالم ، بالفعل وليس بالخيال ؟ هل يمكن اقامة تأويل جديد يسمح القرآن به طبقا للظروف النفسية والاجتماعية للامة الاسلامية الآن ؟

ان تحول التصوف القديم الى عملية تنمية شاملة فعلية للمجتمعات الاسلامية حتى تتطور من خلال تراثها الخاص يحفظها من الوقوع اما فى المحافظة الدينية التقليدية أو العلمانية الغربية الحديثة ، وتحقق الوحدة الثقافية فى الامة بدلا من ازدواجيتها الحالية .

(ب) تقرير عن بحث « الفكر الدينى السلفى والتنمية » .

١ ـ عنوان البحث :

بالرغم من أن عنوان البحث براق وأن موضوعه جدير بالاهتمام والبحث الا أن هـذه الدراسة التى تحمل هذا العنوان خلت من ذلك ، ولم تقدم الا العنوان . أما الموضوع والمنهج والنتائج والمراجع العامة فهما خارج عن الاطار كله . ويمكن توضيح ذلك بالحقائق الآتية :

١ ـ لم يقم البحث بتحديد المفهومين الرئيسيين فى دراسته وهما « السلفية » ، « التنمية » الا بشكل هامشى صرف فى عبارة عامة واحدة أو فى مكان متأخر من البحث فى النهاية(١) . وهذا هو السبب فى جعل البحث خارجا عن موضوعه تماما وبلا منهج ولا يضم الا معلومات عامة متناثرة من الغرب والشرق على السواء يعلمها الجميع وأحكاما عامة يأباها روح البحث العلمى . وهو من نوع الدراسات المعرفة عند الاخوة المثقفين فى المغرب العربى خاصة فى تونس وفى المملكة المغربية . والباحث يعترف بذلك عدة مرات بلا مواربة أو خفاء واعدا

مراجعة لمجلة العلوم الانسانية بالكويت ، ١٩٨٦ .

(١) يتضح ذلك بتحديد السلفية على النحو الآتى فى هامش فى الصفحة الاولى « تعنى السلفية هنا محاولة بناء الحاضر على اسس نموذج فى الماضى » . كما يظهر تحديد مفهوم التنمية متأخرا كالآتى : وحتى نجيب عن هذا السؤال لابد من القول بأن عملية التنمية عملية شاملة تأخذ بجميع جوانب الانسان ، وبجميع جوانب بيئته ، وأنها تقوم على العلم والنظرة المستقبلية .

باعطاء دراسة أخرى أكثر تفصيلا(٢) • فالدراسة المقدمة اذن هى مجرد عموميات خارج الموضوع •

٢ — البنية العامة للموضوع ومنهج البحث :

يقسم البحث الموضوع الى أربعـة أبعاد رئيسية متفاوتة فى الموضوع والمنهج والحجم والغاية على النحو الآتى :

(أ) البعد النظرى :

ويحتوى هذا القسم على مدخل غربى صرف لموضوع لا غربى خالص ، مجرد مناقشة للخلاف بين ماكس فيبر وكارل ماركس حول العلاقة بين الفكر الدينى والابنية الاقتصادية • وهو مدخل بعيد جدا عن الموضوع • والاولى مدخل خاص عن من تطرقوا الى هذا الموضوع وهم كثيرون ، عيوبهم ونتائجهم أو محاولة تأصيل المفهومين الرئيسيين : السلفية والتنمية داخل التراث الاسلامى نفسه القديم أو الحديث • ثم تأتى مناقشة الاستشراق أى أيضا مدخل غربى لموضوع اسلامى (رودنسون) ، والمستشرقون كثيرون الذين عرضوا للموضـوع مـع رودنسون أو ضـده • كما تحتوى المقدمة على عدم دقـة فى اعتبار

---

(٢) يقول الباحث « منتهين الى عرض سريع لبعض الحركات الدينيـة الحديثـة والمعاصرة وبيان علاقة أفكارها عامة بالتنمية » . ويقول أيضا « ان محاولته هذه ما هى الا مقدمة لدراسة مقبلة وموسعة عن الحركات الدينية الاسلامية وعلاقتها ومواقفها من النهضة والتنمية بشكل خاص ، وواقعها من التغيرات التاريخية الحضارية فى تاريخ أمتنا بشكل عام » •

البنيوية تقوم على دراسة « العلاقة السببية » أو « الترابط بين أجزاء البناء » • فالسببية موضوع العلوم الاجتماعية ومناهجها التقليدية خاصة الوضعية الاجتماعية فى حين أن البنيوية تتجاوز ذلك الى طبيعة البنية وموكناتها •

(ب) القيم والمعانى الاسلامية والتنمية :

ويتضمن البعد الثانى مجرد أفكار عامة عن شمول الاسلام لجوانب الحياة واعتماده على العقل وحرية الارادة ، وقيامه على المساواة والفطرة ، ودعوته لتسخير الطبيعة ، واعزازه لقيم العمل والتوازن بين الانتاج والتوزيع ، وتحقيقه لمصالح الامة • وهى أفكار معروفة عن روح الاسلام لا تتضمن جديدا • والاجدى هو محاولة تحليل كيف يمكن توظيف هذه المفاهيم فى عمليات التنمية الحالية (نظرا) والى أى حد أمكن تطبيقها (عملا) فى تجارب التنمية الحديثة فى العالم الاسلامى ، وما هو موقف الحركة السلفية منها فهما واعتمادا • كيف يمكن لهذه المفاهيم السهلة الواضحة أن تكون عناصر محكمة يمكن بها معالجة مشاكل التنمية المعقدة فى اطار عالمى متشابك •

(جـ) البعد التاريخى :

ويتضمن هذا البعد الثالث على مجرد تطبيق حرفى للمنهج التاريخى بلا وعى ولا هدف ويعطى معلومات عن تاريخ انتشار الاسلام فى

المرحلة الاولى ولا شأن له بالعصر الحديث والفكر السلفى وهو أحد شقى البحث ، ويتحدث عن فتح العراق والشـــام ، ويتطرق الى الشعوبية ، ويركز على العامل السياسى ، ويبين حدود الفكر الدينى العقلانى « المستنير » • وكل ذلك لا شأن له بموضوع البحث انمـــا تطبيق للمنهج التاريخى كما تتطلبه البحوث الاجتماعية «الايديولوجية» •

(د) الحركات الدينية السلفية .لحديثة والتنمية :

ويمثل البعد الاخير نصف البحث تقريبا ، وهو نفس العنوان الرئيسى للبحث وكأن الباحث فى أبعاده الثلاثة الاولى انما كان يقدم للبحث نفسه • وحتى فى هذا البعد الاخير لم يعط الباحث أكثر من عموميات لا علاقة لها بالموضوع ، مجرد معلومات عامه عن علاقـــة العالم الاسلامى بالغرب فى القرن التاسع عشر ، ورصـــد للحركات الاصلاحية ووصفها جميعا بالسلفية ودون تمييز بين مراحلها ونوعياتها المختلفة (مرحله الرواد الاوائل ، مرحلة الاخوان المسلمين ، مرحلة الجماعات الاسلامية الحالية) •

ولا توجد علاقة بين الابعاد الاربعة ، مجرد أربعة مداخل متفاوتة فى موضوعها ومادتها ومنهجها تحت عنوان واحد ، لا رابط بينها ، لا يقدم كل واحد منها نتائجه للآخر حتى تصب جميعا فى الموضـــوع الاخير ، وهو الموضوع الرئيسى للبحث •

أما الخاتمة فهى عدائية صرفة للحركة الاســـلامية بلا مبرر ،

وانتقاص من قيمتها بلا برهان • ولا توجد نتائج عامة للبحث عن العلاقة العضوية الداخلية بين السلفية والتنمية • وذلك لان البحث فى مقدمته الاولى لم يبين هدفــه ولا الافتراض العلمى الذى يريد اثبــاته •

ولا تشفع للبحث بعض العبارات وأساليب التعبير المعروفة عند بعض الباحثين فى لبنان أو فى المغرب العربى مثل نهضوية • وكذلك « علم الاجتماع بالجماعات الاتنوغرفية » •

٣ ـــ المراجع العامة والاشارة اليها :

يحشد البحث قائمة من المراجع فى نهاية البحث عربية وأجنبية ، معظمها خارج عن الاصول الاولى التى يمكن الاعتماد عليهــا كمادة للموضوع • كما حشد هذه المراجع فى الهوامش دون الاشارة الى أرقام الصفحات (١) • كما أن البحث يحتوى على عديد من الاخطاء

---

(١)الامثلة عديدة على ذلك منها :

أ ـــ ماركس / انجلز : البيان الشيوعى •
ب ـــ سمير أمين : الطبقة والامة فى التاريخ فى المرحلة الامبريالية .
جـ ـــ Max Weber : The Protestant Ethics
د ـــ Emile Durkheim : The Elementary Forms
هـ ـــ Lenski : The Religious Factor
و ـــ A. F. A. Hussain : Human and Social impact ...
ز ـــ Ahmadulla 'Mia : In Fluence of Urban ...
ح ـــ محمد عبده : رسالة التوحيد .
ط ـــ كمال المنوفى : الاسلام والتنمية .
ى ـــ عبد العزيز الدورى : التكوين التاريخى •
ك . محمد عابد الجابرى : تكوين العقل العربى .
ل ـــ محمد خليل حواس : الحركة الوهابية .

المطبعية التى يجب تصحيحها(٢) .

فالبحث بهذه الصورة ، موضوعا ومنهجا ، وخطة وأسلوبا ، ومقدمة ونتائجا غير صالح للنشر الا بعد اجراء تعديلات جذرية عليه تجعل له موضوعا محددا ومنهجا محددا ونماذج محددة لبيان العلاقة بين السلفية والتنمية .

---

(٢) مثال ذلك :

أ ــ أنور الجندى وليس انوار .

ب ــ أبو الحسن الندوى وليس النودى .

جـ ــ راشد البراوى وليس البرادى .

فهرس الموضوعات

الدين والتنمية القومية فى مصر

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــــــــوع — الصفحة

لنفس المؤلف

اولا ـــ تحقيق وتقديم وتعليق :

١ ـــ أبو الحسن البصرى : المعتمد فى أصول الفقه ، جزءان . المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٤ ـــ ١٩٦٥ .

٢ ـــ الحكومة الاسلامية للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٧٩ .

٣ ـــ جهاد النفس أو الجهاد الاكبر للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيا ـــ اعداد واشراف ونشر :

١ ـــ اليسار الاسلامى ، كتابات فى النهضة الاسلامية ، العدد الاول ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

ثالثا ـــ ترجمة وتقديم وتعليق :

١ ـــ نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لاوغسطين ، الايمان باحثا عن العقل لأنسليم ، الوجود والماهية لتوما الاكوينى) ، الطبعة الاولى دار الكتب الجامعيـــة ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .

٢ ـــ اسبينوزا : رســالة فى اللاهوت والسياسة ، الطبعـــة الاولى ، الهيئة العامة للكتاب : القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .

٣ ـــ لسنج : تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .

٤ — جان بول سارتر : تعالى الأنا موجود ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير بيروت ١٩٨٢ .

رابعا — مؤلفات بالعربية :

١ — قضايا معاصرة ، الجزء الاول ، فى فكرنا المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٧ .

٢ — قضايا معاصرة ، الجزء الثانى ، فى الفكر الغربى المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ .

٣ — التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ، الطبعة الاولى المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٧ .

٤ — دراسات اسلامية ، الطبعة الاولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ .

٥ — من العقيدة الى الثورة ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين ، (خمسة مجلدات) الطبعة الاولى ، مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨ . الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٨ .

٦ — الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ ، ثمانية أجزاء ، مدبولى القاهرة ١٩٨٨ .

٧ — دراسات فلسفية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ .

خامسا — مؤلفات بالفرنسية والانجليزية :

1. Les Méthodes d'Exégèse, essai sur la science des fondements de la Compréhension, ilm usul al-Fiqh, Le Caire, 1965.

2. L'exégèse de la phénoménologie, l'Etat actuel de la méthode phénoménologique et son application au phénomène religieux (Paris, 1965) . Le Caire, 1980.

3. La phénoménologie de l'Exégèse, essai d'une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris, 1966), Le Cairo, 1989 (sous-press).

4. Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianity and Islam, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977.

5. Dailogue Religieux et Révolution Vol. II. Anglo-Egyptian Bookshop, Le Caire, 1989 (Sous-presse).

6. Religion, Ideology and Development, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1989 (In print).

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩/١٥٧٩

ترقيم دولى : ٣ ـــ ١١٠ ـــ ١٣٣ ـــ ٩٧٧

دار النشر للطباعة

الدين والثورة
في مصر
١٩٥٢ - ١٩٨١

١- الدين والثقافة الوطنية

٢- الدين والتحرر الثقافي

٣- الدين والنضال الوطني

٤- الدين والتنمية القومية

٥- الحركات الدينية المعاصرة

٦- الأصولية الإسلامية

٧- اليمين واليسار في الفكر الديني

٨- اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١

طبع الغلاف بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢